

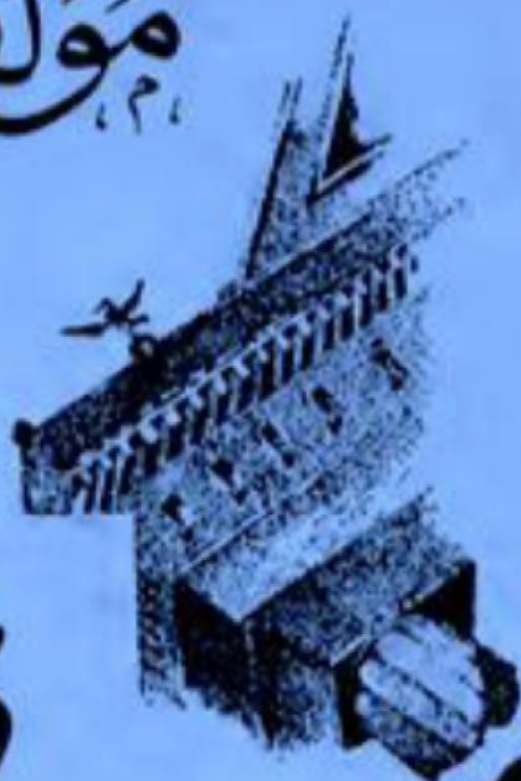
مَوْلَانَا مُحَمَّدٌ تَمِيمٌ

الجزء الاول

وميض الروح

لفقيه الادب والمهرج

الشيخ
محمَّد تميم



PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

PJ Taymur, Muhammad
7864 Mu'allafat Muhammad Taymur
A54
1922
v.1



PJ
7864
A54
1922
v.1

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

١٣٤٠ الطبعة الاولى ١٩٢٢

مطبعة الاعتماد د. ش. ر. ح. س. الأکبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب « وميض الروح » الصرح الأول من مجهود الشاب
الراحل فقيده الأدب والمرحوم محمد تيمور ، أقدمه بلمهور الأدباء
والفنيين صورة لشعلة نفسه ، وخلاصة لمجهود شبابه

وقد ضمنتها شعره ونثره ، وصدرته برسالة عن تاريخ حياته وشرح
مؤلفاته ، يفهم منها القارئ نفس المؤلف فيستطيع أن يفهم أعماله

اهداء الكتاب

الى محمد تيور الصغير

اليك يا بني أهدي مؤلف أتيك ، اليك أهدي خلاصة نفسه
ووميض روحه ، ذلك الكثر الخالد والارث الذي لا يفنى .
ان روحك مكتملة لروحه ، ونفسك متممة لنفسه ، فانظر الى عمل
أتيك الذي بدأه بعزم صادق ، وحقق آماله العالوية التي كانت تختلج
في فؤاده .

سر في سبيله مهتدياً برأيه مستنيراً بمطامعه ، وابن مستقبلك على
ذلك الأساس الثابت الذي أفنى شبابه في اقامته .

كلا كما لم ير صاحبه !

ولكنك سوف تراه من بين ثنايا سطوره ، وسوف يراك من خلف
كلماته . سوف تشعر بنفسه فائضة من شعره ، وسوف يشعر بنفسك
مشبعة بمواقفه . فامعن النظر في هذه السطور والكلمات ، وأزوج
بدمك جمال الفن وروعته ، وابدأ من حيث وقف ، واتته الى حيث كان
يطمع .

هكذا ستعرف أباك خالداً ، وسيعرفك عاملاً في المخلص

محمود نبمو



محمد نجم الدين الصغير نجل المرحوم محمد بك نجم
الطفل الذي لم يره أبوه

الى أخى

لم أقم يوم تأييدك لأقل كلمتى عنك لأننى فى كل يوم أؤيدك
وأحدث عنك بمبرة فائضة مستديّة . ولم أكتب على صحائف الجرائد
رثاء لك لأن نفسى مازالت الى اليوم تكتب على صحائف قلبى رثاءك
الطويل .

كنت شقيقى فأمتعتنى حيناً بحنوك وعطفك ، وكنت أستاذى
فكونت نفسى بحسن ارشادك وتعاليمك ، وكنت صديقى فجعلت قلبى
مستودع أسرارك ونفسى مستقر مطامعك .

فإن تهرح غيالى « يا شقيقى » ما دام فى الدنيا حنو وعطف ، وإن
يتضاءل شبحك من رأسى « يا أستاذى » ما دامت نفسى هى نفسى
وشعورى هو شعورى ، ولن تفنّ ابتسامتك من قلبى « يا صديقى »
ما دامت أسرارك منقوشة على قوادى ومطامعك ممزوجة بدنى .
الوداع .

شقيقك الباكي

محمود



محمد نجمور في العقد الثالث من عمره

هيهتوا لي في بامان الأرض قهراً
في ظلام القبور راحة نفسي
وادفنوا في التراب ديوان شعري
وادفنوا في التراب ديوان شعري
فيه مكنون ما اختواه جنائي
هو بعضي فهل أموت وأنسى
ودعوني أنام تحت التراب
ومن النور شقوتي وعذاب
فوق قلبي المملوء بالأوصاف
وعزير فراق ذلك الكتاب
في ظلام الحياة نور شهابي

محمد نجمور

مجلد سیمون

حیات و اعمال

بقلم شفیقہ

محمد زین

تاريخ حياته

في الرابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٢١ قضى الشاب النابه
الاديب أمير المسرح المصرى محمد تيمور ولما يبلغ الثلاثين بعد . قضى
وهو فى مبدأ حياة النضال والعمل وفى أول درجة من درجات مجده الذى
بناه بعمله لا بحسبه . قضى وهو يسمى جهده فى سبيل تحقيق أمانيه
الحلوة الطيبة أمانى الشباب العامل لاصلاح الادب المصرى والمسرح
المصرى .

لم تكن تلك السنين القصيرة التى قضاها فى الحياة بكافية لان تذيله
مبتغاه وامكنها كانت كافية لان تظهر شخصيته القوية النادرة التى كانت
تنمو وريداً يغذيها ذلك الشعور العميق وتلك المواهب العقلية الثابتة .
ان أهم ما يعنى به المترجم فى كتابته توارىخ الحياة هو معرفة أطوار
حياة الشخص المراد ترجمة حياته وتأثير البيئات التى عاش فيها واطلاعه
على امياله صغيراً وشاباً ورجلاً والأمسباب التى ساعدت أو لم تساعد
على نمو تلك الأميال فان مظاهر تلك الاميال فى حياة الشخص طفلاً
كان أو غلاماً اعلى جانب عظيم من الاهمية فى معرفة مواهبه العقلية
وشخصيته الكامنة . ولعلى لو تتبعنا ذلك السبيل فى ترجمة حياة الفقيد
أمكننى أن أعرض للقراء صورة حقيقية لحياته .

أطوار حياته

أن حياة الفقيه تنقسم الى ثلاثة أطوار قصيرة الامد . الطور الاول منزله ومدرسته (أى حياته الاولى فى مصر) والطور الثانى حياته فى أوروبا وبالاخص فى فرنسا . والطور الثالث حياته الثانية فى مصر (بعد رجوعه من أوروبا) .

أما حياته الأولى فى مصر ففيها تكونت مواهبه ونمت وساعدها على هذا النمو البيئة المنزلية . أما حياته فى أوروبا ففيها تفتحت أعينه للجديد النافع وتشربت نفسه بالديموقراطية العالية والمساواة وامتلا قلبه بالمطامع والآمال - آمال الهدم والبناء ، هدم القديم الرث من المذاهب الاجتماعية كانت أو أدبية . وبناء الصالح النافع من الأنظمة والمذاهب الجديدة . وطوره الأخير كان طور العمل ففيه ظهرت كتاباته ورواياته التى سنأتى على شرحها ليعرف القارئ قيمة الفقيه ومقامه الادبى فى مصر وتأثيره الفعال فى تطور المسرح المصرى

الطور الاول

الفقيه نأرا ونأظما

ان المواهب طبعية لا تزرع فى عقول الاشخاص بل تمنح لهم منحا ونخلق منهم خلقا وامل للوراثه اكبر عامل فى تكوينها . وعلى هذا القياس أقول ان مواهب الفقيه الادبية تكونت بفعل الوراثة ثم نمت وكبرت بفعل البيئة المنزلية التى كانت أكبر مشجع ومساعد لها .

فكان يرى من أبيه قدوة حسنة يقتدى به واماماً صالحاً يحتذى حذوه
 وكان يسمع دائماً عن شهرة عمته السيدة عائشة هانم النعمورية ومقامها
 بين الشعراء وكان يحفظ وهو في الثامنة من عمره معاقبة امرئ القيس
 وبعض مقطوعات نظميه من شعر العرب بإرشاد والده ومساعدته فتمت
 ملكة النظم وكبر ميله للأدب فاستطاع أن يقرض الشعر وهو في
 العاشرة من عمره وبدأ يكتب المقالات في الجرائد وهو لم يبرح المدرسة
 الابتدائية . وكان محباً للصحافة يصرف وقت العطلة في تحرير الجرائد
 المنزلية التي كان يعدها تسلياً له على تضييع الوقت . ولما انتقل إلى المدرسة
 الثانوية وتوسع في دراسة العلوم العربية من آداب ونحو وبلاغة وبيان ظهر
 على أقرانه وتفوق عليهم في الإنشاء . ولم يقصر نفسه على دراسة الآداب
 في المدرسة بل كان يطالع دواوين الأقدمين خصوصاً ديوان المتنبي
 والمعري وأبي نواس فتحسن أسلوبه في النظم وارتقى فجعل ينظم غير
 قصائده الخصوصية قصائد الترحيب والتكريم للاعبين الكرة من
 المدارس المختلفة وكان يلقبها بنفسه في المقاصف التي كانت تعدها المدرسة ،
 والفقيد وقتئذ أحد أفراد فرقة لاعبي الكرة لمدرسته ، وقصائد المدح
 والثناء والوداع لاساتذته في نهاية السنين الدراسية حتى لقبوه الجميع
 « بشاعر المدرسة الخديوية » أما كتاباته في الجرائد فكان يخصص المؤيد
 بمعظم مقالاته

أما علاقته بالتمثيل فقد كانت قوية منذ الصغر فقد تمكن حب هذا
 الفن من فؤاده حتى صار جزءاً منه والذي ساعده على تقوية هذا الميل

تردده كثيراً منذ الصغر على جوق الشيخ سلا ١٠٠٠ حجازى لمشاهدة رواياته . ولكن علاقته بهذا الفن حينما كان صغيراً لم تكن قاصرة على مشاهدة الروايات حسب بل على تأليف فرق تمثيلية عائلية كان هو بطلها ومؤلفها التمثيلي

هذا يجعل لتاريخ الفقيد في طوره الاول أما الكلام على نثره ونظمه في ذلك الوقت فكما يلي : مقالاته في الجرائد وبالاخص في المؤيد كانت حسنة الاسلوب ذات مواضيع اجتماعية وأخلاقية تهيم الناس تمتاز بتلك الروح المنبثة بمستقبل جميل في الكتابة والتحرير ونحن لا نذكر سلسلة مقالاته في الوطنية التي شرح فيها معنى الوطنية الحققة وكيف يكون المصرى وطنياً بعمله لا بقوله ، ولا سلسلة تلك المقالات الانتقادية التي انتقد فيها كثيراً من عوائدنا الخبيثة . أما قصائده فكان يحتذى فيها حذو الاقدمين ويقيد نفسه بهم فلم تكن له شخصية ظاهرة فيها ولكنها كانت ذات أسلوب رشيق

كان نثره ونظمه في ذلك الوقت يفوق كثيراً ما نقرأه اليوم من نثر ونظم لكثير من الطلبة والمحررين ولكن الفقيد أهمله اهمالاً كبيراً بعد عودته من أوروبا حتى لم نعلم على شيء منه في أوراقه لانه كان يعمده عملاً ناقصاً لا أهمية له . والحقيقة أن البون كان شاسعاً بين كتاباته قبل سفره وبعد رجوعه وهذا يدل دلالة ساطعة على تأثير البيئة هناك على أفكاره وما اكتسبه من المطالعة في الآداب الفرنسية وتأثير امتزاجه بطبقة المتعلمين وغير ذلك مما سيأتى ذكره بعد حين

الطور الثاني

مباني في أوروبا (عمره اثنانفان)

نال الفقيه شهادة البكالوريا وقصد برلين ليتعلم الطب ومكث هناك شهرين ولكنه سافر منها الى فرنسا ليتعلم القانون لظروف خاصة لاداعي لذكرها . لم يكن في الحقيقة ميالا لتعلم الطب أو القانون بل كان قلبه مشبعاً بحب الآداب ، وشهادة الآداب ليست بالشهادة التي ينظر اليها المصري بعين الرضى . فاضطر الفقيه أن يدرس القانون بالرغم منه ولكنه في الوقت نفسه كان يعمل للآداب فصرف جل وقته في المطالعة ثمراً ونظماً . مكث في فرنسا متنقلاً بين ليون وباريس ثلاث سنوات لم يتم فيها علم القانون وكان يصرف من كل سنة شهراً أو شهرين في مصر بين عائلته فلما أن عاد ثالث دفعة وصرف كالمعتاد وقت الاجازة في مصر وأراد الرجوع لاتمام دروسه أوقفت الحرب العظمى (سنة ١٩١٤) أبواب البحر والبر فاضطر الى المسكوت في مصر صاغراً معالاً النفس بانتهاكها ليتيسر له الرجوع حيث كان ولكن الحرب طالت فداخلة اليأس والحزن على ضياع مستقبله وكانت هذه الفكرة متسلطة عليه لآخر أيام حياته ولكنه لم يكن يعلم انه كان يبني مستقبلاً زاهراً لنفسه تأليفه . وان ذلك العمل الخالد الذي كان يقيمه — عمله في الآداب لا في الحقوق — كان سبب مجده وعظمته

ان تلك السنين القليلة التي صرفها تيمور في أوروبا وبالاخص في
فرنسا كانت ذات أهمية كبرى في تكوينه النفسى ولا نخطئ اذا عددناها
بمصر انتقاله . ان البيئة التي عاش فيها - بيئة الحرية والديمقراطية والمساواة ،
بيئة الاستقلال في رأى والعمل والاعتماد على النفس ، بيئة الثورة
الفكرية والعلم والنقد الصحيح ممذوجة بتلك المناظر الرائعة التي لاعهد
له بها - قد أثرت فيه تأثيراً شديداً قامت على أثرها في نفسه ثورة فكرية
هائلة انتهت بذلك التطور الجديد الذي ظهر في كتاباته نثراً ونظماً فيما بعد .
والذى ساعد على تلك الثورة الفكرية انصرافه بشغف شديد للمطالعة
في آداب اللغة الفرنسية . كان قلبه في ذلك الوقت يلتهب بنار الإصلاح
للادب والمسرح المصرى وكانت خطاباته الى مفعمة بأرائه وأمياله في
سبيل ذلك . تفتحت عيناه فرأى بعين غير عين أمس ذلك النقص الهائل
في الادب العربى والمسرح المصرى فغير كثيراً من مذاهبه القديمة تيقن
بخطئها وذلك مادعاها لاهمال كتاباته في طوره الاول لانها كانت تحوى
بعض آراء وأفكار دون فكره في عصره الجديد . وان أهم فكرة
اختمرت في رأسه وما زالت تكبر وتتسع « فكرة تمصير الآداب »
أى أن تكون ذات صبغة مصرية والوان عملية بحتة . والذي يقرأ قطعه
النثرية وروايه المسرحية يجد الصبغة المصرية فيها ظاهرة للعيان
أما أفكاره وأراؤه في التمثيل فقد تطورت كتطور أفكاره في
الادب وازداد شغفه وميله اليه بمد أن رأى أهمية ذلك الفن في فرنسا
ومقام القائمين به ممثلين كانوا أو مؤلفين وأمل أن يرى في مصر عهداً

جديداً للتمثيل فكان يطالب مني دائماً أن أوافيه في خطاباتي عن الحركة
التمثيلية في مصر والروايات الجديدة التي ألقت أو عرّبت فكانت
أكتب له كثيراً عن ذلك خصوصاً عن الحركة الادلاحية الكبرى
التي قام بها الاستاذ جورج ايض وانضم له فيها الممثلان الاديبان الاستاذ
عبد الرحمن رشدي المحامي والكتاب الاديب فؤاد افندي سليم . فكان
اعجابه بذلك شديداً . وحين عاد الى مصر تعرّف بهؤلاء الابطال
واتصل بهم

لم يأت تيمور بجهود كتابي حينما كان في فرنسا بل اقتصر على
المطالعة فكان يعد نفسه للعمل الجليل الذي بدأ به حين رجوعه الى مصر
والذي منحه القدر من أن يتمه ، وهذا اذا استثنينا بعض قطع نظمية في
وصف مصر وشوقه وحنينه اليها وبعض مقالات في الاقتصاد السياسي
نشرها في المؤيد في أول عهده بالاقامة في فرنسا ومقالة في الاهرام
عنوانها الخوف من الحياة

الطور الثالث

الرجوع الى مصر (طور العمل)

هو أهم أطوار حياته وأظهرها أثراً ، هو طور العمل الناضج ونتيجة تلك
الايام والسنين التي قضاه في تكوين نفسه وثقيفها ، هو الزمن الذي
نضج فيه فكره وتهيأت فيه مواهبه للوثوب الى الحياة والعمل فيها ،

وبرزت فيه شخصيته القوية تامة كاملة . هو الوقت الذى خدم فيه
الفقيد الادب والتمثيل خدماته الجليلة

ونحن اذا عدنا تلك الفترة الزمنية القصيرة بطور العمل فانما
نقصد طور البدء فى العمل لان تلك المجهودات العظيمة التى صرفها فى
هذا الطور على كبرها وعظم نتيجتها لم تكن الا الخطوة الاولى التى
خطاها فى سبيل مجده ، خطوة واحدة فى تلك الحياة خطاها وهو لم يتم
العقد الثالث من عمره

لم يستطع الفقيد الرجوع الى أوروبا عند أوبته الثالثة الى مصر
بسبب الحرب العظمى ولكنه كان موطئاً العزم على الرجوع الى
فرنسا فى زمن السلم فشغل وقته بالمطالعة فى الآداب الفرنسية والعربية ،
وكان أهمل الأخيرة حينما كان بفرنسا . ثم طرأت عليه فكرة الاشتغال
بالزراعة فدخل مدرسة الزراعة العليا ولكنه لم يكتف بها غير بضعة
شهور حتى تركها لانه وجد علومها مخالفة لأمياله الادبية والفنية
كل المخالفة

وفى أول سنى الحرب تكونت فى مصر جمعية أنصار التمثيل أسسها
المرحوم الاستاذ عبد الرحيم المدرس بمدرسة السعيدية سابقاً فانضم
الفقيد اليها وكان صديقاً حميماً لعبد الرحيم ، وكانت الجمعية تعمل فى ذلك
الوقت على اخراج رواية (الممثل دافيد جرك) فساعدها فى تحضيرها
وتمثيلها وان لم يشترك بنفسه فى تمثيل أى دور فيها . وكانت حفلات
السمر التى كان يقيمها النادى الاهلى فى بدشها ، فظهر فيها الفقيد بالقاء

منولوجات تمثيلية من نظمه فكان هذا بدأ عمله كممثل وأراد الاستاذ عبد الرحيم أن يحضر رواية همت بعد أن نجح نجاحه المعروف في رواية الممثل ومطالب من الفقيه أن يشترك معه في تمثيل الرواية فقبل وبدأت الجمعية تعمل على اخراج همت ولكن مرض عبد الرحيم منهم من تمثيلها . ولما توفي عبد الرحيم وهو رئيس الجمعية وعمادها كادت الجمعية تنفكك لو لا سعى الفقيه وجماعته في لم شعنها . وأرادت الجمعية أن تخرج للجمهور ثمرة من ثمارها فاخترت رواية (تيمون الاثيني) لشاكسبير واختارت الفقيه لينقلها الى العربية باشتراكه مع أحد أصدقائه ، ولما أتمها ناولها لذلك الصديق وكان عميد الجمعية في ذلك الوقت فأضاعها . وكانت بعد ذلك فترة سكون لم تأت الجمعية أثناءها بأي عمل تمثيلي بدأ تيمور في ذلك الوقت ينظم المقاطيع النظامية الرقيقة وخص جريدة السفور بنشرها ، وكان هذا بدأ نظمه للشعر بعد رجوعه من أوروبا ولكن غرامه بالتمثيل كان يملأ قلبه فكان التفاته اليه أكبر وعنايته بنظم منولوجاته التمثيلية أهم . وكثرت حفلات السمر للنادي الاهلي ونادي الموسيقى ونادي موظفي الحكومة وغيرها فكانت لا تخلو حفلة من تلك الحفلات من منولوج من نظم الفقيه والقائه ، فاشتهر ذكره بين غواة التمثيل والقائمين به ، ولعل هذا أقوى مظهر من مظاهر ديمقراطية التي ظهرت آثارها الاولى حينما كان طالبا بالمدارس الثانوية ونمت وكبرت حينما عاش في فرنسا وتنسم نسيمها المشبع بالحرية والمساواة . أحب الفقيه الفن - والفن في مصر ناقص مبتور تشوبه الرذائل ومنزاته دون منزلة

الفقيد بمراحل عظيمة — فلم يعبأ تيمور الديمقراطي الجري، بكل هذا وأفصح عن رأيه جهاراً بحب الفن وعمل جهده على دفعه من مستواه وتهذيبه من شوائبه . ان الفن في مصر منحط تحيط به الرذائل ولكنه محتاج الى أيد شريفة قوية جريئة لتنهض به . ليس من العار أن تنزل حيث الفن ثم تصعد به ، ولكن العار أن تنظر وأنت في مكانك العالي الى الفن وهو في هوته السحيقة فلا تبادر — وأنت المحب له — لا نقاذه . ولا أغالى اذا قلت ان ذلك الالتفات الخاص نحو الفن في مصر وانضمام طبقة من المتعلمين العاملين على احياؤه كان نتيجة ذلك المجهود العظيم الذي قام به تيمور وأنصاره .

وقدّم الروائي الاديب ابراهيم افندي رمزي روايته الوجدانية الرقيقة « عزة بنت الخليفة » للجمعية أنصار التمثيل فثابها الجمعية لأول مرة على مسرح باتيه ، ومثل تيمور دور « سيف الدين » بطل الرواية فنجح في تمثيله . وكانت هذه الرواية أول رواية مثلها الفقيد على المسارح . ثم أعيد تمثيلها على مسرح الاوبرا في ليلة الجمعية الخيرية الاسلامية فمثل الفقيد دوره أمام المغفور له السلطان حسين كامل الذي حضر تمثيل الرواية في تلك الليلة . ثم أخرجت الجمعية بعد ذلك رواية العرائس لبيير ولف تعريب الاستاذ اسماعيل وهبي الهامى رئيس الجمعية في ذلك الوقت فنجح الفقيد في تمثيل دوره نجاحاً عظيماً .

ولما توظف في السراى السلطانية أميناً للمغفور له السلطان حسين قضت عاياه الضرورة بترك المسرح فصرف جهده في الكتابة نثراً ونظماً .

وظهرت في السفور قصائده العديدة ، وكتب في ذلك الحين قطعه المشهورة « مآثر العيون » وغيرها . ثم استعفى في عهد عظمة مولانا السلطان فؤاد ورجع الى حياة المسرح وجدد عهده الأول في ليالى السمر المختلفة . ولكنه لم يكد يبدأ هذه الحياة حتى ختمها الى الابد اذ كان على أبواب الزواج فاضطرته الظروف العائلية أن يهجر المسرح ويختم حياته التمثيلية . فبدأ من ذلك الحين يؤلف للمسرح وأتم روايته الاولى « العصفور في القفص » وأهداها الى فرقة رشدى فمثلها بنجاح يغبط عليه وهتف له الجمهور في الليلة الاولى من تمثيلها اعترافاً بفضلها . كانت رواية « العصفور في القفص » ذات ثلاثة فصول مكتوبة باللغة العربية الفصحى ، ولكنه رأى فيما بعد ان يغير بعض حوادثها فكتبها باللغة العامية المصرية لانه وجدها أكثر انطباقاً لحوادث الرواية وأشخاصها ، ثم زادها فصلاً ختامياً .

ظلت فرقة رشدى تمثل الرواية ولكن تدهور التمثيل الجدى وقتئذ وعدم عناية الاجواق الجدية برواياتها حطت من قيمة الرواية كما حطت من قيمة كل الروايات الجدية الاخرى . ولم يستطع تيمور ولا خلافه ممن اهتموا باصلاح التمثيل وتهذيبه من مديد المساعدة لتلك الاجواق الجدية الهابطة بفنها الى الحضيض لان مرضاً قاسياً تفشى فيها وأصبح شفاؤها موكولاً بالزمن . ولا يسمح لنا المقام هنا بشرح العوامل التى أدت الى انحطاط التمثيل الجدى ^(١) وانصراف الناس عنه ، فكلنا يعلم أن لاهمال

(١) انظر مقالات تيمور « التمثيل الفنى واللافنى »

مديرى الاجواق الجديدة، وجهلهم ميل الجمهور المصرى، وأنانيتهم، وصلفهم فى بعض الاحيان، من أهم العوامل التى أدت الى فشل تلك الفرق الجديدة. لم يقدم تيمور على التأليف المسرحى بعد ما شاهد بنفسه نصيب روايته الاولى ولكنه انصرف فى هذه الآونة العصيبة الى خدمة التمثيل من طريق النقد، وكانت الاجواق الهزلية فى ابان مجدها وعلى رأسها نجيب الريحانى مبتكر شخصية «كشكش بيك»، فبدأ تيمور كتابته بنقد نجيب الريحانى أظهر فيها بوضوح تام قيمة الروايات الاوبريت الهزلية التى يمثلها الريحانى وغيره وبعدها عن الفن الكوميدي الصحيح، ثم شرح العوامل الخفية التى أدت الى نجاح هذا النوع الخليع حتى تغلب على الفن الراقى. وكانت هذه المقالة التى كتبها تيمور عن الريحانى فاتحة لسلسلة مقالات أخرى نقدية عن أشهر الممثلين مثل الشيخ سلامة وأبيض ورشدي وعزيز وعكاشه وآخرين غيرهم. وأحدثت هذه المقالات رجة كبيرة فأعجب بها الادباء والمشتغلين بالفن اعجاباً شديداً لاحتوائها على الحقائق، وبعدها عن التحيز، وخلوها من الدم، فقد سلك فى كتابتها مسلك النقاد الحر الجريء.

ولما رأى الفقيد اقبال الجمهور على التمثيل الاوبريت الهزلى الخليع وانصرافه عن الجدى بتراجيديه ودرامه وكوميديه ظن انه لو قدم للجمهور رواية كوميدى فنية خالية من الخلاعة أمكنه أن يجتذبه اليه رويداً، فألف رواية «عبد الستار افندى» باللغة العامية، وهى رواية قوية، متينة، محكمة، مفعمة بالنكات الفكاهية والمواقف المجونية. هى صورة



الاب وابنته
محمد تیمور مع ابنته راویة (دیری)

حقيقية لاحدى العائلات المتوسطة، أظهرها الفقيه على المسرح وشرح فيها شرحاً وافياً أخلاق تلك الطبقة . مثلها الممثل القادر عزيز عيد بفرقة السيدة منيرة المهديّة فأجاد عزيز وأفراد الفرقة تمثيل الرواية وقابلها الجمهور بما تستحقه من العناية، ولكنهم لم تستطع الثبات طويلاً على المسرح الجدى خلّوها من الألحان والغلاظة ولاقبال الجمهور عامة على المسارح الهزلية بشغف زائد. فلما رأى تيمور حظه ورايته من الإهمال امتنع عن التأليف المسرحى خوفاً على عمله من المهانة وجهده من الضياع وجعل يكتب في السفور كماداته فكتب مقالات خواطر ثم مذكرات باريس وغيرها . ثم اشتركنا سوياً في تحرير السفور فكان هو عماده الأكبر، وأصدرنا خمسة عشر عدداً كان للفقيه في تحريره النصيب الأكبر، فكتب عدة مقالات في الأدب والنقد والاجتماع والتمثيل . ولعل مقالته الفكاهية « محاكمة مؤلفي الروايات التمثيلية » هي أحسن ما كتبه في ذلك الحين. ثم لما عاد الكاتب الفاضل عبد الحيد حمدي الى استلام زمام السفور انصرف تيمور ثانياً الى التمثيل . عزّ عليه أن يرى التمثيل يهوى بسرعة الى الحضيض ، وأن يرى الفن يلبس ذلك اللبوس المزرى الخليع، فأراد أن يأتى بآخر مجهود لاهياء الفن وأقدم بجزأة مدهشة واشترك مع نجيب افندي الريحاني رب التمثيل الهزلى ليؤلف لفرقة الجديدة بكازينو دى باريس روايات مجونية فكاهية . تحول تيمور عن المسرح الجدى ومد يد المساعدة الى خصمه بالامس الذى انتقده وأفصح عن مساوئه — اتجه تيمور الى المسرح الهزلى وبدأ يعمل له ، وما دفعه الى ذلك غير



محمد نایم

طالب حقوق پاریس

الجمهور الطفل الذي لم يكن يرضى إلا بالهزل والمجون . فاضطر تيمور أن يرضيه وهو يسمى رويداً تهذيبه وتحويله لأنه إنما كان غرضه الاساسى وضع روايات هزلية راقية يتوخى فيها بعض أصول الفن مفعمة بالالخان ثم يتدرج بالجمهور رويداً الى السكوميدي الفنى الراقى ثم الى الدرام السكوميدي وهام جداً . وكان بدء عمله رواية « العشرة الطيبة » وضعها عن المماليك فى مصر وكانت أول رواية من نوع الاوبرا بوف ظهرت على المسارح المصرية ، ولكنها لم تصب النجاح الذى تستحقه ، فقد انتقدها بقسوة جماعة من الكتّاب وعابوا عليه موضوعها وهو « انتقاد هزلى وتهكم على حكم المماليك فى مصر » . وليس المقام هنا مقام شرح وافضة وإنما نقصر على شرح فكرة تيمور الاساسية التى توخاها فى عمله هذا . كتب تيمور روايته عن المماليك فى مصر لعدة أغراض أساسية أهمها : اظهار عصر من عصور مصر ابان حكم المماليك على المسرح بلون حقيقى وصفغة محلية قوية وأشخاص حية وذلك بقالب فكك راق ولغة تناسب المقام . واذا علمنا أن العشرة الطيبة هى الرواية الفرنسية الهزلية (ذو اللحية الزرقاء La Barbe bleue) فنعلمنا مقدرة تيمور فى تمثيل الاشخاص واختيار العصر المصرى الموافق للرواية ، ولعلمنا ما كان يرمى اليه من وضع الرواية على هذا النمط وهو شرح حالة مصر فى عهد طغمة المماليك التى يعرف الجميع عسفها وظلمها رمزاً للقوة الاستبدادية المذلة .

اعتري تيمور اليأس من عمله لأنه وجد مجهوده الفنى يضيع سدى

على المسرح الجدى والهزلى على السواء وداخله حزن عميق لعدم توفيقه
خدمة الفن الذى تعلق به وأحبه حباً عظيماً ، وأراد أن يحطم ذلك اليراع
الذى شهره جهاداً فى سبيل التمثيل . ولكن ماهى الا فترة مضت حتى
تجددت تلك الشعلة الكامنة وبدأت ترسل وهيمتها فى أفق الفن العابس
المتهمج ، تحرك اليراع بعد أن هدأ برهة نخط رواية الهاوية . تحرك
حركته الاخيرة انى سكن بعدها الى الابد .

بدأ تيمور يكتب « الهاوية » واليأس يملأ قلبه والغيوم الحالكة
ما زالت ملبدة فى أفق التمثيل الجدى ، والمسرح الهزلى ينفث سموه
القماسية الفتاكة . بدأ تيمور يكتب الهاوية وهو لا يدري أى ريح
تحمها وأى فرقة ستثاها وهل يكون نصيبها السبات العميق فى درج
مكتبه أو الاحتضار والموت على المسرح الجدى . كان يكتب تيمور
« الهاوية » لاجل الفن فحسب . كان يكتب لانه يريد أن يكتب ،
يريد أن يعمل ويساعد الفن بالرغم من الفن نفسه . بدأ تيمور روايته
فى ذلك الجو العابس ولكنه لم يكدها حتى رأى بوادر الانحلال
والضعف قد باننت فى جسم التمثيل الهزلى . أجل لقد بدأ المسرح الخليع
يهوى من تلقاء نفسه الى هوة الفشل السحيقة لان الشيوخوخة أصابته
وهو فى عنفوان شبابه وعز سلطانه . لقد مل الجمهور الهزل والخلاعة ،
وكل شىء اذا تكرر وزاد عن حده مجته النفوس وكرهته ، وتعطش ذلك
الجمهور الى الجد بعد أن امتلأ جوفه من المجون والتهتك فأقبل يتلمس
المسارح يبحث فيها عن ضالته . وتألفت فى ذلك الحين فرقة ترقية التمثيل

المربي (آل عكاشه وشركاؤهم) وشرعت تمثل روايات جديدة بين قديمة
وجديدة على مسرح الحديقة الجديد الذي بناه خصيصاً للفرقة الرجل
العامل النشيط طلعت بك حرب . وانتهى تيمور من تأليف روايته
فوجد فرقة جديدة ناهضة ترحب بروايته وشاهد مسرحاً نخباً نظيفاً متقناً
أهلاً لأن تمثل عليه الهاوية ، فقدّمها للفرقة عن طيبة خاطر وكاه أمل
في نجاحها .

كان تيمور شديد الإعجاب بروايته مبتهجاً بقرب تمثيلها فرحاً للنهضة
الجديدة التي بدأت تشرق من مسرح الحديقة آملاً أن تكون « الهاوية »
فاتحة الروايات المقبلة . بدأ تيمور « الهاوية » في جو قائم بخيم عليه اليأس
وختمها في جو صاف تشرق في جوانبه الآمال ولكنها ، وبالإحسرة
القائلة ، كانت آمال معكوسة . آمال سوداء بخيم عليها الموت . انتهى
المؤلف من روايته فبدأ الموت يكتب روايته الرهيبة ، فلم يكذب يرمى تيمور
القلم من يده حتى رماه المرض على سرير الموت . وعلى ذلك السرير حيث
كان يتنفس النفس الأخير لم يفتر تيمور لحظة عن العمل في سبيل اخراج
روايته فقد كان الممثلون يعودونه ويقرأون عليه أدوارهم وهو يرشدهم إلى
ما يسمعون منها ، وقد كان يوصي أصدقاءه لحضور تجارب (بروفات) الرواية
ويراقبونها بالنيابة عنه . وكانت أيام معدودة قضاه تيمور على فراش المرض
وكان الجميع ومعهم الأطباء أنفسهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً بسلامته لأن
البرقان من الأمراض السليمة العاقبة ، وكانت الدلائل تدل على أنه سائر في
طريق الشفاء المحتم . ولكن بغتة والسكل مستبشرون وسرورون أصيب

الفقيد بنكنتين قويتين لم يحملهما جسمه المريض فانطفأت تلك الشعلة المنهبة وتلاشت تلك الفكرة الوقادة المنيرة ، وانتقل تيمور من قصره الى قبره (القصر الذى لم يتم فيه شهور العمل الحلو الجميلة !) . اختطف الموت تيمور من والد أفنى عمره فى راحة ابنه معترأً بذكائه تخوراً بأعماله ، ومن زوجة حامل لم تكدرشف منه كأس السعادة حتى تحطمت ، ومن ابنة صغيرة بدأت ترنم وتغنى باسمه شاعرة بعطفه وحنوه ، ومن شقيقتين أرواحهما متصلة بروحه ، ومن عائلة كان هو ابتسامتها ، ومن أصدقاء كان هو الوفاء والمحبة بينهم ،

وقبل أن نختم ذلك الفصل نقول كلمة عن رواية « الهاوية » وعن مؤلفاته الأخرى التى كتبها ولم ينشرها . أما « الهاوية » فقد مثلتها فرقة ترقية التمثيل العربى بعد وفاته بشهرين تقريباً وكان نجاحها مدهشاً حتى أن الجمهور هتف المؤلف فى احدى لياليها . أما مؤلفاته الأخرى « رسائل مجبور افندى » التى لم أعثر الا على رسالتين منها الأولى تامة وقابلة للنشر وعنوانها « الراتب والنياشين » ، والثانية مبتورة لا تصاح للنشر . ورواية قصصية أخلاقية اسمها (الشباب الضائع) غير تامة . ورواية أخرى قصصية لم يكتب منها الا الفصل الأول وعنوانه « جلال الموت » . وكان الفقيد يريد أن يؤلف كتاباً فى تاريخ مصر والنيل بأسلوب قصصى جديد نشر المقالة الأولى منه فى سفور السنة الخامسة ، ووجدت بين أوراقه مذكرات عديدة عن مراجع الكتاب وشذرات عنه . وقد طلب منه

الاستاذ عبد الرحمن رشدي حينما كان ممثلاً أنت بعرب لفرقة رواية «الاب ابونار» فعرّبها وأهداها للفرقة لتمثيلها ، ولكن من غريب الأمور أن الفرقة أهملتها ولم تمثل الرواية حتى اليوم على المسارح المصرية ، ولكن الاستاذ جورج أبيض استأذن الفقيه وأخذها من فرقة رشدي المنحلة لتمثيلها في رحلته في الشرق . ورواية الاب ابونار من الروايات القيمة الذائعة الصيت التي أصابت نجاحاً عظيماً في فرنسا . وقد عرّب تيمور غير رواية «ابونار» رواية «الغز» وكان كلفاً بها وأراد أن يهديها لبعض الجمعيات الادبية لتمثيلها ولكن الظروف لم تشأ ذلك فتركت في درج مكتبته .

أما كتابات الفقيه الأخرى فلم ينظم الا قليلاً من الشعر بالفرنسية حينما كان في فرنسا حينما الى وطنه . وكان يشتغل قبل وفاته بكتابة رواية مصرية قصصية بالفرنسية عنوانها «الفتوة» ولم يتم منها الا الفصل الأول . ثم كان يعمل بالاشتراك مع أحد أدباء الفرنج على تأليف رواية تمثيلية مصرية لتمثل في أوروبا ، وأنجز منها مشاهد ومواقف عديدة . أما حياة الفقيه السياسية فأعرف عنه انه كان عضواً عاملاً في جمعية أنبي الهول المصرية حينما كان في فرنسا ولما انتقل الى مصر كان من ضمن مؤسسي الحزب الديمقراطي . ومذهبه في السياسة مذهب كل وطني حر يطالب السعادة لبلاده في ظل الحرية الدائمة .

هذا موجز بسيط لحياة تيمور منه نعلم كيف كانت نشأته وكيف تطورت حياته وكيف كانت تأثيرات البيئة والوراثة في تكوين شخصيته

واظهار أمياله . ولعلّى أستطيع أن أظهر للقارئ شخصيته القوية ، وأن
أشرح له نفسيته وأمياله بشرح أعماله الكتابية شراً ونظماً ، فما تأليف
المرء الا المرأة الصفيّة التي تنعكس عليها نفسه وتجلّي عايم روحه ، فتحايل
مؤلفات تيمور ماهو الا تحايل لتلك النفس الطاهرة ذات الشعور
العميق والوجدان الجليل .

• • • • •

الفصل الثاني مؤلفاته قطعة نظميه

لقد كتب الفقيّد نحو ستين قطعة نظميه هي كل ما نظمه من
الشعر في طوره الاخير . أما ما كتبه قبلا أى قبل سفره الى أوربا
فكثير أعماله حين رجوعه ، أى في الوقت الذي وجد فيه نفسه قد
تغيرت عن قبل . ففي شعره الأول كان لا يتحدّى قصائد المدح والثناء
والفخر وكان اذا مدح بدأ بالفزول ثم تخلص منه الى المدح شأن الشعراء
الاقدمين فكان شعره لا يخلو من مسحة التكاف والتعمل . أما في
طوره الاخير فبعد ان شاهد جمال الطبيعة في أوربا وتشبعت نفسه بها
وامتلاً فؤاده سحراً بنفثات الشعر الفرنسي وعرف أصول النقد فميز
الغث من السمين شعر بدافع داخلي كان يدفعه للنظم حينما يريد لا كما

تريد الظروف . فكان في هذا العهد شاعراً حقيقياً يكتب ما يشعر به ،
وهذا أهم مميزات شعره الجديد ، جميع قطعه تنال من المدح والذم
والثناء ، ولكنها نعمة بذلك المواطن الرقيقة وذلك الشعور العميق .
وشعره في هذا الطور سهل العبارة يفيض رقة وسحرًا ، وهو على قسمين :
شعر غزلي . وشعر وجداني وصفي .

أما شعره الغزلي فيكتبه عن شعور حقيقي ، شعور قبي أحب ولم
يسعد في حبه — حب لم يكن أهلاً لصاحبه . فأظهر في شعره هذا
عواطفه الصادقة عن قلب مكاوم متألم ، ولكنه قلب طاهر يرنو دائماً الى
المجد ويأنف من المذلة والعار . وفلم تخلو قصيدة من قصائده هذه من
تلك الانفة العالية التي لم يهرزها غرام عرف أن فيه مذلة .

ترى ذلك في جميع قصائده الغزلية نخص بالذكر منها قصيدة « أنا
وهي » و « حية الخطار » و « أنت » الموجودة جميعها في المجلد الاول
من تأليفه ، وقد ملأها بوصف رائع للحب ، وشكوى حزينة من الغرام ،
وصولة عالية في سبيل المجد ، نعلم منها عزة نفسه وبُعده عن اذلالها .
أما شعره الوصفي والوجداني فهو شعر رقيق أبدع فيه كل ابداع ، أملاه
عليه وجدانه العالي وشعوره الصادق وأفرغ فيه حزناً مستفيضاً مما يملأ
قلبه ، فأتى جميع شعره الا بعض قصائد معدودة ، سئد كرها فيما بعد ،
مصبوغاً بلون الحزن تسيل منه الشكوى والآلام .

لم يكن يميز بالفتى الحزين المموم بل كان الشاب الضاحك اللاهي
الذي لا تفارق النكتة فيه ، حديثه ابتسامة ساحرة شبيهة تأخذ بمجامع

القاوب . ولكن تيمور الذي كان يجالس الناس ويسامرهم ويضاحكهم
بحديثه الطلي الساهر لم يكن الا الفتى المتألم ، السكره للحياة ، الواجد على
الدنيا حينما يأتيه وحى الشعر الجليل . كانت له نفس باطنه خفية لم تكن
تظهر الا اذا كان منفرداً ينظم عواطفه في قصائده ويسكب نفسه على
قرطاسه . ولذا تسمع من معظم شعره نغمة حزينة مبللة بالدموع هي
رنين أوتار قلبه المتوجع . ولا ريب في أن هذا الحزن الذي كان يشعر
به تيمور ويظهره دائماً في نظمه كان حزناً خلقياً ، وليس عرضياً سببته
بعض الظروف .

وما قصائده « ياموت » و « عرش الحداد » و « الشاعر الغضبان »
و « القلب » وغيرها الا صوت فؤاده الذي يحادثك ويناجيك عن آلام
خفية لم يعرف مصدرها ولكنه يشعر بها في نفسه . هاك أوصافه أيها
القارئ تصفحها في غير هذا المكان . ألا تجد لها كلها أنة طويلة وشكوى
من الحياة . « فالبلبل الصامت » و « دموع الشفق » و « النجم الآفل »
و « شجرة على شفا الموت » و « الطائر السجين » وغيرها من قصائده
الوصفية ليست الا مظهر ذلك القلب الدامي الحزين . أما قصائده
« خوفو » و « الهاوية » و « الفجر الأول لمحمد على » و « الهرم الاكبر »
فلعلها القصائد الوحيدة التي خلت من نغمة الحزن . وهي وان كانت قوية
الأسلوب ، رائعة الوصف ، خلاصة الرنات ، تشهد بقوة شاعريته ، إلا
أننا نعدّها في الصف الثاني لشعره لخلوها من الانات وللمبررات التي كانت
وحية الالهى في النظم .

نثره

لم يكن يعموز في نثره غيره في شعره بجميع قطعه الوجدانية والاجتماعية والتمثيلية والانتقادية والقصصية كتبها بدافع نفسى لا اضطرارى ، فأتت معظمها ان لم تكن كلها ناضجة متينة ذات تأثير غريب ، لان النفس لا تتأثر الا بما هو صادر عن النفس ونثره ينقسم الى ستة اقسام :

الاول : قطعه الوجدانية

الثانى : قطعه الاجتماعية والادبية

الثالث : قطعه القصصية « مآثر العيون » و « قصة الشباب

الضائع »

الرابع : قطع « خواطر »

الخامس : قطع « مذكرات باريس »

السادس : قطع عن التمثيل .

هذه القطع تنفرع الى أربعة اقسام :

الاول : منولوجاته التمثيلية

الثانى : نقده على الممثلين

الثالث : محاكاة المؤلفين الروائيين

الرابع : مقالات عامة كتبها عن تاريخ التمثيل وغير ذلك

قطعة العجبرانية

هي مقالات من الشعر المنشور صاغ فيها عواطفه ووجدانه بأسلوب خيالي راق، خال من التصنع، ذي أفكار وآراء جديدة، وهي تشبه بعض الشبه شعره، فهي تظهر من مظاهر روحه .
لم يكتب منها غير بضع قطع نخص بالذكر منها «الشاعر والليل» و«حديث زهرة» و«حب البقاء». وكأنه استعاض بشعره عن هذا النوع فلم يكثر منه ولم يعن به عناية بنظمه .

قطعة الاجتماعية والادبية

هي مقالات طرق فيها مواضيع مختلفة ضمنها بعض آرائه الأدبية والاجتماعية والانتقادية تمتاز بحمية الإصلاح التي كانت تتقد في جوانحه .
فثال ذلك مقالة «الافكار الحديثة والقديمة» كتبها بدافع حبه للجديد النافع، وكرهه للقديم البالي فأظهر فيها بعض تلك الشعلة التي كانت تذكو وتضطرم في قلبه .

كان يكتب مقالاته هذه فساكنه كان يتكلم . فإذا ما قرأت إحدى تلك المقالات فساكنك تسمع حديثاً طلياً مفهوماً لا يصحبه الملل ولا السأم . يحدثك تيمور أيها القارئ في مقالانه بكلام عذب منطقي يدور حول نقطة واحدة، خال من السفسطة والتكرار واللغو . في هذا الحديث أو بعبارة أخرى في تلك المقالات يكشف لك تيمور عن قواده ،

فيكلمك عن الرتب والنياشين في « رسائل مجبور افندى » ويشرح لك حالة هؤلاء النفر الجهال العاطلين الذين يسعون جهدهم لنيل رتبة أو نشان ولا يصرفون ذلك الجهد للعمل الصالح لأنهم ووطنهم ، وكيف أنهم لو أتوا بعمل نافع مفيد سمعت اليهم الرتب من غير أن يسعوا اليها ، فتعلم اذذاك ميل هذا الفتى الديمقراطي الحقة والعصامية التي لا تعرف الانساب والاحساب ولكنها تعرف الأعمال بحسب . ويكلمك عن « المجمع اللغوي ومشكلة الالفاظ » فيوضح لك رأيه بالانحياز أو تعصب ، فتعلم منه انه انما كان يسمى في سبيل احياء اللغة وتثبيت مكانها . ثم تقرأ له حديثه عن « شوقي وجبران » فاذا فيه يمتدح شوقي في شعره الجديد الخالي من التكلف ، ويتغنى لك بقصيدة « أنس الوجود » و « حفلة الرقص » ثم يظهر لك (نبوغ) جبران شاعراً ونائراً فيوضح لك ضعف رأيه عن الشعر فيقول : ما الشعر الا ذلك الفكر الناضج والشعور الحى يصيغهما الشاعر بافظ ساحر متين مفهوم خال من التكلف والتعقيد . وما مذهب في الشعر الا مذهب الابتعاد عن طريقة الأقدمين وانتهاج مذهب الابتداع الذي تظهر فيه شخصية الشاعر مستقلة حرة غير مقيدة .

وقس على ذاك قطعه الاخرى .

قطعه القصصية

ما تراه العيون

لا أغالى اذا قلت ان هذه القطع هي من أحسن ما جادت به قرائح
الادباء في هذا العصر . ولو كان الفقيده تفرغ لها وسمح لنفسه بوقت
كاف لاتمامها لكان أتى لنا بالمعجز فيها .

« ما تراه العيون » قصص صغيرة كتبها المؤلف عن الحياة المصرية
واتبع فيها مذهب الحقائق (الريالزم) الخالي من الغلو أو الخيال فرسم
فيها بقله صوراً ومشاهد حقيقية حية على مسرح الحياة المصرى .
والتي امتازت به هذه القصص أوصافه الدقيقة وألوانه الحقيقية الناصعة ،
واتقاده الاخلاقى الراقى ذو المجون الفكاهى الساحر . فاذا ما قرأت له
عن شخص من أشخاص قطعه أمكنك أن تتصوره في ذهنك بصورته
ونفسه وأخلاقه حتى ورنه كلامه . واذا قرأت له قطعة بأكلها استطعت
أن تتصور في ذهنك روح تيمور الساحرة وحديثه الفكاهى الجميل .

امتاز الفقيده شخصياً بدقة الملاحظة وثبوت المشاهدات وانطباعاتها
في ذهنه ثبوتاً تاماً ، وانطباعاتاً مدهشاً ، وكان بفطرتة ميالاً للتقليد ومتقناً
له غاية الاتقان ، فاذا ما رأى مشهداً ما فتماثل للنظر استطاع أن يروى لك
حوادثه بدقة واتقان مهما قدم عليه الوقت ، واستطاع أن يصور لك
بحديثه صور الأشخاص وحركاتهم ويكلمك بكلامهم فكأنك ترى

وتسمع مآراه وما سمعه عن حقيقة ومن غير تكلف . فمن ذلك نعلم سر تلك القوة المبتكرة التي ظهرت واضحة في « قصصه » و « خواطره » و « مذكراته عن باريس » و « رواياته التمثيلية » و « محاضراته المؤامرين الروائيين » .

وانى أدعك أيها القارئ الكريم أن تقاب صحائف ذلك المؤلف الذى بيدك وأن تقرأ الآن قطعه « فى القطار » لتستطيع أن تتصور فى مخيلتك صورة تيمور كما هو

هذا هو مذهب تيمور فى معظم كتاباته ، وهذا هو شخصه يبدو لك من بين سطوره يحدثك حديثه العذب الشهى .

ويجدر بنا فى ختام هذا الكلام أن نقول كلمة صغيرة عن روايته القصصية « الشباب الضائع » .

لم يتم تيمور هذه الرواية وان كان قد أتى فيها ببعض ملحوظات ختمية يعلم منها القارئ حوادث الرواية النهائية . خطها المؤلف بلغة سهلة خالية من التكلف والتعمل . والظاهر أنها أول عمل قصصى له . كتبها بعد خروجه من مدرسة الزراعة العليا ولم يكن قد كتب شيئاً من قصصه قبل ذلك الوقت فكانت بمثابة تمرين له على الكتابة القصصية ظهرت فيها مواهبه وتجلت تلك القوة الخفية المنبئة بمستقبل جليل فى هذا النوع .

فالشباب الضائع بأوصافها ومشاهداتها وأحاديثها وأشخاصها وتحاليلها

النفسية صورة جليلة واضحة تعلم منها القارئ انبثاق عبقرية تيمور واثرائها،
فهي جُر تأليفه ومقدمة ذلك العمل الجليل .

خواطر

مقالات خواطر هذا فيها حذو « ما تراه العيون » ولكنها أشبه
بمذكرات ضمنها مشاهداته في الحياة وملاحظاته عنها، أوضح فيها كثيراً
من آرائه وأفكاره وانتقد فيها نظم الحياة الاجتماعية القاسية . هي قطع
اجتماعية، أخلاقية، انتقادية، وصفية، كتبها بأسلوبه القصصي الرشيق .
فن خواطره الوصفية خاطرة عن « الكتّاب والعريف » وأخرى عن
« رمضان في قهوة مانتايا » ، وفي الأولى وصف فيها كتاباً حقيقياً كان
زاره صغيراً ، وروى واقعة حال جرت بين العريف وأحد الاطفال ، وفي
الثانية رسم بقلمه التصويرى القادر قهوة مانتايا وما حوته من صائين
ومدعين الصيام وفطرين . أما في قطعة « الطيب » و « عرس ومأتم »
و « ابن بقهوة وابن بالتراب » و « سارق وسارق » فقد أظهر فيها
عواطفه نحو الفقراء ومشاركتهم في آلامهم وانتقد فيها قوانين الحياة
وعدالتها المشوهة ، ولا ريب أن هذا مظهر من مظاهر حبه للمساواة
وانصاف المظلومين ، وقد شرح في قطعة « المرأة لم تخلق لهذا النعيم في
مصر » و « سر من أسرار تأخر المصريين » و « هنا وهناك » حبه
لتحرير المرأة ، وكشفه عن عوامل تقهقر المصريين ، والفرق بين التعليم
الغربي والشرقي . فمقالاته خواطر هي خواطر حقيقية دفعه الى كتابتها

عوامل المحيط الذى عاش وتنقل بين أرجائه ، جاشت بها نفسه فأظهرها خالية من التصنع والحشو وعرضها صورة حية للمجتمع الانسانى

مذكرات باريس

مذكرات باريس مماثلة لمقالات خواطر غير انها شخصية كتبها عن نفسه ، شرح فيها عصرها من عصور حياته وما شعر فيه من المذات وألم ، ومارآه فيه من مشاهد ومناظر وما وقع له فيه من حوادث . هى صحيفة من صحائف حياته كتبها بنفسه ، لم يخط فيها غير الحقائق ، فهى مذكرات بالمعنى الحقيقى

القطعة الأولى وصف فيها شعوره فى بلاد الغرب وتأثير تلك البيئة الجديدة التى انتقل اليها وشرح فيها أيضا رحلاته من برلين الى باريس باختصار

والثانية وصف فيها مجلساً فرنسياً مكوناً من بعض الاصدقاء وعرض للجمهور المصرى صورة من مباحثات ومناقشات ذلك المجلس الأدبى ونضوج عقل المرأة الفرنسية ورقى فكرها وتضلعاها فى آداب بلادها ومقارنتها بامرأتنا الشرقية ليعلم المصرى الفرق بين تعليم نسائنا ونسائهم ودرجة رقى المرأة الافرنجية وتأثير رقيها فى حياة الأمة

والثالثة وصف فيها ليلة فى تياررو الأديون وروى فيها حادثة وقعت فى تلك الليلة مضمونها أن رجلاً من طبقة النبلاء قاطع أحد الممثلين وكان

يلقى منولوجاً بين الفصول عن كورنيل وسخر بهذا المؤلف الذائع الصيت فهاح عليه الجمع المحتشد وأخرجوه عنوة من مقصورته وأهانوه بشتائمهم وصفيرهم لأنه نجراً وأهان « كورنيل العظيم ». لم يكتب تيمور هذه القطعة ليروى حادثة فحسب بل أثبتها ليظهر للمصري كيف عجدون العظماء وكيف يحامون عنهم أحياء كانوا أو أمواتاً، وما « كورنيل » إلا عظيم من عظماء فرنسا وأحد مؤلفيها التمثيليين الذي عمل على بناء ذلك الركن الخالد المنير ألا وهو الأدب الفرنسي . روى تيمور هذه الحادثة ليظهر روح الديمقراطية العالية التي تشربت بها النفس الفرنسية فساوت بين طبقة النبلاء والعامية . وقد ختم مذكرته هذه قائلاً (وعدت إلى دارى وأنا أفكر في هذه الروح الديمقراطية التي شاهدها تجسم أمام عيني في دار الاديون والتي أود من صميم فؤادي أن تنتشر في مصر بلادنا المحبوبة)

والرابعة كتبها وصفاً لصديقه الأمريكى « هويت » الذى عاشه برهة من الزمن فوجد فيه نعم الصديق . فى ذلك الوصف الحقيقى لنفسية ذلك الأمريكى وأخلاقه وعوائده، صورة حية للنفس الأمريكية الثابتة ذات الخلق الرزين

والخامسة قطعة كتبها عن عيشته فى ضيعة (نوجان سيرمارن) وما شعر فيها بسعادة الحياة فقال « .. شهرين كاملين . ما كما يمر الحلم العذب برأس النائم — شهرين كدت أنسى فيهما نفسى وأكذب حسى — شهرين عاشرت فيهما الطبيعة الساكنة المنعشة بعيداً عن ضوضاء باريس ،

ولباريس الشتاء ولغضوا حبيها العفيف». ثم روى حادثة محزنة وقعت للكابيين أحدهما يدعى «خرطوش» والآخر «سكر» وكان خرطوش من فصيلة معروفة مشهوراً بجذته وطيشه وقوته وأما الآخر «سكر» فكان كلباً ممنهنا لا تنظر إليه العين إلا بالاحتقار لأنه من الكلاب التي ليست لها فصيلة ولا نسب. ففي أحد الأيام اقترس خرطوش القوى البنية الشرس الاخلاق ذلك الكلب الوديع الهادي فقضى عليه.

وقد ختمها قائلاً: (لقد كنا نكره سكر في حياته فاذا بنا نحبه ونحله بعد مماته. لقد كنا نتغافل عن وداعته وطيبته ونهزأ بذله وضعفه ونقول ليس هذا الكلب من فصيلة معروفة فهو عديم الأصل ولكننا نعتقد اليوم بعد أن قضى ذلك الشهيد ان الأصل لا دخل له في الطيبة وأن مخلوقات الله سواء. وباليات شعري أليس الحالة كذلك بين الناس فعلام يكون الحق للقوة وعلام تكون الطيبة والوداعة ضحية الظلم ومتى ينقشع عن العالم الانساني ذلك السحاب الاسود)

والسادسة سلسلة مذكرات حياته في باريس لم يكتب منها إلا بضع مقالات لم تحمها. وجعلها في الظاهر تاريخاً لحياة غيره ولكنها في الحقيقة كانت لنفسه. نشر الاولى منها تحت عنوان « هو وهى » تضمنت هذه القطعة حديثه عن زيارة حفلة راقصة خصوصية. شرح في بدايتها آميال نفسه بكل حرية وجلاء فأظهر علانية كيف كان يكابد الآلام في دراسة الحقوق — العلم الذي لم يعمل اليه، والذي لم يكن يرى منه أى أمل

لتحقيق أمانيه في الحياة لانه كان شغوفاً بعلم الآداب وفي التمثيل شغوفاً ملك نفسه وملاً فراغ قلبه . وفي ذلك يقول : (جاس بجوار النافذة ونظر الى السماء القائمة كأنه يرى فيها صورة نفسه ثم اطلق زفرة من بين جوانحه وقام يتمشى في الغرفة ذهاباً وإياباً ثم أمسك بكتاب قرأ على صفحته الاولى هذا العنوان (مبادئ القانون المدني) ثم ما لبث أن القى به على الخوان وهو يقول ساخراً (مبادئ القانون المدني . مبادئ القانون المدني)

الى أن قال : (جاء الى باريس ليدرس الحقوق وما كان بنفسه ميل لعلوم الشرائع ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة الا ليلقى بنفسه في أحضان تلك العلوم . فسافر وفي قلبه غصة ولكنه وطد النفس على الدأب والعمل جامعا بين علوم الحقوق التي كانت تجشم نفسه ما لا تستطيع احتماله وبين علوم الآداب التي يرى فيها مسكة الأمل وقررة العين .)
حقاً . لقد كان تيمور يرى في الآداب « مسكة الأمل وقررة العين » ولذا رأيناه يعمل للآداب حتى النفس الأخير :

* * *

ما كتبه عن التمثيل

لفظ التمثيل في مصر . مقترن دائماً باسم تيمور ، فهو من مؤسسى الفن العاميين على رقيه . كان تيمور أول فنى ارستقراطي دخل غمار التمثيل كتمثيل وكؤلف وكنقاد ، فكان لدخوله في هذا الغمار أثر ناجع وفضل لا ينكر ومجهود خالد على قصر الوقت الذى صرفه فيه . التمثيل هو النعمة

الجميلة التي كان يطرب لها تيمور وترنم بها ويستعيد بها . هو الصورة
الجميلة التي كانت مرتسمة دائما في مخيلته لانفارقها . أجل التمثيل —
ولا أغالى اذا قلت — هو . مبود تيمور الذي تعشقه صغيراً وهام به شاباً
وعمل له رجلاً . ما أحلى ذلك اللفظ على قلب ذلك الفتى الراحل ، فكلم
من حديث له عنه ، وكلم من مباحث له فيه ، وكلم من مناقشات ومجادلات
من أجله . ولما كان على فراش المرض الاخير كانت روايات التمثيل
يجواره على نفس الفراش يطالعها بشغف زائد كأنه كان يودعها الوداع .
الاخير . وهكذا قضى تيمور ولفظ التمثيل بين شفتيه ، وكتابه تحت يده ،
وصورته في مخيلته . فلا غرو اذا تفوق تيمور على سائر كتّاب العصر
بالكتابة عن المسرح والمسرح ، ولا غرابة اذا كانت أعماله المسرحية
من نقد وروايات في مقدمة أعماله الاخرى من نثر ونظم الا في بعض
أشياء قليلة .

كتابات المسرحية تنقسم كما يتنا سابقا الى أربعة أقسام . الاول :
منولوجاته التمثيلية . والثاني : نقده على الممثلين . والثالث : محاكاة المؤلفين
الروائيين . والرابع : مقالات عامة كتبها عن تاريخ التمثيل في فرنسا ومصر .
هذا غير رواياته التمثيلية الكبرى التي سنقردها باباً بعد هذا الحديث .
القسم الاول : منولوجاته التمثيلية : هي أول أعماله المسرحية نظماً
وتمثيلاً . كان ينظم المنولوج ليتمثله بنفسه في حفلات السمر الراقية . فلما
انقطع عن التمثيل انقطع عن نظم منولوجاته ايضاً . ولما كان الوقت
الذي صرفه عاملاً على المسرح ضئيلاً كانت منولوجاته قليلة العدد .

ولا أغالى إذا قلت انه لم يسبق تيمور في هذا المضمار ولم يفقه في تأليف المنولوجات المسرحية أحد . كان تيمور عالما خيرا بما يؤثر على الجمهور دارسا أصول الفن الصحيح فنظم منولوجاته على هذا الأساس فجاءت متينة قوية تهز سامعيها بما حوته من قوة وتأثير . وكان القاؤه لهذه المنولوجات بنفسه يزيد روعة وجلالا بما كانت تكسبه من حسن القائه ودقة تمثيله . ولكن هذه القطع المسرحية إذا قارناها بمنظوماته الأخرى وجدناها أقل منها جمالا من حيث جمال الشعر ، لانه وجه كل مجهوده في تأليفها لتكون صالحة على المسرح زد على ذلك سرعته في نظمها فأغلبها ان لم تكن جميعها نظمت في الصباح لتلقى في المساء وعدد هذه المنولوجات سبعة وهى :

(١) القتال وطيف المقتول : محاوره بين قاتل وطيف مقتوله شرح فيه ما يشعر به القاتل من توبيخ الضمير الهائل الذى يقضى على حياته فى النهاية

(٢) العفو عند المقدرة : محاوره بين منتقم لأبيه وقاتل لهذا الأب . تنازع هذه القطعة بما حوته من شرح شعور كل من القاتل والمنتقم ونفسية كل منهما ثم شهامة المنتقم وقوة ارادته « وعفوه عند المقدرة »

(٣) المال : محاوره بين غنى وفقير وخدام . تتجلى فى هذه القطعة النفس الديمقراطية العالية بأجلى معانيها ، ففيها شرح المؤلف نفس الغنى المتكبر الجهول ونفس الفقير الطاهر الشريف ثم كيف يتنازل ذلك المتكبر العاثر ، الفخور بأمواله ، ويصافح يد الفقير الشريفة ويضم نفسه

الطاهرة . وهكذا انتصر الشرف على المال والحسب

(٤) آلام شاعر : منولوج وجداني . ملأه سخطاً على الحياة وآلامها لما حوته من قلوب مفعمة بالقسوة والظلم . كله يأس وأحزان على أنظمة الحياة الفاسدة وتحسر على انعدام العدل الانساني وقيام دولة الطمع والجشع في النفوس البشرية

(٥) ابن الوطن أو اللقيط : قطعة وطنية حماسية تنتصر فيها الأعمال الجليلة على الانساب والاحساب . يمجّد فيها المؤلف الشخص العصامي صاحب العمل الشريف النافع

(٦) الزوج القاتل : قصة زوج قتل زوجته التي خانته مع صديق له . شرح فيها شعور ذلك الزوج ودفاعه عن نفسه دفاعاً أثبت في نهايته هذه الحكمة المعروفة :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
(٧) الوردة الذابلة : قصيدة نونية تبلغ الثمانين بيتاً تمتاز بجمال المحاور
النظمية التي تخللها ، وسلاسة الأسلوب وسهولة اللفظ ورقته . هي قصة
فتاة سقطت في حمأة الرذيلة عن طريق الغواية . صوّر فيها تيمور صورة
التمس والشقاء وما يحيط تلك النفس المسكينة من أنواع العذاب والحن .
فأصاب الحقيقة بهذا التصوير الفني لأنه أخرج للناس منظرًا من مناظر
الحياة الذي يتكرر وإن اختلفت العصور والأزمنة

القسم الثاني : نفره على الممثلين

هو سلسلة مقالات انتقادية عن أبطال الممثلين ظهرت في جريدة المنبر سنة ١٩١٨ فأحدثت رجة كبرى في عالم التمثيل وشخصت اليها أبصار الادباء المهتمين بالحركة التمثيلية المصرية فكانوا يتخاطفون أعداد الجريدة ويطالعونها بشغف كبير . ولا غرو فهذه المقالات كانت الاولى من نوعها لان الفقيه توخى في كتابتها أصول النقد الصحيح الخالى من الاطراء والقدح . لم تثنه الصداقة التي كانت تربطه بمن انتقدهم عن اخفاء حقائقهم بل شرح بكل صراحة وبلا تحيز نقائصهم وفضائلهم على السواء . كتب ما كتب باخلاص وصدق نية ماعياً وراء الحقيقة ومجاهراً برأيه بمجرأة وحرية مدهشة . كل ذلك في سبيل الفن الذى كان يسعى دائماً في اصلاحه وتهذيبه . ولا ريب في ان هذا العمل كان أكبر مظهر لاستقلال رأيه وحرية ضميره ونزاهته ، ولكن حرية الآراء ما زالت وليدة الامس في مصر . ولحق الصريح اذا جاهر انسان به في هذا البلد عدو البعض جرعة لا تغفر . ذلك لان القلوب ما زالت تحوى بذور الانانية والاعجاب بالنفس والمصالح دائماً لا يقابل عمله — ممن يريد اصلاحهم — بالتحجيز والتشجيع ، فغضب بعضهم من هذا الانتقاد — وماحق لهم أن يغضبوا لان السكامل لله وحده والانسان مهما علا ففيه عيوب خافية عنه يجب أن يعرفها ليجتهد في اصلاحها .

ولذا رأينا تيمور الطيب القلب يوجه كلامه لمن غضبوا من انتقاده عليهم في مقدمة « محاكمة المؤلفين » مناشداً إياهم — ثم وغيرهم ممن سببكم عنهم — أن لا يقابلوه بوجههم الغاضب اذا قرأوا شيئاً عن انفسهم ولم يرق لهم . وهانحن نثبت المقدمة ليطالع عليها القارئ ويعلم منها تلك النفس الطيبة التي كانت تسعى جهدها للاصلاح في جو السلام والصفاء

المقدمة : (اتقدم للقراء الكرام بنشر هذه القصة الخيالية بعد ان ترددت كثيراً في نشرها خشية اغضاب اخواني الممثلين ، واخواني المؤلفين . لم أقصد اهانة أحد منهم ، وحاشا أن أفعل ذلك بل انى أجل كل مؤلف وممثل عن أن يتسرب لرأسه هذا الرأي الضئيل)

الى أن قال : (وآمل أيضاً اذا قابلات أحداً منهم في الطريق أن لا يقابلنى الا بوجه بشوش لأننى لا أكتبم القراء وقد تألمت كثيراً بعد كتابة مقالاتى عن الممثلين في جريدة المنبر وذلك لما كنت ألقاه من اخوانى أبناء الفن من الاعراض)

وقد اشتمل نقده على الممثلين المرحوم الشيخ مسلامه حجارى ونجيب افندى الريحاني وجورج افندى أبيض وعبد الرحمن افندى رشدى واخوان عكاشه وعزير افندى عيد والسيدة منيرة المهديّة والآسة روزا ليوسف والسيدة ميليا ديان وغيرهم . وكان يوده أن يتم هذا النقد ليشمل جميع أبطال التمثيل ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك .

أرجو القارئ أن يقاب صفحات هذه المحاكمة الخالدة ليرى الصور المتقنة التي استطاع تيمور أن يرسمها بقلمه الهزلي ، ويسمع الأحاديث العذبة التي انطوت تحتها النكتة البهجة والمجون اللطيف ، ثم بدأ المؤلف بعد هذه المقدمة الطويلة المحاكمة نفسها

كانت رغبة المؤلف أن يكتب عن جميع المؤلفين الذين عرضهم في قفص المتهمين ولكنه لم يكتب إلا عن فرح أفندي أنطون وإبراهيم أفندي رمزي ولطفي أفندي جمعه و خليل أفندي مطران . وكان في ذلك الوقت يحرر السفور فلما أرجعه الى الصديق عبد الحميد حمدي حالت بعض الظروف الخصوصية بينه وبين الكتابة فانقطع عن العمل ولما زال المانع وأراد الكتابة في هذا الموضوع لم يجد من نفسه ذلك الباعث الاول الذي دفعه فأرجأ تمام العمل الى الوقت المناسب وكان في نيته طبع هذه المحاكمة على حديثها كرسالة هزلية انتقادية ولكن القضاء لم يرد تمام ذلك العمل فطواه الى الأبد

استطاع تيمور أن يعرض للقراء في محاكمة الاربعة (أنطون ورمزي وجمعة ومطران) صورة حية لكل مؤلف وأن ينتقد بإيجاز أعمالهم المسرحية ويشرح طريقة كل منهم في التأليف وقيمة هذه المؤلفات في نظر المنتقد الفنى . كل هذا بأسلوب قصصى أخاذ .

القسم الرابع : مقالات عن التمثيل مختلف

هذه المقالات عديدة ومتفرقة ولكن أهمها وأحسنها قسمان :

القسم الأول : مقالات عن التمثيل الفنى واللافنى نشرها فى السنة الخامسة من جريدة السفور وشرح فيها أنواع الروايات التمثيلية الفنية واللافنية . وهى مقالات قيمة عن الفن تصح أن تكون مرشداً للمشتغلين بفن المسرح والقائمين بتأليف الروايات وتعريبها . أما القسم الثانى فمقالات أخرى نشرها فى السنة الرابعة من السفور وضمها تاريخ التمثيل فى فرنسا ومصر باختصار . وهذان القسمان يحويان زبدة آراء الفقيده عن التمثيل لانهما بلا ريب نتيجة أبحاثه الخاصة فى الفن المسرحى وملاحظاته الشخصية عن المسرح المصرى ومنهما يرى القارئ بعض ذلك الوميض الذى كان يملأ قلبه ويامع فى عينيه ، وما ذلك الوميض غير تفانيه فى المسرح ورغبته الشديدة فى اعلاء التمثيل المصرى واصلاحه

القسم الاول يتضمن أربع مقالات متتالية ، وفى المقالة الأولى تكلم الكاتب عن التمثيل الفنى فعرف أولاً ماهو التمثيل وماهى العوامل الاساسية لبناء الرواية ووضعها ، ثم تكلم عن تقسيم الروايات التمثيلية وشرح كل قسم شرحاً وافياً

وفى المقالة الثانية تكلم عن أنواع الروايات فعرف التراجيىدى والدرام والكوميديى الاخلاقية والكوميديى دراماتيک مع الافاضة فيما يتطلبه تأليفها من العوامل الاساسية

وفى المقالة الثالثة تكلم عن التمثيل اللافى فذكر أنواع الروايات اللافنية وهى الميلو درام والجراندجينول والفودفيل والريفو ، ثم عرف كل نوع من هذه الانواع وذكر عيوبها ، ثم ختم المقالة عن نبذة مفيدة شرح

فيها أسباب تدهور التمثيل الفني في مصر . وهي على قصرها تصح أن تكون درساً عالياً لمديرى الاجواق الفنية ليمتثلوا بما فيها من الحقائق .
وفي المقالة الرابعة شرح الكاتب باختصار أسباب نجاح التمثيل اللافنى .

أما القسم الثانى فيشمل سبع مقالات متسلسلة : الاولى مقدمة عن التمثيل ختمها بحديث عن النهضة الاخيرة على يد أبيض . وفي المقالات الخمس المتتالية تكلم فيها عن تاريخ الدرام والكوميدي في القرون الوسطى ثم شرح أنواع الروايات التى كانت تمثلها الجمعيات التمثيلية الاولى فى فرنسا ثم تكلم بعد ذلك عن التراجيديدى والكوميدي فى القرن السادس عشر . والمقالة السابعة تاريخ مختصر للتمثيل فى مصر

روايات التمثيلية

لقد ذكرنا فى تاريخ حياة الفقييد . ألفه وما عربه من الروايات التمثيلية وتكلمنا عن كل رواية باختصار واعدنا الافاضة فى باب التمثيل . والآن وقد أتممنا الكتابة عن نظمه ونثره ومقالاته عن التمثيل ولم يبق الا رواياته التمثيلية وهى خير شئ عمله فى حياته وصرف فيه جهده بل هو الشئ الوحيد الذى كان يملأ ركننا من أركان قلبه حق علينا أن نسهم بهذا العمل ونشرحه شرحاً وافياً ناصحين القارىء الكريم أن لا يسهل قراءة هذه الروايات فى مجموعته لأننا مهما أفضنا فى الكلام عنها فنتجن

عاجزون عن اظهار روح المؤلف المتجاية فيها وذلك الجمل السحري
المنتشر على صفحاتها

سيكون حديثنا في هذا الباب الحديث الختاني عن حياة وأعمال
هذا الشاب العامل المجتهد الذي ضحى حياته القصيرة — حياة الشباب
والمسرة — في التأليف والكتابة والعمل الصالح الطيب الآداب والمسرح
سيكون هذا الحديث عن ثلاثة روايات ألفها تيمور فكانت
بأكورة أعماله ومنها عرف الجمهور نبوغه ورأى تلك الشعلة المتقدة
في قلبه شغفاً بالفن وحباً في رقيه . ثلاث روايات فحسب كتبها تيمور
الناسي نخلد بها اسمه في تاريخ المسرح المصري . وهي وإن كانت قليلة
العدد لكنها جليلة الأثر عظيمة النفع فليس البطل بظلاً بكثرة أعماله
بل بقيمتها . ورواياته الثلاثة التي سنتكلم عنها هي « الصنفور في القفص »
و « عبد الستار افندي » و « الهاوية » وقد أحملنا « العشرة الطيبة »
وغيرها من معرباته لأن الأولى ليست من عمله وحده فقد اشترك معه
في وضع أجزائها المرحنة بديع افندي خيرى ، وقد تكامنا عنها فيما سبق
باختصار . ولأن الثانية معربات لم يكن تيمور نفسه يهتم بها كثيراً

مقدمة عن الثلاث روايات

كان تيمور من أنصار ومؤسسى مذهب « الروايات المصرية » أو
كما يسميه البعض « المسرح المصرى » وهو تأليف الروايات المصرية

المصرية ذات الألوان المحلّية، وإحلال هذه الروايات محلّ المعربة ذات الحوادث والمناظر الأجنبية لانه كان يرى أن نهضة التمثيل في مصر لا تأتي الا من هذه الوجهة . وقد كتب عن تدهور التمثيل الفني في مصر فذكر ان من الاسباب المهمة التي أدت الى هذا التدهور هو إهمال الأجواق تمثيل الروايات المصرية فقال في ذلك ما يأتي : (... والآن نريد أن نبحث عن أسباب تدهور التمثيل الفني وأول هذه الاسباب هو تهافت أجواقنا الفنية على تمثيل الروايات المترجمة التي لا يفهمها المصري ولا يرى فيها شيئاً من أخلاقه وعاداته . ليس التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات أفرنكية قيمة ومحبوكة الوضع ولكن التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات تبحث في شؤونه العصرية ليأخذ منها درساً يستفيد منه ...) هذا هو مذهب تيمور وقد سار عاياه بأمانة وعمل على نشره وقد نجح فيه نجاحاً عظيماً . أما رواية الاب ابونار فلم يربها التقيد إلا للاحاح صديقه الاستاذ عبد الرحمن رشدي الذي كان عازماً على إخراجها في إحدى مواسم الاوبرا . وروايته اللغز عربها شغفها خصب . ولقد صدق ظن تيمور في مذهبه هذا فان الجمهور المصري متعطش لروايات مصرية ذات جو مصري ومناظر مصرية وأشخاص مصريين وحوادث مصرية والدايل على ذلك اقبال الجمهور اليوم على مثل هذه الروايات وتعظيمه لها بينما ترى أغلب الروايات الاخرى المعربة منبوذة قليلة الأهمية ان من طالع روايات تيمور وشاهدها على المسرح يجدها تتحد في ثلاث نقط أساسية :

الاولى : كتب تيمور رواياته الثلاث باللغة المصرية (العامية)
لأنه وجدها أكثر انطباقاً للحقيقة والواقع من اللغة العربية الفصحى .
وقد حاول مرة فكتب روايته الاولى « المعفور في القنص » باللغة
العربية ومثلات بهذا الشكل ولكنه أعاد كتابتها باللغة العامية . وكان
رأيه في مشكلة اللغة أن يكتب المؤلف بالعامية اذا كانت الرواية مصرية
عصرية ، وبالعربية الفصحى فيما عدا ذلك كتأليف الروايات العربية
والمصرية القديمة (الكلاسيك) وتعريب الروايات من اللغات الأجنبية
وهلم جرا . ونظريته هذه غاية في الصواب لان الكاتب « الريالست »
أى المتبع المذهب الحقيقى اذا كتب رواية عصرية باللغة الفصحى كان
هذا العمل مخالفاً للحقيقة التى ينشدها لأن بغيته من كتابة هذا النوع
من الروايات هو عرض مشاهد حقيقية من الحياة المصرية ، عرض
أشخاص يتكلمون بلسانهم ويعيشون فى جوهم ، عرض حقائق لا
عرض خيال . وقد دل هذا العمل على جرأة تيمور وشجاعته فى الإفصاح
عن رأيه لأننا لا نبالغ اذا قلنا أنه أول من كتب للمسرح الجدى
روايات فنية باللغة العامية .

الثانية : لقد ذكرنا قبلاً أن تيمور كاتب تصويرى بالفطرة ، وقد
ساعدته فى ذلك ثبوت المراثى والحوادث فى ذهنه وقدرته على التقليد
ولذلك رأيناه فى أغاب كتاباته مؤلفاً تصويرياً يصور لك الحقائق
فكانها هى .

كتابات تيمور صورة حقيقية من الحياة وأوصافه تامة ناجحة ، كاملة

ناطقة . فقد كتب « ماتراه العيون » و « خواطر » و « مذكرات
باريس » وقصة « الشباب الضائع » وغير ذلك فصور للقارئ صورة
حية ذات لون حقيقي ، وكتب رواياته أيضاً فعرض على المسرح قطعة
من الحياة بجوها وأشخاصها وكلامها وحوادثها

الثالثة : قدرته على صياغة حوادث الرواية بدون مغالاة ولا حشو .
فرواياته جميعها حية نقطة مملوءة بروح - حرية ورشاقة عذبة . وإن شئنا
أن نزيد القارئ إيضاحاً نقول أن رواياته خالية من المشاهد المملة وهي
كما يقولون « محبوكة » وحوادثها دائماً تأخذة تجعل المتفرج دائماً يتطأ
منتبهاً متنبهاً حوادثها . وهي فوق ذلك روايات فنية جليسة توحي في
تأليفها أصول الفن قبل ارضاء الجمهور وضمنها انتقاده الصحيح عن
الأخلاق والمعادن المصرية

العصفور في القفص

رواية من نوع السكوميدي ذات أربعة فصول مكتوبة باللغة
العامة وموضوعها عصرية عن الحياة المصرية . صحيفة من تاريخ عائلة
من عائلتنا . حال فيها المؤلف نفوس أشخاصه تحايلاً عجيباً وأظهر
لكل منهم شخصية بارزة مهمة وانتقد فيها بعض النقائص الأخلاقية
الشرقية التي تؤدي غالباً إلى كوارث عائلية ربما انتهت بفاجعات مؤلمة .
« أشخاص الرواية »

(١) محمد باشا على الزفتاوى : أحد أعيان الأرياف الموسرين رحل

عن بلده بعد أن سقط في انتخاب مجلس المديرية — أمنيته العظمى في الحياة — وسكن القاهرة ليتزلف لبشوات الحكومة وأعيانها ليتوسطوا له في الانتخاب الجديد . رجل له ثروة عظيمة لا ينفق منها الا النذر القليل على بيته وعائلته ، وإن أنفق شيئاً غير ذلك فجرياً وراء الأبهة والعظمة الساذبة ليقول الناس عنه انه غنى . مقترج التمييز على ابنه حسن ، يعطيه في الشهر ستين قرشاً ويحرم عليه جاوس القهاوى ليشرّب المبردات مثل الكازوزة وخلافه . يقسو عليه كثيراً ظاناً منه أن هذه القسوة خير علاج لتربية النفوس . هو رجل من رجال العصر الماضي كلف بالافكار القديمة متعصب لها ، كاره لكل شئ جديد نافع ، يمتن مثلاً مهنة المحاماة والطب ويقبحهما بينما يملل بالقضاء ووظائف الحكومة

(٢) حسن بك على بن محمد باشا على الزفتاوى : شاب في المدارس الثانوية حسن الاخلاق ذواباء وعزة نفس . نشأ في بيت المذلة والألم فشب يائساً . من حياته كازماً لها . أساء والده معاملته وحرمه من عطفه وقتر تاليه تقيراً مخجلاً فساب منه حب الابن لأبيه وزرع في قلبه النفور منه . لم يجد حسن في تلك البيئة العابسة التي تحيط به أحداً يشفق عليه ويشاركه آلامه الا فتاة غريبة خادمة ، فأحبها وأحبته ووجد فيها نفساً طيبة وقلباً طاهراً كريماً . أحدث ذلك الحب في حياته بهجة لمعت حيناً في ذلك الجو المظلم ثم أخذت تهب عليها العواصف الهوجاء حتى كادت تمحيها من عالم الوجود لولا عزيمته ذلك الشاب واباء نفسه . لم يكن ما أتاد حسن بحب هذه الخادمة بالأمر الشريف ولكنه سقط

بالرغم منه في ذلك المسكروه مدفوعا بقسوة أبيه وسوء معاملته له
وتقيده عليه ، ولو كان معزز الجانب محاطا بالرعاية والعطف الابوي لما
زالت نفسه الطاهرة هذه الزلة السيئة)

(٣) محمود بك : شاب من أقرباء حسن ، عاقل مهذب كامل . طالب
في مدرسة الحقوق ورفيق حميم لحسن يفشى له الاخير أسرارده ويعتمد
على مساعدته . مثال الشهامة والاخلاص

(٤) أمين بك : من أقرباء حسن ، فتي وارث استغنى من
المدرسة حديثا وسلك طريق التبذير والسهر ولكنه خفيف الروح
ضحك ينظر الى الحياة نظرة جميلة لا يرى فيها كدرا ولا حزنا فهو
سعيد بالرغم من الحياة نفسها . يدعى أنه أصبح رب عائلة بعد وفاة
المرحوم والده ولذلك وجب عليه التفرغ لمراقبة أعماله بنفسه لئلا يسرقه
من هم تحت أمرته

(٥ ، ٦) « عزيزه هانم ومرجريت » : الاولى والدة حسن ، أم
منكودة الحظ في زواجها ، تقاسى عشرة زوجها البخيل الجهول وتحمل
آلامه بسبر كبير — هي رمز المرأة الشرقية القديمة . لا تستطيع أن
تنزع عن ابنها قسوة أبيه ولا تمنحه الاما تقدر عليه من المساعدة الطمينة .
والثانية خادمة افرنجية عطف على حسن وأشفقت عليه ثم أحبته
كما أحبها . فتاة طيبة وطاهرة ولكنها فقيرة

هذه أهم أشخاص الرواية وسنتكلم الآن عن موضوعها باختصار

موضوع الرواية

يعيش حسن بك بن محمد باشا على الزفتاوى في منزل والده عيشة
الذل والتعاسة محروماً من عطف أبيه ومن مساعدة والدته فيهم بحب
فتاة أفرنكية خادمة في منزله يرى فيها مثال الاخلاص والوفاء . تدفعه
قوة البيئة التي يعيش فيها الى هذا الحب الحقيق فيندفع فيه بالاروية ولا
حساب راض من حياته التعسة ببعض أويقات غرامية وجد فيها ما
ينقسه من شفقة وحنان وعطف . فاستمرأ لذتها بنفس شغوفة محرومة من
كل مسرات الحياة . يعيش حسن بك غارقاً في أحلام الحب غير عالم ما
يخبئه له المستقبل المجهول من مصائب الأقدار ، فيصحو على ضجة هائلة
وفضيحة نارها مستعرة في أفق منزله اذ ينكشف هذا الحب الحقيق
لجميع أفراد عائلته فيطردوا أمامه من أحبها وأحبته إزِيلوا ذلك الرجس
الذي اتاه ويسدلوا الستار بينه وبين حبه . فيثور حسن ثورة يفتضح بها
عن آلامه ويتهم والده العنيد الجهول بأنه هو الذي دفعه الى حب هذه
الفتاة ، ولكن سرعان ما تهدأ تلك الثورة فتخرج الفتاة من دار الحب
ويُسجن الفتى في بيته يعيش عيشة الذل والمسكنة كالسابق . ويمضى على
هذه الحادثة بضعة أشهر وحسن يجتهد في نسيان الماضي عاملاً على احياء
مستقبله من طريق الدراسة ولكنه يفشل في الامتحان فلا ينال شهادة
البكالوريا . وفيما هو ساكن هادئ اذ يصله ثلاث خطابات متتالية في

أوقات مختلفة كلها من عشيقته مرغريت تخبره في أولها أنها حامل ،
وتهدده في الثاني بإعلان ذلك إذا تركها بلا مساعدة ، وتخبره في الأخير
أنها عازمت على الحضور بنفسها في يوم عينته له لتفصح عن أمرها أمام
عائلته وتطلب المعونة جهاراً لتربية طفله . فتشتعل نار الثورة في رأس
الفتى من جديد ولا يجد أمامه غير رفيقه الحميم محمود فيكشف له سره
ويخبره بأنه عقد العزم على الخروج من هذا المنزل والاحاق بالفتاة التي
أحبها بالامس والتي يحتاج في أحشائها جنين هو من دمه لأن شرفه يحتم
عليه مساعدة الفتاة ، وأنى له المساعدة في هذا المنزل وهو خالي الوفاض
قفر اليدين من النقود . فلم يجد محمود غير وسيلة واحدة وهي افشاء
ذلك السر الهائل لو لدة حسن عليها تنفق معهم على أمر يرضى حسن قبل
أن تعظم المصيبة فيعلم الأب حقيقة المسألة من نفس الفتاة التي عينت هذا
اليوم ميعاداً لحضورها . فترضى الأم بتقديم المعونة للفتاة وتكاد المسألة
بهذا الحل تقترب من النهاية المحمودة ولكن حضور الباشا وحضور
مرغريت بعد برهة وجيزة يفسدان الأمر فتعرف الحقيقة وتعلن
الفضيحة على رأس حسن يسمعها الجميع بقلوب واجفة ، فيزأر الباشا زئيراً
نخيفاً ويهم بطرد الفتاة ولكن حسن يتصدى لوالده ويخبره بالهجة قاسية
تخلها الارادة وعزة النفس انه لا بد لاحق بها اذا قضى أبوه أن يطردها
وغل يده عن مساعدتها ، لانه لا يرضى أن يكون خسران النفس وضيعها
فيترك الوالدة بلا مساعدة ولا رحمة وطفلة بين جوانحها . فيزجر الأب
ويطرد الاثنين شر طرد وبهذا تحتم أول مرحلة من حياة ابنه .

ينتقل حسن الى السكنى فى منزل صغير مع حبيبته مرجريت التى تزوجها. يكسب عيشه من وظيفة متوسطة فى محل الجمل فى عيشة صغار الموظفين قانعا بزوجته محبة له محبوبة منه . وتمضى الايام سراعا فتلد له مرجريت طفلا وضاء الطالبة جميل الحيا يكسب حياة والديه بهجة وسرورا

تأتى والدته حسن اذ زيارة ابنها ومد يد المساعدة له والتمتع بمشاهدة حفيدها خلصة بدون علم زوجها الباشا وكذا يزوره صديقه أمين ومحمود . ففى يومٍ والكل عجة معون فى منزل حسن ينتظرون أوبته من محل عمله ينظرون من نافذة الحجرة المطلة على الشارع فيرون حسن آيباً ومضطجعا معه رجل ملتجى يعرفونه بأنه عبد العزيز باشا رضوان عين أعيان الحكومة ، وقبلة محمد باشا على ومعبوده الذى يعتمد عليه لیساعده فى الانتخاب لمجلس المديرية

يدخل حسن ومعه الباشا فيقدمه لمحمود وأمين ويقدمهما له ثم يبدءون الحديث فيخبرهم عبد العزيز باشا رضوان أن حسن أسدى اليه ممر وفان ينسأه الى الأبد بأن نجاء من الموت تحت عجالات الترام ، وهو يريد أن يجازيه على هذا المعروف بمد يد المساعدة له فى التوسط بينه وبين أبيه وقد كان يجهل الخصام العائلى الواقع بينهما ، فيمال الجميع لهذه الفكرة ويستحسنوا حضور الباشا والد حسن فى الوقت نفسه ايتهم الصالح حالا ، ويذهب أمين بسيارته الى قهوة . . ويخبر والد حسن ان عبد العزيز باشا رضوان يريد أن يراه بخصوص موضوع انتخابه لمجلس

المديرية فيهرع الباشا مغتراً الى منزل حسن ويقابل الجميع . فينتاحم معه
عبد العزيز باشا رضوان ويتعهد له انه اذا قبل اقتراحاته فان انتخابه
محقق هذه المرة فيقبل الباشا الاقتراحات جميعها وهي تتضمن مساعدة
حسن مالياً مساعدة شهرية جارية وابقاء الوقفية التي كان الباشا عازماً على
عملها وفيها يحرم ابنه من ميراثه . فيتم بذلك الصالح بين الولد وأبيه وتزول
الضغائن من القلوب ولكن الذي يسبب الوثام الحقيقي وينشر ألوية
السلام على أفراد العائلة ايس مجالس المديرية ولا إلغاء الوقفية بل هو ذلك
الطفل البريء من كل ذنب فانه حالمسا يراه جده ويتمتع بتلك الابدانة
المشرقة على جبينه الواضح ينسى كل شيء ويمتلئ قلبه بالاطف والحنان
ويشعر بحبة لم يشعر بها من قبل وهكذا تتمكن روابط الألفة والمحبة
وتزداد بين أفراد العائلة من أجل تلك الزهرة النامية ذات العبير الجميل

ما يقصده تيمور من روايته

غاية تيمور الاساسية في كتابة رواياته هي . اذكرونا آثافا وكررها
عند الكلام على معظم نثره ألا وهي عرض قطعة حية من الحياة المصرية
بمناظرها وأشخاصها وأخلاقها وشرح تلك الاخلاق شرحاً يفهم منه
القارئ أو المشاهد وجه النقد الذي يقصده المؤلف والحكمة الجلية
التي أرادها وبني روايته من أجلها . ومن اطاع على الرواية أو ساعده
الحظ فرآها من الفرقة التي مثلتها لأول مرة لابد وأنه أعجب بمهارة
المؤلف في رسم اشخاص روايته وفي نقده الاخلاقي وبه الحكمة العالية

بين سطورها . أما الحكمة التي أرادها المؤلف في رواية « العصفور في القفص » فقد قالها على لسان أحد أشخاؤه (عبد العزيز رضوان) حيث جعله يحدث الجميع قائلاً : « آه . أدى غلطة الأبهات . غلطتنا نشد الخناق على أولادنا حتى لما يعصونا نطردهم » . وبالحكمة جائلة مازالت تتكرر على مسرح حياتنا المصرية ولن تزال تتكرر حتى يصحوا الآباء من غفلتهم فيعلمون أن الشدة والقسوة والاستبداد بأولادهم ليست مظهر من مظاهر التربية الحقة بل هي مظهر من مظاهر الحق والجهل الذين طالما سببا الشقاء الدائم لأفراد الأسرة . ولم يقتصر المؤلف على ذلك بل شرح أعمال حسن ولم يقره على ما أثناه ليعلم الناس أن ذلك الفتى قد أثنى ما أثناه بحكم الضرورة وقسوة الظروف ، فما زواجه لفتاته إلا فعلة مستنكرة كان من الواجب أن يحجم عن عملها فجعل عبد العزيز باشا رضوان يخاطب محمود بك وأمين بك رفيق حسن بالنصيحة الآتية قائلاً : « ما تظنوش يا محمود بك ويا أمين بك أن حسن عمل طيب . الظروف كانت قاسية عليه جداً . فأنصحكم انكم ماتجوزوش إلا من جناسكم »

رواية عبد الستار افندى

رواية عبد الستار ذات أربعة فصول من نوع الكوميدي
الاخلاقى . كتبها المؤلف في وقت أينمت فيه المسارح الهزلية

وكثير الاقبال عليها حتى كادت المسارح الجديدة ذات الدرام والتراجيدى تهوى بروايتها الى هوة الافلاس والهلاك . كتب تيمور روايته لغرض أساسى واحد هو اختبار ذوق الجمهور واجتذابه اليه برواية فنية اخلاقية ، ذات مشاهد هزلية ونكات طالية عذبة ، وروح خفيفة ضحكة ، حتى اذا أفاح في جذبه الى هذا النوع الجديد من الروايات الكوميديية أيقن بفوزه على التمثيل الهزلى الخالي المفسد للأخلاق . فجاءت رواية عبد الستار بدعة على المسرح جامعة لاصول الفن ومسببات الهزل والمجون - رواية لا أغالى اذا قلت عنها انها ابتسامة ساحرة من مبدئها لنهايتها ، أخاذة بمشاعدها ، طالية بحوادثها ، خفيفة بكلامها ، عذبة بهزلها ، قوية بنقدها ، تامة بتعاليلها

كان هذا غرض المؤلف من وضع رواية عبد الستار ولكن الظاهر أن تمثيل الرواية في هذا الاوان كان سابقاً لوقته لان الجمهور في ذلك الوقت لم يكن قد امتلأ من الهزل الخالي بأغانيه ورقصه ومدحشات مناظره . فلم تعش « عبد الستار » على المسرح وان كان نجاحها فى الليالى الاولى مدحشاً . لم تعش « عبد الستار » لهذا السبب ولاسباب أخرى أهمها ان الجوق الذى مثلها جوق غنائى على رأسه المغنية المطربة السيدة منيرة المهدية ، والرواية التى لبس للسيدة دور فيها أو بالحرى الرواية الخالية من أنشودة من أنشيدتها كان محكوماً عليها بالفشل . وهكذا كان نصيب رواية « عبد الستار » - رواية كوميديية راقية تمثل على مسرح لم يرن فى جوانبه غير غناء السيدة ولم يدو فى أرجائه غير تهليل الجمهور وتصفيقه

لها . واعلم هذه غلطة من غلطات المؤلف التي لم يكن يحسب لها حساباً ،
وكثيراً ما تخطئ ظنون المرء

أشخاص الرواية

(١) عبد الستار افندي : رجل عالم ، من الطبقة المتوسطة ، موظف
في إحدى الوزارات براتب تسعة جنيهات ، متصابي يغازل النساء ويفتخر
بذلك ، جبان القلب ضعيف الإرادة إلى حد جعله العوبة في يد امرأته
القاسية وابنه الوقح ، يأتمر بأمرهما ونهيهما . ولكنه ذو قلب طيب ممتلئ
بالشفقة والحنان ، يحب ابنته فوق كل شيء ويطلب لها العيش الرغد
والحياة السعيدة . ومن أجل تلك الابنة أراد عبد الستار الذليل المهضوم
الجناح أن يرفع رأسه وينادي بخلاص ابنته من هوة الزواج السحيقة
التي أراد أخوها وأُمها (أي ابنة وزوجته) أن يرميها فيها . اختار
عبد الستار افندي فتى شريف النفس ، مهذب الاخلاق ، كامل الطبع
اسمه بليغ زوجاً لابنته . ولكن ابنة عفيفي لم يرض بهذا الزوج بل
اختار شاباً صعلوكاً ، ذئب النفس ، مشهوراً بالنصب والاحتيال ، اسمه
فرحات ، سمى عند عفيفي هذا المسمى واعداً إياه أن يزوجه ابنة أحد
العظماء الموسرين إذا تم له زواج أخته . فرفض عبد الستار هذا الزواج
وتشبت بفتاه الذي اختاره لابنته من قبل . وبدأت معارضة من ذلك
الحين وكان بالأمس يعيش مطأطئ الرأس راضياً بما قسم له خاشعاً أمام
زوجته صاغراً لما أمر به ابنته . رفع عبد الستار عقيرته وتجرأ أن يسمع

صوته لأول مرة مدافعاً عن ابنته وسعادتها . ولم تكن صدمات الزوجة
والابن وقساوتيهما بمناعة اياد من السعي المتواصل وراء بغيته ، كان بين
تارة ويهدد طورا ، كان يتراجع مرة ويهاجم أخرى . وهكذا جعل المؤلف
شخصية عبد الستار مسرحاً لنضال قائم بين الارادة والضعف ، بين
العزيمة والوهن . وهل ننسى ما يقوله ذلك الاب المسكين الذي ما دفعه
الى ذلك العناد القوي غير حب ابنته ورغبته في إسعادها : (والله طيب
يا عبد الستار . قعدت تخاف وتستر على كل حاجة وعشان كده سيوك
عبد الستار . لكن عشان خاطر بنتك راح تعمل اللي انت عايزه وبكره
يسموك عبد القادر !) وهل ننسى أيضاً معارضته لنفسه حيث يقول
لها بقاب جرى : لم يتعود من قبل غير الرضى والاذعان : (مستحيل ان
فرحات ده يتجوز بنتي . سامعين ؟ أنا سكت لكم كثير . لكن المرة دي
راجع اعمل اللي ما يتعمل) يقول عبد الستار هذا القول الذي يدل على
تجدد العزيمة وازدهار الارادة وهو الذي سمعناه من قبل يقول ساخطاً
على حيانه راضياً عن ذله : (والله يا عبد الستار خلّيت بنفسك شوية من
السكاينة اللي رماك ربنا بها « يعنى زوجته » . في الديوان رئيسك
موريك الغاب وفي البيت ابنتك مكفرك ومراتك مطاعة روحك ...
القصد أديك بقيت لوحدك) . ولكن شخصاً ثبت الدّل في قلبه وأضى
عمره في بيئة كلها قسوة وامتهان وخالت نفسه من بذور الارادة الصالحة
يستحيل عليه أن يخلق له عزيمة ثابتة ويؤسس له ارادة قوية صلبة .
ولذلك رأينا عبد الستار افندي يحزن ويتراجع القهقري خصوصاً بعد أن

حبسه ابنه وزوجته في المنذرة الرطبة حيث أمضى طول الليل على مقعد من الخشب . أثرت فيه تلك القسوة فالتجمل ما تجد من ارادته واستسلم لأوامر ابنه وزوجته فرأينا جميلة ابنته تصرخ قائلة وهي تجيب عم خليفه ، حليف أبيها وساعده الأيمن : « نرتب إيه ونعمل إيه اذا كان انت وأبوي مافيش فيكو قود . لا ياعم خليفه أنا حاتكل من هنا ورايح على نفسى وربنا يساعدي » . تقول جميلة هذا القول بعد ان رأت ان أباهما يكاد يتخلى عنها وكانت تعرف حق المعرفة الى أى هاوية مُساقفة

عفيفي : ابن عاق سبي التريبة فاسد الأخلاق عاطل من أى عمل ، ولكنه يدعى انه عضو عامل في الهيئة الاجتماعية . كيف لا وهو غاوى تمثيل وعضو في جمعية الرفق بالحيوانات ! وقع شرس يخافه كل من المنزل فهو السيد المطاع الذي لا يرد له أمر ولا نهى . يخافه أبوه وأمه ولا يجسران على معارضته فيما يريد ويطلب . ذئب النفس شرير يتخذ له خادمة حقيرة في منزله خلية له ، ويختار لأخته زوجا من المتشردين النصابين طمعاً في زوجة مثرية وعده بها ذلك الصعلوك الكذاب . مشغول بتربية بعض الكلاب في منزله ويكلف أهل المنزل من أبيه الى خادمه — برعايتها وخدمتها . ولا تنسى حديثه وغضبه على الجميع حينما يجد أحدهم كلابه مريضاً ، اذ يقول : « ازاي الكلب فوكس يعي واتم كلكم طيبين . أنا عارف السبب عارفه . » موجهها الكلام لوالدته « حضرتك مانحبش كلابي وموش عايزه حد يعيش في الدنيا إلا الارانب بتوعك . » موجهها الكلام لأبيه « وحضرتك عامل صاحب أشغال ، رايح فين ؟

على الديوان . جاي منين ؟ من الديوان ولا تسألني أبداً عن الكلاب .
« موجهها الكلام لأخته » وحضرتك مانتيش سائله الا عن جوازك .
لا . أخذ ده . لا . ماخذش ده ...)

نفوسة : امرأة عامية من الطبقة المتوسطة سيئة الاخلاق جبانة
القلب تقسو على زوجها الضعيف وترهب ابنها الشرس . شخصية قوية
أوجدها المؤلف في هذه الرواية ليشرح أخلاق نساء (أولاد البلد)
وعوائدهن ومعاملتهن مع الغير ومبلغ رقي أفكارهن . لابنها عفيفي تأثير
شديد عايمها ، فدائماً في صغره تساعده على تنفيذ أوامره بأطاعة كانت أو
حسنة . ولقد رأيناها ترضى بمن أتاه لها زوجاً لابنتها ، ورفضت ذلك
الذي اختاره زوجها ، خوفاً من ابنها واعتقادها أنه أعلى فكراً وأرجح
عقلاً من زوجها . ومن عاشت تلك المدة الطويلة وهي تنظر لابنها هذه
النظرة المجردة عن الحق رهبة منه وخوفاً على نفسها من بطشه لا تجد في
شخصيتها مغالاة ولا ضعف . رضيت نفوسه بمن اختاره عفيفي زوجاً
لجيلة وسمعت الثناء المستطاب من فمه فقبايلته بالفرح والاستبشار
وتلقت كلامه كما يتلقى الانبياء الوحي فلا نقض هناك ولا ابرام .
فكان حظ من اختاره عبد الستار الرفض والطارد والحزء والسخرية .
ودام الحال على ذلك حتى اتضحت الحقيقة وأكد لها زوجها أن
الفتى فرحات شخص . منحنط الاخلاق نصاب لا يليق ان يكون زوجها
لجيلة . وعززت كلامه ابنته التي كانت تمقت هذا الشاب وتميل
لبليغ الشاب المذهب الذي اختاره أبوها . فبرهنت لامها ببرهان قاطع

أن فرحات نصاب وهي ترفض الزواج منه . فرأينا الأم في ذلك الوقت
أما يذبض قلبها بحجة ابنتها وتحتاج نفسها بطلب السعادة لها فسمعناها تقول
لا بنتها : (اوع يا حيتي يا بنتي بخاطر بيالك أني أجوزك الواد بتاع الازبكية
ده « تعنى فرحات » خصوصا وأن جوزك بليغ بك بكره يسطك
ويشوف كيفك . . .) يدل هذا الكلام على أن نفوسه اقتنعت بكلام
زوجها وقبلت بليغ زوجها لابنتها . ولكن سرعان ما يدخل غيفي ويسمعها
صوته حتى يتلاشى ذلك الاعتقاد وترجع الى فكرها الأول معضدة
إبنتها في طابه . والذي يساعد هذا الابن الشرس الوقح على التأثير على أمه
أخلاق عبد الستار الذمائية وسذاجته الكبيرة ، فينصب له الابن مكيدة
يدبرها مع خلياته اخلاصة « هانم » تظهر جميع خفايا قلبه ، فتسمعها نفوسه
زوجته بقلب حاقد ونفس شريره ، تسمع أقواله وهو يغازل ويحدث
هانم بينما تكون مخبئة وراء الستار فيزول ذلك الأثر الباقى من نفسها
وتنهال على زوجها تضربه بنعالها ضرباً مبرحاً بين منه ثم تصدر قرارها هي
وابنتها بحبس عبد الستار في المنسدة فيقضى المسكين طول الليل بين
وبيكى ويندب سوء حظه وعظم سذاجته . هذه أخلاق نفوسه زوجة وأماً .
عم خليفه : رجل كهمل خدام العائلة من قديم ، فهو صديق أكثر
منه خادم ، لا يسلم من اهانات غيفي ونفوسة ولا من مكر الفتاة الخليعة
هانم ، رجل طيب ساذج . وكثيراً ما شاهدنا الطيبة مع السذاجة ،
والمكر مع الذكاء . لا يحب غير سيده عبد الستار لانهما اشتركا في
السذاجة والبؤس . كلاهما ذليل ممتهن يقبل الذل بصمت وصبر .

شخصية جميلة شرحها المؤلف شرحاً وافياً أظهر فيها صورة ذلك العجوز الطيب القلب الصابر على بلواه المخلص لسيدته الذي تملأ البساطة نفسه فتراها على وجهه وتسمعها من كلامه وتجدها ظاهرة في معاملته

جميلة : شخصية جميلة ليست من شخصيات الرواية القوية لأن المؤلف أوجد فيها روحاً غريبة تخالف بعض المخالفة روح بنات مصر . فتاة محبة محبوبية تجاهر برأيها في رفض من اختاره أخوها وتعمان عن رغبتها فيمن تريده زوجاً لها . والمعلوم أن بنات هذه الطبقة ليست فيهن تلك الروح الجريئة خصوصاً في مسائل الزواج واختيار الزوج

فرحات : لا نجد وصفها له أحسن مما قاله عبد الستار في سياق كلامه عنه : (فرحات الواد الصايغ اللي عامل ديل لاولاد الزوات . دا واد صنعتته تخلي الوش يحمر . أنا ما أجوز شي بنتي أبداً من راجل فلاني . بتاع نسوان ، قارتي وحشاش ... وكان يخدم أصحابه ! ...)

بايع : فتى مهذب ، كامل الاخلاق . موظف في إحدى المصالح وثروته بسيطة ، يحب الجميلة يريد لها زوجة له . يتوفى عمه ويخاف له ثروة لا يستهان بها قدرها مائة فدان و ٤٠٠ جنيه ذهب في البنك . بهذا المبلغ يفوز بايع بأمنياته فيهب لحماة نفوسه ونسيبه عفيفي يضع أفدنة ويضع دربهات يسكت بها أصواتهما الممارضة فينتقلبان يسبحان بحمده واليهجان بشكره هائم : فتاة خالصة مراوغة مأكرة . خلية عفيفي وساعده الأيمن في شره . تعبت بمن في المنزل جميعه ، لا تبقى على سيد ولا على خادم بل الكل في قبضة يدها . وكيف لا يكون ذلك وسيدتها عفيفي حامياً

الأكبر. رأينا تيمور يحال أخلاق هذه الفتاة على المسرح تحايلا مدهشاً
من مبدأ الرواية لنهايتها. فكأنه أتى بفتاة جمعت تلك الأخلاق من
بيئتها الصحيحة (البلدية) وأوجدتها على المسرح لتمثل لنا الحقيقة التامة.
فشخصية هاهم شخصية قوية أودع فيها المؤلف نفس فتاة متهتكة خالصة
من فتيات الطبقة البلدية

موضوع الرواية بالمنصاع

عبد الستار افندي رب البيت يعيش في منزله تحت سيطرة ابنته
وزوجته. يختار لابنته فتى مهذباً زوجاً لها ولكن زوجته وابنته يرفضان
ذلك الزوج ويختاران زوجاً آخر من سفلة القوم يدعى فرحات. وكان
فرحات هذا قد وعد عفيفي بأنه إذا تزوج أخته جميلة يسعى له في زواج
كرامة المثرى الوجيه عزيز بك فيغتر عفيفي بهذا الوعد الكاذب آملاً أن
يحقق آاله الخيالية من طريق الزواج ويحتم على والده بقبول فرحات
زوجاً لجميلة. ولكن جميلة تحب بليغ وتريده زوجاً لها وتكتشف عن
طريق الصدفة خيانة أخيها لها بأن تسمع حديثاً يدور بينه وبين فرحات
تعلم منه سفالة أخلاق ذلك الخطيب ومكانته الوضيعة الساقطة في الحياة.
وكان عبد الستار يجاهد في سماع جهاد الابطال ولكن بدون فائدة.
وتوفي في هذه الاثناء عم بليغ فودت منه الفتى ثروة لا يستهان بها قدرها
١٠٠ فدان و ٤٠٠ جنيه ذهب في البنك فيعم عبد الستار الفرح ويذهب
الى زوجته يخبرها هذا الخبر السار ويبرهن لها في الوقت نفسه بسفالة

أخلاق الفتى فرحات وفقره المدقع، فيدق قلب نفوسه فرحاً ويؤول ملبها
من البغض لبلوغ . ويأتى عفيفى فتشرح نفوسه له الامور بمسكنة وذل
ليرجع عن رأيه ويرضى ببلوغ الشاب الغنى المذهب زوجها لأخته جميلة .
واسكن عفيفى لا يرجع عن رأيه ويخبرها بأن كل ما قاله لها عبد الستار
كذب وبهتان . وهل تصدق كلام هذا الرجل الماكر الكذاب الذى
لا يرعى ازواجه عهداً ولا وفاء، فتطاب منه المزيد فيتفق مع خلياته هانم
لتمثل لهما دوراً مع عبد الستار يظهر منه خفايا قلبه . فلما يأتى عبد الستار
يحتجى الاثنان وراء الستار يريان بعينهما تلك المهزلة الغريبة ويسمعان
بأذنيهما اعتراف عبد الستار . تستدرج هانم عبد الستار بخلاعتها ومكرها
فيقع فى شباكها ويفتح قلبه لها ، فتسمع نفوسه من فم زوجها تلك
السكرامية التى خصها بها — تسمع أخبار خيائنه لها مع نساء تعرفين —
تسمع لهجته الغرامية مع هانم ، فتخرج من محبتها والنار تأجج فى قلبها
وتنهال عليه ضرباً بنعلها ثم تأمر بحبسه فى المنذرة الرطبة فيقضى بها ايلة
طويلة قاسية . كانت تلك الرواية التى قامت هانم بتثيلها أمام نفوسه خير
برهان يثبت لها كذب عبد الستار وخيائنه فأصبحت تده منافقا كذوباً
وازدادت ثقتها بانها فأقرته من جديد على زواج فرحات بجميلة . وفى
صباح اليوم التالى لحبس عبد الستار يأتى فرحات مع المأذون ليعقد العقد
على الفتاة ويأتى فى ذلك الوقت بليغ مزوداً بالمال وحجيج الاطيان وتقام
فى ذلك الحين حفلة مزايمة بدلا من حفلة القران فيزبد كل من الخطيبين
صداق الزوجة ويخص كل منهما نفوسه وعفيفى باطيان ومال استمالة لهما .

ولكن فرحات النصاب خالى الوفاض لا يملك الا الدفع . مؤجلا فترجح
كفة بايغ . وبينما السكل على هذا الحال اذ يدخل ضابط بوليس يلقى القبض
على فرحات لانهامه بالنصب والاحتياال فيتم الفوز لبايغ وتصفوا الاحوال

ما بقصره المؤلف من روايته

كتب تيمور عبدالستار لا يشرح للجمهور نظرية أخلاقية أو يعرض
عليهم حكمة غالية بل كتبها لمجرد التحليل النفسى لأشخاص الرواية ،
وعرض قطعة حية على المسرح ظهرت فيها بأجلى بيان الأخلاق المصرية
لطبقة من الطبقات . وهذا نوع الروايات التى تبحث فى درس الأخلاق
فحسب « étude de caractère » . فهى والحالة هذه الرواية الأولى من نوعها
تجلى فيها دقة المؤلف فى الملاحظة وبراعته فى درس الاخلاق . عاب
بعضهم على تيمور أخراج رواية خالية من أى معنى أو قصد ، ولكنهم جهلوا
غرضه الأساسى من كتابتها كما جهلوا ذلك النوع الروائى من قبل لتعودهم
رؤية الروايات ذات المغزى سخيفة كانت أو جليلة . واذا هم دققوا النظر
واعملوا الفكرة وعرضوا أمام أعينهم شخصية كل فرد من أفراد رواية عبد
الستار لتجلى أمامهم قيمة الرواية وقوتها الفنية .

سوف يشرق اسم عبد الستار من جديد فى أفق المسارح المصرية
حيثما تتعدد أمثال هذا النوع فيقر المنكر بفضل هذه الرواية ويعترف
لمؤلفها الراحل بمكانته الخالدة

رواية الهاوية

سمعنا واحدا من أصدقاء التقيد يقول « لو مات تيمور ولم يكتب
الهاوية لقنا أنه مات ولم يفعل شيئا ، أما وقد ألف الهاوية فقد خلد اسمه في
تاريخ التمثيل المصرى » . ومع ما فى هذا القول من المبالغة فهو لا يخلو
من الحقيقة . لأن الهاوية خير رواية كتبها تيمور وربما كانت خير
رواية أخرجها المؤلفون المصريون على المسرح المصرى

رواية الهاوية كوميدى درام ذات ثلاثة فصول صور فيها المؤلف
سيرة لها أساس كبير بحياة العائلات المصرية . تضمنت هذه السيرة ما أنام
المؤلف على لسان أحد أشخاصه يسرى باشا وهى : (مادام الراجل مشغول
بالنسوان والخمرة والسهر والكوكابين طبعاً الست رايحه تشتغل أولاً
بالشرابات والمناذيل ... وبعدين تشتغل بحاجات نانية ... !)

بنى المؤلف روايته على أساس داء الكوكابين — ذلك المرض القاتل
الذى شغفت به الشباب وأقبلوا عليه اقبالاً يندر بسوء المصير . فأتى
بشباب من عائلة كبيرة متزوج وله ثروة عظيمة ورثها عن أبيه . شغف
بشم الكوكابين ففسدت أخلاقه واندفع فى طريق مهلك سماه المؤلف
فى روايته (السكة اللى تودى ولا ترجعش) وهو طريق السهر
والمقامرة والنساء ، فيه تتدفق الثروة العظيمة فيخسر الشاب فى وقت
قصير ماله وشرفه وربما خسر حياته أيضاً

حل المؤلف أخلاق بطله — « أمين بك الشاب المتزوج الوارث

المعزم بالكوكابين » - تحليلًا تامًا أوضحته مشاهد الرواية ومحدثاتها
فأتى نموذجًا كاملاً لهذه الفئة الطائفة التي كثيراً ما أودت بأخلاقها
وحياتها مندفعة في ذلك السبيل الفاسد بدون روية ولا عقل . ان شخص
أمين بك يجدر أن يكون مائلاً دائماً أمام متعاطي الكوكابين من الشبان
ليأخذوا من حياته درساً نافعاً يتقدم مما هم اليه مساقون

رواية الهاوية هي تاريخ حياة أمين قسمها المؤلف ثلاثة أقسام هي
عدد فصول روايته . القسم الأول شرح فيه المؤلف كيف يعيش أمين
مع زوجته وكيف يعامل خاله وأمه وما هم أصدقاؤه . أما مدينته مع
زوجته فمعيشة رجل يمضي ليله خارج المنزل يقامر ويسكر ويفنى شبابه
بين الكوكابين والنساء ، ويمضي نهاره هنا وهناك مخاطباً بفتة طاغية من
الاصدقاء - معيشة جمات زوجته المهملة الغير محبوبة أن تتبع هواها ،
فتنهارها في مخازن البيع ومصر الجديدة والجزيرة وليلها في المسارح المصرية
والأفريقية . وهناك مقالته يسرى باشا وصفاً لهذه الزوجة ، وهو يحدث
أخته حكمت هانم (والدته أمين بك) : (احنا اتربينا تربية جنس
تاني . عمرنا ماشفتنا البهجة ولا الدلع ولا الزينة ولا الحمر ولا ليض ولا
اليشمك ولا حاجة من دى . احنا بناتنا متعلمين ومتربين يقضوا وقتهم
في شغل يديهم وفي تربية أولادهم وفي المطالعة مش في شكوريل وسمعان
والجزيرة ومصر الجديدة والبياترات زى مراة ابنك !)

أما معاملة أمين لخاله فمعاملة خسنة شديدة ، معاملة شاب طائش
لا يرضى بغير رأيه ولا يتبع نصيحة من هم أكثر منه خبرة وحنكة وعقلاً .

تستدعى حكمت هانم والدة أمين يسرى باشا وترجوه أن ينصح ابنها
 ويهديه سواء السبيل ويحدثه عن ثروته وما يجب عليه أن يفعله ليحفظها
 من الدمار فلا يكاد يسرى باشا يفتح فيه ناصحاً ومحدثاً ابن أخته حتى
 تنهال عليه الشتائم والاهانات . أما معاملة أمين لوالدته فمائلة لمعاملاته
 خلاله وإن كانت أقل منها قليلاً . ووالدته أم قبل كل شيء . أعملت تربية
 ابنها شفقة وحناناً عليه فهي من فئة الودعات الخنونات اللاتي ياتين بحنانهن
 أولادهن في وهددة الشقاء ثم يشكون حالهن وسوء حظهن . وما
 أحسن قول يسرى باشا لها وهو يحدثها عن ابنها وعن شفقتها عليه : (أنا
 مش قلت لك أن سبب فساد الأولاد هيه شفقة الأمهات . أعرف أن
 شفقة الأم كويسة . لكن أعرف كمان ان شفقة الأم لازم يكون
 لها حدود . بقى عشان خايفه أن ابنك يزعل تخليه يعمل اللي على كيفة
 ويفضل ما يثني في السكة دي . . .)

أما أصدقاء أمين فكثيرون لم يظهر لنا المؤلف منهم غير اثنين :
 شفيق بك ومجدى بك . وهما من اخوان السوء الذين ياتصقون بالشاب
 الغنى الطائش يتعصون ثروته متظاهرين بالاخلاص والمحبة له وهم لا
 يضمرون الا الايقاع به والانتفاع منه بقدر ما يستطيعون . يأتي بهما
 أمين لداره ويشرعون يتحادثون حديث المجون والخلاعة وهم يشمون
 الكوكابين بين فترة وأخرى ثم يقدم لهما أمين زوجته جرياً وراء الحرية
 التي لا يعرف منها الا اسمها . وهكذا يقود الزوج زوجته لطريق جديد
 لم تكن تعرفه . شايد من سافلة القوم يتعرفان بزوجة صديقهم — زوجة

مهمة وغير محبوبة ومدفوعة فوق ذلك بخلفها الناقص الى سبيل الطيش
والرعونة . ماذا تكون نتيجة ذلك التعارف ؟ وهل يستطيع أمين
الجهول أن يعرفه ؟

هكذا ختم المؤلف القسم الأول من حياة أمين والفصل الأول
من فصول روايته . أما القسم الثاني من حياته فيبدأ بعد مضي أربعة
أشهر من ذلك التعارف وفيه يفلح شفيق بك في غواية زوجة صديقه
أمين فيظهر لها بمظهر الحب الذي ضرَّم الحب أنفاسه محدثاً إياها عن
حياتها البائسة حياة العزلة التي لم تتمتع فيها بالحب ، والحب هو سعادة الحياة
ونعيمها

استطاع شفيق بك بحلو حديثه السام وخداعه أن ينفذ في قلب
تلك الفتاة الطائشة سهام غرامه القاتل فأصبحت تشمر بميل له وواعدته
على الحضور لمنزله ليقطف ثمار الحب الشهية وينعمان بالسعادة والهناء تحت
ظلال الغرام الشريف . . . واعدته الفتاة على الحضور مدفوعة بعوامل
كثيرة — إهمال زوجها وغواية شفيق القوية وطبيعة خالقها الناقص —
عوامل ثلاثة تهدد جبال الشرف وتقود النساء من ذمامهن الى حيث
يضحين عفافهن ويلوثن حياتهن بالعار الدائم

إذا كان شفيق استطاع أن يغوى زوجة صديقه ليأتي على شرفه
فقد حدثته نفسه في الوقت عينه أن يجهز على جزء عظيم من ثروته .
فانهم فرصة افلاس أمين والحجز على احدي عز به فتصدى لمشتراها بثمن
بخس مخجل ، وهو الذي كان يمد يده لأمين بالامس يأخذ ما يتصدق به

عليه من الحسنة ! ولكن يسرى باشا خال أمين الذي عقد العزم على
نجاة أمين بالرغم من نفسه يذهب متذللًا شاكياً لشفيق راجياً منه أن
يعدل عن هذا الشراء لأنه يريد أن يشتري هذه العزبة لنفسه ثم يردّها
لأمين بعد أخذ ثمنها من ريعها خدمة لأمين ومحافظة على ثروته فلا
يقبل شفيق ولا يجدي رجاء ولا توبيخ . فمن ذلك نعلم أن شفيق الذي
يعده أمين صديقه الحميم وساعده الأيمن يريد أن يقضى في وقت واحد
على شرفه وثروته

في يوم الموعد — موعد حضور رتيبه هاتم زوجة أمين لدار شفيق
— يدعى شفيق المرض ويرسل خطاباً مع خادمه لأمين يعتذر إليه بعدم
استطاعته مقابله اليوم لأنه مصاب بمرض شديد وصداع ويرجوه
نزهة جميلة مع خليلته الجديدة . وكان أمين تعرف بأحدى الحسان
وواعدته أن تقابله في ذلك اليوم ليتنزها سوياً في الجزيرة فعز عليه أن
ينفرد بالحسنة ورغب أن يشرك معه صديقه الحميم شفيق فخاضه في ذلك فلم
يرفض الدعوة ولكنه اعتذر أخيراً لأن رتيبه واعدته على الحضور في
هذا اليوم ، وهي أول مرة قبلت أن ترى بنفسها في أحضان رجل غير
زوجها . فضحى شفيق . وواعد أمين أرضاء لرتيبة وكيف لا ينمل ذلك وهو
الذي استطاع بعد أربعة أشهر طويلة أن يقتنص هذا الغزال المهجور
ويأويه في داره لينال منه بغيته الفاسدة

يرسل شفيق الخادم بالرسالة ويأمره بعدم الرجوع ثم يوصي الخادم
الصغير بحراسة الباب ويأمره بأن لا يسمح للرجال أن يطأوا عتبة بابه

فاذا سأله أحد منهم أجابه على الفور بأن البيك غير موجود ، أما اذا أتت سيدة فيفتح لها الباب على مصراعيه . ثم يعطيه قرشا مكافأة له على نباهته وقيامه بالواجب سلفا !! فيتناول الفتى قرشه ويترك الباب بلا حارس ذاهبا الى السوق يشتري بالمكافأة ما يشبع به بطنه من مختلف الحلوى ، ويجلس شفيق مطمئنا مستريحا مستعدا لمقابلة المحبوبة ولا يمضى عليه وقت قصير حتى يسمع وقع خطوات فيقوم ليستقبل رتيبه . ومن يأتي خلافا في ذلك الوقت ، والميعاد ميعادها واليوم لها كله ، فاذا به يستقبل الصديق مجدى فيفزع منه بادى الأمر ثم يسأله كيف دخل وهل لم ير الغلام الحارس على الباب ، فيخبره بأن الباب بلا غلام ولا خفير ، وبعد محادثة قصيرة يخبره شفيق بأن الساعة ميعاد حضور فتاة تعرف بها حديثا لا يستطيع أن يخبره باسمها لانها من عائلة كبيرة ومنزوجة ثم يرجوه أن يتركه منفردا لانه لا يريد أن يفضح أمر الفتاة ، ولكن مجدى المهزار الثقيل ذا النفس الذليلة الساقطة يكمث بالرغم من شفيق ضاحكا مستبشرا معاملا النفس برؤية تلك الحسناء المنزوجة التي استطاع شفيق أن ياقبها في شبابه فيضطرب شفيق ويحتدم معه واذا بهما يسمعان وقع اقدام فيدفع شفيق مجدى لحجرة النوم و يتقل باها عليه ويذهب ليستقبل فتاته فاذا بالزائر يسرى بأشا الذى جاء ليرجو شفيق أن يتنازل عن شراء العزبة ولكن شفيق لا يجد صعوبة في اخراجه من منزله وارجاعه من حيث أتى . ثم يخرج مجدى من مخبئه ويرجوه الاسراع فى الخروج فيطالب منه مجدى تمويضا فيعطيه ثلاثة جنيهات يأخذها ويهم

خارجا واذا بالفتاة رتيبة داخله وتكون فترة عصيبة هائلة ، يعلم فيها مجدى أى فتاة استطاع شفيق أن يوقعها فى شباكه ، وتضطرب رتيبة اضطرابا ينهم عما شعرت به من وقع الفضيحة والعار ، ويفضب شفيق لأن الظروف أتت على عكس ما يشتهى !

وبعد خروج مجدى يجتهد شفيق فى استرضاء رتيبة مؤكدا لها أن ليس هنالك ثمة فضيحة ولا عار لأن مجدى من عابدى الدرهم وهو لا يخل عليه بما يسكت لسانه ولكن تلك الصدمة الهائلة جمعت رتيبة تصحو برهة من حلمها الغرامى فتصيح قائلة : (أنا بسأل نفسى دلوقتى ازاي طاولعتك وجيت ، ازاي فكرت فى انى أخون جوزى) ولكنها تجد ان الذى هيا لها سبيل السقوط هو زوجها فانها وان كانت مذنبه فالذنب الاكبر قد اقترفه زوجها . وهكذا نسمعها وهى تخاطب شفيق : (صحيح أنا بنت طايشه ، دائما كنت أجهل واجبانى ، ولكن جوزى ما عرفش أبدا يرجع لى صوابى ، هو اللى خلانى أشوفك ، هو اللى اداك الفرصة عاشان نحبى ، هو اللى خلانى أحبك ، هو اللى اسبب فى انى أجى برجايه لحد بيتك) كلام كله حكم غالية ، نعرف منه ما كان يجول بنفس تلك الفتاة الضعيفة فى ذلك الوقت العصيب الذى أتت فيه لتبيع شرفها وتلحق بنفسها العار الدائم . لقد اعترفت بخطئها وما أوقعها فيه زوجها من المصائب والحن ، وكادت تنهض بشرفها الذى لوئته بعض الأدران وعقدت العزيمة على ترك ذلك المكان والرجوع من حيث أتت قاعة من الغنيمة بهذا الدرس الاخلاقى الكبير ، ولكن يمر على شفيق

أن يفشل في ساعة انتصاره النهائية وأن يفلت الظبي من عنده وهو ما زال قابضاً عليه بيديه فأقبل عليها يتصيداها من جديد بمذب كلامه نادباً حظه السيء الذي أرسل اليه مجدى في هذه اللحظة ليعكر عليه صفو سعادته ، ثم جعل يحدثها تارة عن حياتها وما فيها من شقاء وامتهان وطوراً يقسم لها بشرفه عن حبه الطاهر النظيف فتقع الفتاة في الشباك مرة أخرى وينتصر الغرام الفاسد على الارادة النسائية الضعيفة وتزول تلك الجملة القوية التي قالتها عن نفسها : (ازاى افكرت في انى أخون جوزى) ، أجل زال كل شئ ولم يبق في النفس إلا صورة الأحلام الفاسدة ممزوجة بمنظر حياتها محاطة بهالة سوداء من غواية شفيق القائلة . وبينما هما يقتربان من كؤوس الشبان يروحان ما بهما من عناء ويدفمان بنفسهما الى عالم اللذة يسمعان وقع خطوات ومشاجرة بين زائر جديد والغلام الصغير

من يكون هذا الزائر وكيف رجع الغلام الصغير الى المنزل يحرس بابه ؟ أما الزائر فكان أمين بك زوج رتيبه — زوج الفتاة التي جاءت تخونه مع أعز صديق له ، جاء أمين بك يعود شفيق لأن الرسالة أخبرته بأنه طريح الفراش يشكو صداعاً ومغصاً ولأن حسناءه التي كان ينتظرها لم توف بوعداها ، أما الغلام الصغير حارس الباب فقد رجع الى الدار من السوق حينما صرف آخر مايم عنده .

تضطرب رتيبه اضطراباً عظيماً حينما تعلم بحضور زوجها فيدخلها شفيق على عجل غرفة النوم ويقفل بابها بالمفتاح ، ويحضر أمين بك متماثل

الرأس يترنح ذات الحين وذات الشمال من تأثير الشراب : وبعد المصافحة
والكلام يخبر شفيق صديقه بأنه كتب اليه خطاب الاعتذار لأنه لم يرغب
في تكبير صفوه مع حسناؤه . ولكن أمين لا يقتنع بهذا العذر ويدخله
الريب في كلام صديقه . يلتفت يمنة ويسرة فيرى كاسات الشهبانيسا
مملوءة ومعدة للشرب فيسأل شفيق ضاحكاً : (وهل عندك حسناء تريد
أن تخفيها عني) فلم يسمع شفيق الا الاعتراف بان عنده حسناء ، وهي
فتاة متزوجة لا يمكنه أن يبوح باسمها ورجاه باظف أن يترك المنزل لأن
الوقت ليس وقته بل وقت الحسناء ، فيضحك أمين ضحكات ثمل مأفون
ويقسم أنه ان يرح المنزل حتى يعلم اسم الحسناء ويدور في الغرفة ضاحكاً
ضاحكاً فيقع بصره على مروحة زوجته وكانت تركتها على احدى المقاعد
فيلةقطها ويفحصها ثم يصيح هازئاً رفيقه ويقول : (أنت تريد أن تخفي
عني اسم عشيقتك ولكنني عرفتها) فيهتز شفيق رعباً ويسأله عن معنى
ذلك فيقول له أمين ان هذه المروحة لشقيقة مجدى ، لأن زوجته ذهبت
الى شيكورييل وقابلت هناك أخت مجدى فاشترتاً مروحتين . ثمالتين لم
يكن في المحل غيرهما ، فيطمئن شفيق ويحول رعبه ويرجو صديقه أن
يكنم سره مع الفتاة لأنها أخت صديقهما ، فيؤخذه أمين على خيائنه
لصديقه وبعد مناقشة وجدال بين ثمل وصاح يخرج أمين من المنزل وهو
يصيح قائلاً (صعبان على جوزها المغفل !!)

يترك أمين المنزل ويخرج رتبته من حجرة النوم وهي ممتعة اللون
مرتجة الأعضاء تكاد تسقط من هول الحادثة . فيقترب شفيق منها

ويبدأ مداعبته ولكسها . مداعبة باطلة لا تجدى ولا تنفع . لقد أصبحت
رتبه غيرها منذ لحظة . دخلت ذلك المنزل ساقطة وستخرج منه شريفة
محافظة على عفافها . لقد هيا الله لها حوادثاً هائلة فتحت أعينها المغمضتين
فراحت هوة الخيانة والسقوط فاتحة فها لتبتلعها الى الأبد فتصيح قائلة :
(آه ياربى ما كنتى بينى وبين الفضيحة الا شهر واحد . أما صحيح كانت
عينيه مقفولة ودلوقتى أنتهم) وتترك المنزل وهى تقول لشقيق :
(دلوقت عرفت انك راجل دون ، نذل ، جبان ، الوداع . عمرك ما
انت شايف وشى أبداً)

وهكذا ينتهى الفصل الثانى من الرواية أو المرحلة الثانية من حياة
أمين . أما المرحلة الثالثة من حياة أمين وهى الفصل النهائى للرواية ففيها
يختم حياته السافرة — حياة الكوكابين والسكر والنساء ويودعها الى
الأبد

يأتى يسرى باشا للمنزل أمين فى اليوم التالى لوقوع الحادثة السابقة
بدعوة من والدته فيقابل الوالدة ثم الابن ويدور بينه وبين الأخير محادثة
عن عزبة أبو (الأحمر) الذى يريد أمين أن يبيعها بثمان بخس لصديقه
شقيق فيرجوه يسرى باشا أن لا يقبل ويبيعها اليه لانه سيردها اليه
كاملة سايمة اذا استرد ثمنها من ربيعها فلا يقبل أمين الا اذا قرضه الباشا
٢٠٠٠ جنيه فى الحال فيرفض خاله ويصر هو على رأيه ، وفى ذلك
الوقت يحضر الصديق مجدى زائراً فيخلو به أمين ويتحدثان حديث المحزون
والخالعة بين شم الكوكابين . ثم يطالب مجدى من صديقه جنياً لأنه

خالى الجيب من المال ويخبره عن غير قصد انه أخذ من شقيق أمس ثلاثة
جنيهات أضعافها على الخمر والنساء فيندعش أمين ويسأله هل قابل
شقيق أمس وكيف كان ذلك وهل لم يسمع في مدة وجوده في منزل
شقيق حركة غير اعتيادية أو همس أو ما أشبه ، ثم يدفع أمين ضاحكا
هازنا ظاناً انه يهزأ بصديقه مجدى لانه كان في منزل شقيق ولم يعرف
أن أخته كانت في الوقت نفسه هناك . فيمجب مجدى من ضحك أمين
واسهزائه به ويسأله عن سبب ضحكك فلا يجيبه فيطالب منه أن يخبره
كيف علم بوجود حركة غير اعتيادية وهمس وما أشبه عند شقيق أمس
فيمندعش مجدى ويفرق في الضحك هازناً برفيقه الذى كان هناك وكان
يجعل أمر زوجته الساقطة التى كانت تخبره مع صديقه فيمجب أمين من
اندهاش وضحك مجدى ويسأله عن سبب ذلك فيطالب منه الجنيه أولاً
فيعطيه أمين طلبه ولكن مجدى سرعان ما يذال بغيبته حتى يريد الهرب
من سؤال حرج لا يستطيع أن يجيبه عنه وكيف يخبر أمين بوجود
زوجه في منزل شقيق . يتحدث أمين ويطالب من مجدى أن يخبره بالحسنى
فلا يرضى فتتأبه نوبة السكوكاين ويجعل يسب ويشتم مجدى متهماً إياه
بالسقوط والنزلة والسرقة ثم تزداد حدته فيقول له جهاراً « هل تعرف
أين كانت أختك بالأمس . انها كانت تخون شرفها عند صديقك شقيق »
فيحتد مجدى مكذبا ذلك ولا يسمعه الا افشاء الحقيقة الهائلة التى يصدق
من هولها أمين

يخرج مجدى مطروداً من منزل صديقه ويهرع أمين فيقابل

زوجته ويسألها بجدّة عما كانت تفعله أمس وفي أي مكان قضت عصر يومها . وبعد جدال عنيف تعترف له بكل شيء . وهنا تبدأ حكمة الرواية تتجلى في كلام الزوجة المدافعة عن نفسها ، المتهمة زوجها بتهمة الاشتراك في جريمتها فنقول في ذلك ما يأتي :

(أنا أعترف بأنني مذنبية . اعترف بأنني ارتكبت جريمة استحق عليها الموت . لأن الست التي تحاول أنها تخون جوزها أقل ما تستحقه الموت ولكن اعرف اني ما نيش أنا المجرمة الوحيدة . فيه شخص ثاني كان يدفعني بأيديه للهوة العميقة اللي كنت رايحه أقع فيها . واعرف انك انت الشخص ده . . . ! عمرك ما خاتني أشعر بانك جوزي . صحيح أنا كنت طائشه وما كنتش عارفة أقدر حق الزوجية . لكن ربنا مادّناش زوج يهدينى ويورينى الواجب . كان واجب عليك أنك تهدينى وترشدنى للصواب بدال ما تسيينى أهوى وتروح تخبص وتلعب قمار وتسكر وتعمل كل موبقة ترزى بشرفك وبقيمنتك .

أنا ما عرفتش شفيق لا فى الدكاكين ولا فى الجزيرة ولا فى مصر الجديدة ولا فى التياترات . عرفته هنا فى بيتك وقدام عينيك . ومين اللي قدمنى له ؟ حضرتك زوجى العزيز اللي شايفاه قدامى دلوقتى يبكى على شرفه وعرضه .)

وهكذا استطاع تيمور أن يخلص كل روايته فى كلام هذه الزوجة الشاكية ، المتهمة ، المدافعة .

يسمع أمين هذا الكلام فيزداد هياجه وتتابه نوبة اختناق حادة

من أثر تعاطيه السكوكاين فيرتنى على الارض وهو يهذى صارخاً باكياً
ثم تفيض روحه بين يدي والدته التمسمة فيقضى السكين على نفسه بنفسه .
ويقف يسرى باشا الرجل العاقل الذي حنكته التجارب يقول واعظاً
ومتحسراً : (ادى آخرتك ياللى ما تحاسبشى على نفسك ولا على شرفك ،
أدى آخرتك ياللى تمشى فى السكة اللى ما يرجعش منها حد ...)

وتنتهى الرواية بهذا القول

.

والآن وقد قرأت ما يهيك أياها القارئ عن رواية الهاوية ، عرفت
مضمونها وعرّفت بأشخاصها وتصورت فى مخيلتك مشاهداتها ألا
تشهد لتيemor بتلك القوة الفنية الهائلة التى استطاعت أن تخرج رواية
جمعت فيها قوة التأثير على الجمهور ، وقوة التحليل النفسانى التام وبحث
الحكمة العالية والنقد الاخلاقى الصحيح ، واظهار صورة حية ايئنة مصرية
كل ذلك فى دائرة الفن الراقى

بهذا نجحت الهاوية ونجح تيemor . بيتاً كما نجيح . من قبل حياكم

خاتمة

لقد أتممت الكتابة على محمد تيمور - تاريخ حياته وأعماله -
فأعلن صراحة أنني كتبت ما كتبت كمنقاد لا كأخ . اجتهدت أن
أظهر لمن يعرف محمد تيمور ومن يجهله صورة نفسه وصورة أعماله .
مكتفياً بتلك الصفحات القليلة التي لا أعتبرها في الواقع غير مختصر
ضئيل لا يفي بالمقصود تماماً ولكنها كافية في الوقت الحاضر لأن تعين
القارئ على معرفة الفقيه وترشده إلى مؤلفاته . فإذا كان هناك نقص
أو زلل فالعصمة لله على كل حال

محمد نيمور

الكتاب الأول

حِوَالَتِ يَوْمِ

اهداء الديوان

لروح عائشة تيمور ارفع هذه النفثات

ابن أخيها

محمد نبور

مقدمة

ما هذه الا انتماءات ضاق بها صدري فنطقتُ بها شعراً ، فان كانت
تصل الى أعماق قلبك أيها القارىء الكريم وأنت تتلوها لنفسك
أكون قد بلغتُ الغاية التي من أجلها طبعتُ هذا الكتاب مـ

محمد نيمور

شعار صاحب الديوان

الشعراء في مصر ينقسمون الى قسمين :
الاول يحب المذهب القديم ، والثاني يتمسك بالمذهب الجديد .
أما صاحب الديوان فشعاره :
المذهب القديم جميل ، والمذهب الجديد جميل .
المذهب القديم جنة فيحاء ، والمذهب الجديد جنة فيحاء .
والشاعر طائر لا يعرف داراً ولا موطناً ينتقل من غصن الى غصن
فان راق له جنة القديم غرد فيها وان أعجب بجنة الجديد سجع
في دوحها .
ولا عجب لو وجدناه يغني في جنة ثالثة يحل فيها عن نفسه قيود
الفن والقافية

محمد نيمور

شاب يحتضر

فوق سرير الموت نام الذي	زال ابتسام العيش عن ثغره
قد ودع الآمال لا يرتجى	منها سوى الراحة في قبره
مقطباً ان شمته خلته ...	مستجمعاً ما جال في فكره
يطاب خلا صادقاً واعياً	يهدى له ما شاء من سره
يرنو الى أم جفاها الكرى	تنتظر المجهول من أمره
يبحث عن صدر اذا ضمه	أباد جيش الموت من صدره
كطائر ذى شجن صامت	أبعده المقدور عن وكره

الغريب الفقير

يرنو الى البلد الجدير	يد كأنه بحر خضم
يلامو الرجاء به كما	تلهم به أيدي الندم
متلفتاً عن جانبيه	ه يخيفه بأس أصم
متذكراً لغة بحر	ك شجوه منها النغم
يمشى الهويناً مطرقاً	للأرض يدفعه الألم
كم ليلة فاضت دمو	ع الحزن منه كالدم
ويهبجه في ليلة	من وجدته طيف ألم

لم ينس دار الحب اذ لدياره تلك الدم
ويرى الحقائق عابسا ت والمسرة كالخام
ويخال من فرط الآسى ان الوجود هو العدم

ضحكات طفل

طفل أتاني ضاحكا فرأيت من ضحكاته وجه الحياة تبسما
أصغى لها وكأنني مستقبل في ظلمة الليل البهيم الأنجما
لو كان يسميها مليك ظالم لبكى على احكامه متندما
أو كان يرسمها المصور خلتها لجمالها وشي الربيع منمما
تحنو لها أوتار قلب مظلم لم ياق في نور الحقيقة مغنما
والشاعر المطبوع يحسب انها ألحان طير في الرياض ترنما
وكانها كخزير ماء بارد يطفى به الظمان نيران الظما
وتعيد في قلب الكبير شبابه وتريده في كل يوم أنما
وترد في بيت الحزين شموسه فسكانه من قبل لم يكن مظاما

الليل

قد أودعته الناس أسرارها كأنه للسر نعم المقر
الحاته ثقيل أهل الهوى وهمس من يحلو لديه السهر
ونوح محزون شكاهمهم يثير شكواه حفيف الشجر
يزيدها البلبل من لحنه ما شاءه البلبل وقت السحر

أسراره نجمل مكنونها
يهتكها البدر إذا ما سفر
في هجمة الليل ومن سره
يستولد الليل عقول البشر
هل يعجب العقل إذا ما رأى
في ظلمة الليل شمس الفكر

في صدره يهجع أهل التقى
ويسهر العصب يناجى القمر
في صدره تضحك بآت الهوى
وضحكها عنوان ذلك السكر
في صدره يقتل من قد رأى
في عيشه الضنك وذاق الضجر
يخاله السارق ثوبا إذا
رماه تلقاه عيون البشر
وينزع الصنديد خوفا إذا
راه بين القبور انتشر
يموت في اليوم ويحيا به
هل يهزأ الليل بحكم القدر؟

لمعة عين

يا قطرة قد اسكنت
في القلب عاصفة الهيام
ذاقت عيوني بعد أن
أرسلت لذات المنام
وطردت من فكر الفتى
المهجور أشباح الحمام
من أى نبع قد بعثت
لعين صب لا تنام
حملتك من دار الهنا
أصف أحلام الغرام
يا وردة من جنة
فيها الطهارة والوثام
كيف ارتضيت لقاء ظا
مة دار ذل وانقسام؟
أحمت في أوراقك البيضاء
أنوار السلام

مادمت الا برهة ما الهجر من طبع الكرام
لك في الخدود بقية عنوان صب مستهام
وبنيت قبرك في قلو ب العاشقين أولى السقام
يا من قصير عمرها لم يأت طيفك في المنام

اللقيط

فوق الترى أبصرته نائما
عليه نوب أبيض لم أجد
كأنه من حسنه وردة
تلقيه لا يعرف ما يتغنى
يرنو الى ليل طويل الكرى
كأنه والليل من حوله
سفينة تهوى بلا منقذ
قد حرمة الام تحنانها
ينساه في البؤس أب ظالم
يعيش لا يعرف من أهله
والله عار يا رجال النهى
العدل يا من شاقه وجهه
يئن من جوع وبرد شديد
في طيه أسرار ذاك الوليد
ترشقها الحسنة بين النهود
هل يعرف ابن الامس ماذا يريد
مسترحما والليل باغ عنيد
وفي ظلام الليل موت اكيد
وبحرها الجائش هذا الوجود
والصدر والثدى ولثم الخدود
في دهره يحظى بعيش سعيد
كأنه فينا شريد طريد
أن يظلم القانون هذا الشهيد
في هذه الدنيا رهين القيود

الترجسة اليبانعة

فوق قبر الشاعر

يا زهرة تنمو وتبدع نبع فوق قبر الشاعر
لا غرو إن غذا شبا بك منه حسن الخاطر
فالشعر يبعث كالزهو ر من الجمال الباهر
هلا حملت لروحه أرج الحبيب المهاجر ؟
حرمة صفو حياته الحماظ ظي نافر
فعلام ترى قلبه بسهام لحظ فطر ؟
يا بيت شعر من فتى أضجى رهين حفائر
قد أخرجته من الثرى نفثات ذاك الساحر
يا قبلة جاءت من ملك كريم طاهر
نزلت تؤانس في الترا ب شهيد حفظ عائر
إني أخالك في النها ر شعاع حب زاهر
وأخال أنك في الدجى عين المحب الساهر
أنت ابتسام غادة لقدوم صب زائر
تحوى خفايا الحسن تك شفها لعين الناظر

القلب

وضع الوجدان في أجسامنا ودليلا لارزايا والنعم
لم تحكم فيك أسياف العدا وبك المحبوب يا قلب احتكم

لم يخفف عنك نيران الجفا غير دمع فوق خدي انسجم
غير انى قد أبيت الدل اذ أنت الذى علمتنى هذا الشمم

رحمة بالقلب يا ربى اذا ما ظلام اليأس بالقلب التطم

يا مقرر الحب يا نبع النهى أنت ميدان التصافى والالم
كتببت أقلام تذكّار الهوى فيك أسرار الغرام المنصرم
لم تنل منك المساوى غير ما نالت النيران من بحر خضم
لم يروّعك خليل خائن اذ وفاء الناس حلم لا يتم

منك سمعدى وشقائى لا تكن قاسياً، اذ أنت خصمى والحكم

شجرة على شفا الموت

أوراقها فوق الثرى آمال صب يائس
والساق بين الزرع تح سبه جبين العابس
وكأنها لسوادها شبح الفقير البائس
مهجورة من طيرها والطير خير مؤانس
فكأنما وكناتها دمن بليل دامس
سكنت وكان حفيفها نغم الحبيب الهامس
صماء لم تعباً لزوم جرة السحاب الراجس

كلا ولا حنت لطيف ر ناح فوق غرائس
كانت تهاب جلالها عين الشجاع الفارس
وغدا ستقطعها وتة لها عين الفارس

الهرم الاكبر

منكد الحظ كثير الجلد يخاله الرائي خيال الأبد
مسدد النظرة في قومه مهشم المفرق عارى الجسد
لم تبيكه الاشجان لكنه مقطب الوجه حليف الكمد
قد أرسل النيل رسولا له يبحث عن مجد قديم فقد
كتاب تاريخ قرأنا به عن مصر أهوالا تهد الجلد
أعادت اللاهى الى رشده وأوقدت في القلب نارا اتقد
ويجتلى الناظر من بابه في ظلمة الليل شمع الرشده
ومصر لا تعرف الا به كأنه عنوان هذا البلد
لسانه أبكم ألكنا نخاله يصرخ فيمن رقد :
« من نام عن نيل العلاما ارتقى ومن مشى في الارض سميا وجد
وصاحب الهمة يعلو بها وكل كسلان عدو ألد »

يطوف في أرجائه صارخا جيش من الارواح جم العدد
أرواح فرعون وأنصاره من شيدوا مجدا متين العدد
أصاعه أبناؤهم بعظم وعز مجد ضائع لا يرد

يا ليتنا نرجع مجداً مضى لا نعزب الحيلة عمن يجد

تدوسه الزوار من هابط أو صاعد غر عليه صعد
قد استبدوا ونسوا مجده (كأنما القادر من يستبد)
كأنه لم يك قبر الذى كان اخا مجد بعيد الابد
حق على الزوار ان يسجدوا ياسعد من فى ظله قد سجد

يا دارس التاريخ قف خاشعاً فعمدة التاريخ هذا الاسد
يا باحثاً عن مجد دهر مضى وجدت فى الاهرام ما تفنقده

البلبل الصامت

فارقت ربع الحى بالامس وغدوت طلى صفائح الرمس
غادرتنا والليل معتكر والقلب نهب مخالب اليأس
والنفس والهمة وقد لعبت خمر الشقا والنحس بالرأس
مضى زمان كنت مسعده وجاء دهر الهم والتعس
فشربت كأس الحزن مكتئباً حتى جرعت صباية الكأس
آزت قلباً كله شجن سكنته دهرأ ظامة البؤس
آنسته وأزلت وحشته يابح ما فى القلب من أنس
وهجرته فبسكاك من جزع منهدماً كالمربع الدرس
علك تشجى فى الثرى طرباً أرواح قوم فى الثرى خرس

قد كنت في البستان بهجته تلهو بما في الجسم من حس
تصدق بالالخان مغتبطاً تحرك الاشجان في النفس
يصنع اليك الكون مستمعاً ما قلت من جهر ومن همس
والحب يسمع منك ما وجبت له قلوب الجن والانس
والبدر في كبد السماء بدا كالملك ذي الجبروت والبأس
لو سمعتك الشمس سائرة لكنت توقف دورة الشمس

...

قد راعني والليل مقبيل يا طير انك فاقد الحس
الحب عرس الانام وقد فارقه يا زينة العرس
موتك سفر فيه قد كتبوا ما في ممات الطير من درس

نفس الشاعر

من ذا الذي عشق الخيا ل وهام في حب الوري
نصب الزمان له الشرا ك فما اشتكى وبها ازدرى
من ذا الذي يمشى على قم الجبال مفكرا
وينام في غار الوحور ش ممدداً فوق الترى
أو في القضا وفيه ينف ترش النبات الاخضرا
لم يخش برداً قارصاً فيه ورعداً زمجرا
كلا ولم يخش الصوا عق والسحاب المطرا
ولغادة الشعر التي وهبه ملكا اكبرا

باع الوجود ومن به ومن الوجود نجيرا
 قد عانقته فأسكرت وما تناول مسكرا
 من ذا الذي لا يرتضى في الحب ان يتغيرا
 واذا رأى ذل الهوى رفض الهوى واستكبرا
 عشق الطبيعة يوم ان لبست لباساً أخضرا
 والشمس تأنسها كما ثم الكبير الاصغرا
 واذا دنا الليل البهيم م وجاء يعثر بالسكرا
 يتوسد الصخر الا م مفكراً متذكرا
 من ذا الذي قد هاله دمع الفقير اذا جرى
 من ذا الذي يبكي الأما نة والوفا بين الوري
 هذا الذي ليست له نفس تباع وتشتري

الشاعر الغضبان

هيئوا لي في باطن الارض قبرا ودعوني انام تحت التراب
 في ظلام القبور راحة نفسي ومن النور شقوتي وعذابي
 وادفنوا في التراب دهبان شعري فوق قلبي المملوء بالأوصاب
 فيه مكنون ما احتواه جناني وعزير فراق ذاك السكتاب
 هو بعضي فهل اموت وأنسى في ظلام الحياة نور شباني
 وانثروا فوقه الزهور وحسبي من شذاها منابع الآداب
 هي رسل الهوى تذكر قلبي بشفاة ذوات حسن عذاب

قد رشفنا منها النعيم ولكن قد شربنا من بئس كاس صاب

...

في اديم الغبراء تذهب عني	من حيااتي ادران من هم صحابي
هي امي خرجت منها صغيراً	واليها بعد الملمات اياي
قبلة من تراب ام حنون	هي خير من اثم حاو الرضاب
وعناق الاحجار في التراب اولى	من عناق الاصحاب والاحباب

...

ان فجر الدموع يتلوه عندي	يوم ارساتها مساء اكتباب
ما تلا فجرها لمثلي صبح	كيف يتلوه وهو رهن المصاب
ضاع نصحي وضاع منه رجائي	في صحابي وضاع قبلا عتائي
رب خل في صدره كل غدر	وخداع يا قساك بالترحاب
يتبدى من عينه وهو يرنو	في ظلام الريا لظي الارتياب
لا ينيل الوفي في العيش الا	ما ينيل الظمان مع السراب
لا يفرك من صديق خوون	اسود قلبه بياض الثياب

...

يا صاحبي ولست اول حر	عاندته الاقدار في الاصحاب
قد جهنم امرار قلب امين	فاعدروني ان ضاع فيكم صواي

النجم الافل

دفنوها في التراب يوم الوفاة	فوق فرش من الحصى ورفات
لا أنيس لها سوى وحشة الماو	ت وصوت الظلام في الحجرات
وبقايا من همد لا يفيقو	ن ونوح الارواح في الظلمات
ودموع تجري على القبر حيرى	وأنين يفيض بالحسرات
تركوا آية المحاسن والد	ل بدار السكون رهن الممات
يلمس التراب جسمها وهو غرض	بعد لمس الشفاه بالقبيلات
وترى عينها الظلام وبالام	س تلاقى بأجل النظرات
أهى في القبر في ارتياح من الوح	دة والبعده حمة اللقنات
أمدهاها من هولها ما دهاها	من جلال وخشعة وعظاها
أم تراها والقبر ظلمان روت	ارضه من لآلىء العبرات
أم تراها لاقت من الارض اما	وهبت جسمها لذيد السبات
هى في القبر وردة سوف تفنى	كيف تحيا الورود في الحفرات
قد غدت والهناء عنها بعيد	بين اهل الثرى بغير حماة
أسدل الموت والممات ظاوم	ستره بينها وبين الحياة

ظلام النفس

أسرع وسدد في الطريق	ق خطاك ان العيش غدر
أسرع فاني يائس	اذ ليس بين الناس بر

أسرع وخذ روحى ولا ترحم فليس لدى صبر
يا موت لا ترحم شبا بى أنه والله مر
أمن المصائب لى فؤا د أم من الاحزان عمر ؟
ما ذا اقيت من الحيا ة وما بها شىء يسر ؟
ان الحياة الممرح والناس اشباح تمر
والعيش عندى صفحة عنوانها لؤم وشر
فرن الشدائد للما عب للشقا - أين المفر ؟

الذكرى

تهز قلبى بعد رقدته كالريح هزت جانب العلم
تمشى الهويتا فى جوانبه كالنجر يطرق حالك الظلم
ترمى به من نارها شررا فتثير فيه رواقد الهمم
وسمعت منها يوم أن طرقت قلبى رنين الهجر والسقم
فكأنها نبع يفيض بما يحويه قلب الصب من ألم

وتعيد من ماضى ما شهدت عيناى من يؤس ومن نعم
وتضيئه من بعد ظلمته فكأنها تحيي من عدم
وكانه صحراء مجدية ظمأى انطار الصيب العرم
وكأنها نهر تغمرها بالجوود من ساسله الشيم
أوجنة الماضى قد انبثقت منها لنفسي زهرة العدم

أمس واليوم

زمن الأنس تولى وانقضى	حاملا ما كان لي من أمل
مر كالسهم ووافى غيره	فشر بنا الصاب بعد العسل
هيجت ذكره قاي مثما	هيج الصب نواح البلب
لم أزل أشعر بالوجد الذي	أشعاه نار تلك القبل
كل ما نهواه يعضى عاجلا	ليته يمشى بنا في مهل
كل شيء حائل عن شكله	تلك فينا سنة للأزل

سلب الدهر هنائي اني	لفعال الدهر لم أمثل
عقني الاخوان إذ قد جهلوا	اني عن غيهم في شغل
أأقضى العمر أرجو ودهم	بين عذر منهم أو عذل
أنا بين الناس طير صادق	نأح في عرصات الطلل
أنا ذاك الليث لا تغضبه	وثبات الذئب وقت الكال

إبه يا دنيا أما من ساعة	ألتقى فيها بنور الأمل
أودع التمس حياتي صحفا	خطها من دمي المنهمل
أبنو الدنيا هم الأوهام أم	أنا فيهم لم أكن بالرجل
هاكم السعد بهم متصل	وبئلي بعد لم يتصل
راحة الانسان من كد ومن	نصب يوم انقضاء الأجل

الليل أقبل

الليل أقبل والمنام حرام	أنام عين مأوئها الآلام
لا تسب بين العين نور رجائها	والنور في عين البئس ظلام
روح يروءها الأسى ويشيرها	نار لها بين الضلوع ضرام
اليأس رائدها وتلك مشيئة	للدهر لا نقض ولا أبرام
ما العيش إلا عبدة مهراقة	في طيها الأوجاع والأوهام
داء الحياة له النفوس فريسة	ودواؤه بين الورى الاحلام
والسعد برق كاذب ومزاره	لابن الحقيقة في الحياة لمام
إنا تكتمنا الحقيقة علنا	نحظى بسعد . اننا أنعام
يابؤس من لا يستقر فؤاده	ياسعد من يهديه الاستسلام
نلهو ونضحك للوجود وليتنا	نبكي الوجود لاننا أيتام
ما نحن إلا كالذئاب فميشنا	غدر وفيه تقطع الارحام
كل امرئ يلهو بمرض صديقه	وسلاحه الاغراء والاقسام
وإذا صحت أخافأت عدوه	فكأنما نصح الفتى أيام
والشر ساطان النفوس كأنه	سر الهناء وللوجود دعام

ما تلك الاخطرات أخى أسى	نضو الفؤاد حياته أسقام
يقضى سواد الليل برقب نجمه	والنجم ليس بصفتيه سلام
ألف الموم فليس ممن يشتكى	للناس حرباً في الفؤاد تقام
هو ذلك الطود الذي كمن الأسى	في جوفه ما دامت الأيام

الصباح أقبل

قم من سباتك وانظم الاشعارا	فالصباح أقبل والظلام توارى
لك من شعاع الشمس وحى قادر	سلب العقول وحير الافكارا
ما أنت إلا صوته ترك الألى	عشقوا الطبيعة ذاهلين سكارى
تشدوا على فنن الوجود مرتلا	آياته وتداعب الازهارا
بين القلوب وبين صوتك ألفة	وجدت لها بين القلوب قرارا
فسكان من نبرات صوتك رحمة	جعلت ظلام البائسين نهارا
جفت ما قبيهم وكان لبؤسهم	سيل جرى من دمهم أنهارا
فالبؤس بين الناس طير نائح	أبكى قلوب البائسين وطارا



تهتز من طرب ولست بمحتس	خمر الشفاء ولا خلعت عذارا
فكأنما ألقى الزمان قياده	طوعا لوحيك لا يريد فرارا
ما تلك الا قبلة الاشعار فى	نغر الصباح تریده أنوارا
لله در الشمس غازل ضوءها	لنناظرين الطير والاشجارا
كست الجبال مع الوهاد سبيكة	من عجد والنهر سال نضارا
فمن القواد محل عقد همومه	وعن الطبيعة تكشف الأسرارا
فى كل قلب هائم من نورها	أمل الوصال يحرك الأوتارا
يا شمس غادرت الحقول ضحوكة	وتركت أمواج البحار حيارى
رقصت لنورك تسرد رضاءه	عنها وقامت تبسط الاعذارا

القيت فوق الغاب ثوبك فانبرى فيه النسيم يجاوب الاطيارا
طارب المحب اشدوها متبسما للشمس وازداد الوقور وقارا



حتى الصباح . مددأ حسناته وانس الهموم وصاحب الاقدارا
واذا مررت على الغدير فتقف به تلفيه قد تحخذ الزهور شمارا
فاركع وهال للطبيعة خاشعا واذكر هناك الواحد القهارا

سلطان الليل

أنا يا ايل أناجى منك سلطانا رحيم



من بنى جسر الأمانى فوق أمواج الهموم
واحتدى من كاس ودى خمرة الخلل الحميم
يطفى النار اذا ما هاجنى الذكر الأليم
يرسل الرحمة تنفى قوة الشوق القديم
صادق الوعد كريم وعلى الود مقيم
هو لى خل أمين ولأفكارى نديم



أنا فى الدنيا وحيد ولى الناس خصوم
راقهم ان جد أمر برق غدر لا يدوم
ورأيت الغدر نارا ورأوا فيه القيم

هدموا بنيان ودي واتممت منه الرسوم
ومليك الليل بر هو لي أم رؤوم
هو لي خل أمين ولأفكارى نديم



أنا من أدران صحبي طاهر القلب سليم
أجد اللذات تنرى إن دنا الليل البهيم
فأرى وحي طروبا بين هالات النجوم
منشداً شعري واني لست أدري ما يروم
ومليك الليل يدني من في خمر النسيم
هو لي خل أمين ولأفكارى نديم



لا أرى في الصبح إلا كل غدار أثيم
وأرى في الليل سعدي يحمل الخير العميم
هو في عيني نقي ناصع صافي الأديم
وبه صحبي كثير بعد أن كنت اليتيم
ومليك الليل يحبي ما غدا مني رميم
هو لي خل أمين ولأفكارى نديم



أنا يا ليل أناجى منك ساطعاً نار حيم

الفجر الاول

لمحمد علي بمصر

غريب بهذي الدار لىكنى اذا
تلوح لىمنى والظلام ترددت
فيشتد منى العزم والناس نؤم
إرادة نفسى من عصيرك انبها
اذا خاننى صبرى أخالك واقفا
فأرجع للجلى وبى منك شملة
يتيم ولىكنى همام فليس لى
شغوف بمن تملى المخاطر قدره
لئن كنت أمياً فاست ببحجم
أصيح لصوت المجد فى كل ساعة
وقفت كأنى للعيون سحابة
فدهرى أمام العزم منى كأنه
ستكتب فى سفر الحياة وقائى
ألا أيها النمل الذى فاض خيره
أرى فيك يا مرآة نفسى صورة
وياهرماً ترونو الى مايبأ

رأيتك خلت الدار مهبط ابائى
جحافلها ما شئت فى أعين الرائي
عن المجد تلهى نفسهم خمر الداء
لتورك ظلماتى فارو غابة أحشائى
تعيد رجائى من سسناك بايماء
تغير طريقى فى منابت آرائى
من الاهل الا البأس بدد أعدائى
فسيان صبحى إن هممت وامسائى
عن العلم إن العلم مصدر نعمائى
وما أذننى يوم النداء بصماء
اذا هزها ربح تفيض بأنواء
غريق وذاك العزم أمواج دأماء
ويقرأ أهل الارض معجزاتبايى
على أمة مهضومة الحق معطاء
من الجسد نهدينى لمبيع سرانى
ندانى وفى أحشائه سر عليانى

وما هو إلا مثل عزمي تجسعت
كلانا منى الايام في مصر خالد
لقد كنت قبل اليوم عن مصر نائياً
فيا بلداً يجرى به النيل ضاحكا
لئن ناصب المقدور نفسي حروبه
فما أنا ممن يرغم الدهر أنفه
سيخضل منك الزرع بعد مماته
وعدتك مجداً لم تر العين مثله
نواصيه حتى بات يستلفت الرائي
له إن دنا ليل منارة أضوائى
فها أنا في مصر ولست الفتى النائي
ويهتز جذلاً نأ يحاول ارضائى
وهشم من عزمي بواتر امضائى
ولا أنا ممن يستكين للآواء
ويخضب ظهراً لأرض في كل صحراء
وسوف ترى عينك يا مصر ايفائى

النهاية

وقفت كليوباترا تنظر لانطونيوس يحارب اوكتافىوس وخافت
الهزيمة فعزمت على الانتحار وهالها ان تموت وحيدة فأرسلت لانطونيوس
تخبره بموتها فبكى وطمن نفسه بخنجره ومات شهيداً غرامه فلما وافاها
خبر انتحاره أسامت نفسها للثعبان وماتت قبل أن يأسرها اوكتاف .
يا ظلام النفس رفقاً بالآلى
زلم الدهر وقدماء ظلموا
رقدوا في ساحة الهم وقد
كانت الدنيا لهم تبسم
قد طوى الدهر سماء لمعت
لهم من قبل فيها أنجم
جفت الخمر فنى الكأس دم
وكذا الدنيا خمور قدم
تكسوا الطرف وقد لاحت لهم
صور عن سعادتهم تزدحم
ندموا عما جنت أيديهم
حيث لا ينفع يوماً ندم

فهو كالليث يبكى يائساً وحرام أن يضام الضيف
أما الدمع اسات ناطق يتولى قاب من لا يرحم
غير أن الدهر سيف حده قاطع فيه القضاء المبرم



وقفت في ساحة القصر وقد
ترسل الدمع على الخلد دماً
لا ترى في يومها السعد وقد
فاذا الصبح أتاها ضاحكا
واذا الزهر رنا مبتسما
تسمع الجيش يلبي ربه
كل مغوار يرى الروح فدى
وترى الاعداء هبوا للوغى
زمر ماجت كبحر مزبد
أسد لا يرهب الموت وهل
فكان الأرض ميدان به
خافت العقبي وما الخوف سوى
هي بين النصر والامر غدت
أسامت لالشك قاباً هالماً
نادت الموت وما هابته اذ
كل عيش بالردى يحتم



كان أنطونيوس صباً مغرماً	فاتقضى الحب ومات المغرم
مات والآلام تستهده	والأسى يلهو به والتهم
مات مكلوم الحشا منتجراً	ناقماً طورا وطورا يندم
هو والخنجر في أحشائه	شبح لليأس يعلوه الدم
جاءه نعى التي فارقها	حية يسعى اليها الكرم
لم تكن ماتت ولكن هالها	موتها والعيب حى ينعم
أين من ضحى لها أوطانه	لم يعض القاب منه الندم
صالحاً للحب لا يرعى سوى	عهده ذاك الاثيم المجرم
خان روما مستبداً ناسيا	إن ركن الحق لا ينهدم



كيف تحيار به الحسن وقد	مات من كانت به تعصم
عقها الاعوان في نكبتها	مثلاً للغدر يا ويحهم
ليس في الناس وفي صادق	فهم ان ماتت الدنيا هم
ايه كليو بطره اليوم انقضت	عنك آمال وزالت أُم
أنت في القصر خيال زائل	وهو في العين خفيف مظلم
أنت والارقم يرنو جائعاً	حية يرنو اليها أرقم
لا تظنى ان في حسنك ما	يسجد الليث له يسترحم
إن أوكتاف جرى قادر	وله النيل ومصر منعم
وجمال المهر ماض ذاهب	وجمال الطهر لا ينعدم
وابتداء الحى منا عدم	وختام الحى منا عدم

خوفو فرعون مصر

وأسأل وأنا غير شاعر بمرور الساعات صدى
ما آوهم القديم عما تبقى له من رنين أصواتهم
(هوجو)

ونظرت الى الاكوان نظرة معتد	ودانت لك الارواح في قبضة اليد
هزئت باسرار القضا وحكمه	كأنك تدري ما سينفذ في القد
أطيعك قواد الجيوش جسيمها	ويخشاك يا فرعون كل مسود
كأنك والارواح حولك سجداً	وما كانت الارواح قبل بسجد
رسول للمنايا ترسل الروح في الوري	وتخضع قلب الصابر المتجمل
اذ شئت صار الصبح أسود حالكا	يفضل قواد الناسك المتعبد
وان شئت صار الليل أبيض ناصعا	يسير على أنواره كل مهتد
وان شئت يغدو سيد القوم عبدهم	وان شئت يغدو العبد أكبر سيد
وقلبك حار العتل في كنهه سره	ورأسك رأس الاسود المتوقد
وما الرعد الا صوت فرعون هاجه	من الناس ذو جرم على الناس يعتدى
وما البرق الا نظرة منه أومضت	بليل من الالهوال أقتم أسود
وما الريح الا زفرة من زفيره	تروح على الصحراء طورا وتعتمدى
فيالك من ملك اذا هم أبرقت	تواجه عزرائيل يوم التواعد
ينقب عن ذكر العواقب جهده	وما ذاق يوم الفتك طعم التردد

أقيمت على الصحراء قبرك خالداً
 بنى لك اهراماً كأن صخورها
 بناها بلا أجر سوى الجهد والطوى
 كأن العذارى حول اهرامك التي
 وما النيل الا دمع من جرت به
 وقفت لدى الاهرام تصرخ غاضباً
 وقومك يا فرعون حولك خشع
 ولم تدر ما يخفى الزمان لاهله
 سقى نفسك الكأس الاخيرة بعدما
 قضيت ولم ينفعك ما كنت جامعا
 سللت سيوف البغي جذلاً ضاحكا
 فأغضيت طرفاً تحرق الصخر ناراً



وأغمدت سيف الظلم في الغمد رغماً
 وساويت ترب الارض لم تمنع الردى
 تناجيك أرواح الضحايا وقد بدا
 وما عهدت من قبل دمك جارياً
 وشعبك أضحى يوم موتك صاخباً
 يهلل جذلاً ويهتز ضاحكا
 وألقاك في الصحراء طعمة جائع

وما كان من قبل الملمات بمغمد
 وكان الردى من قبل طوع المهند
 لها منك عجز الحاكم المتشدد
 ولا عرفت منك الخضوع لاصيد
 كبحر من الاقوام مرغ ومزبد
 ولولا جلال الموت هزك باليد
 من الوحش والعقبان في كل فدغد

حرمت من القبر الذى كنت ربه وما كان ذا الحرمان قصد المشيد
وما هو الا نار شعبك ناله جزاء وفاقاً فاحتمل ونجلاه

°°°

أناجيك يا فرعون لو كنت سامعاً (وبأنيك بالآخبار من لم تزود)
وما الشعر الا وحى نفس كليمه لها فى مجال الشعر أعظم مقصد
فان كنت يا فرعون فى القبر ظامثا لما قيل من شعر الحقيقة فاشهد
بأنى قلت الحق لم أخش لائماً وما خفت ذا بأس ولم أتودد

حكم الحب

قلت الفجر ونور الروض فاح وتولى الليل من وجه الصباح
(اننى يا فجر مهضوم الجناح ايس لى يا فجر للعيش طاح
قد حسبت الهم كأساً فيه راح بعد أن القيت فى الحب السلاح)
فأجاب الفجر بالحق الصراح (لا تطل شكواك من تلك الجراح
كن اليك الشجو وتستجد النواح فشقاه الناس فى الحب مباح)

°°°

قلت للصبح ولى الصبح ابتسم وفؤادى عضه ناب الألم
وعيونى فى هواها لم تتم وجرى دمي كما تجري الديم
(اننى يا صبح صب ما اجترم حافظ فى الحب ما تنقضى الذمم)
فأجاب الصبح والحب حكم (كن أسيراً للذى فيك احتكم
ليس لابن الحب عندي معصم اذ هناء الناس فى الحب حلم)

°°°

قلت لليل وقد وافى الظلام وانبرى للناس سلطات المنام
وارتدى البدر جلايب الغيام مثل وجهه باسم خلف لثام
(اننى يا ليل صب لا ينام وحرام اننى فيك أضام)
فأجاب الليل والناس نيام (لا يلام الحسن والصب يلام
ليس هجر الناس فى الحب حرام فاحتمل بلواك ان عز المرام)



قلت للموت وقد ضاع الامل وانقضى صبرى وما وافى الاجل
وعرفت المهجر قدماً والعزل وحرمت الشهد من تلك القبل
(أنت ياموت دواء للعالم وأنا ياموت ظل منتقل)
فأجاب الموت والقلب امثال (حكم الحب فقل لى ما العمل
ليس لابن اليأس عنه مرتحل قد غدا اليأس لذى اليأس أمل)

خواطر الوحدة

سكن الليل وقلبي نائر
وعيونى لا تنام
وانقضى صبرى وحظى عار
وشجونى والظلام
نسجت للقلب ثوب الألم



أسمع الألحان من موج البحار

وأناجى كل نجم
وظلام الليل مسدول الخمار
لا يداجى نضوهم
فهو أم لضحايا السقم

أنت يا ليل صديق الشاعر
قد شهدنا كل حسن
صاغه فيك ابتسام الصابر
فابتسمنا تحت غصن
وعرفنا الصبر بعد السأم

* *

يا بنات البحر قد عز المنال
فالأم لاناقي
من تهادت فوق أواج الخيال
وعلام في المآقي
سفكت دمع الهوى المنصرم

* *

إيه يا من لا ترى صورتها
في المنام أين أنت
أنت يا من ، إن دنت ، شيعتها

ان أضام قد جفوت
فوجودى قد غدا كالعدم

الدار الحزينة

مر الشاعر على دار كانت مهد هواه مخاطبها :

دار الهوى وعذالة المتاعل	هل أنت باعثة الغرام الأول ؟
قد ذقت فيك من الصفاء كؤوسه	دهرا وعشت عن الوجود بمعزل
ألهو وأهزأ بالزمان وصرفه	والقدر فى طى الزمان المقبل
صفرت بك الريح الجوح لعلها	ترثى غراما فيك لم يتبدل
ضرب الفراق عليك سودخيامة	وسقاك من يمانه كأس الخنظل
نعمق الغراب بساحة لك طالما	فى الليل أطربها نشيد البابل
وأنا ببابك واقف متأمل	فيما دهاك وهل يفيد تأمل
الزهر حولك قد علته كآبة	يشكو النوى ظمآن لم يتقبل
يرنو الى وقد أفاق هزيمة	يحنو على ذاك الخيال المقبل
ويئن فيك الحب أنه عاشق	قد كنت فى عينيه أطيّب منزل
وعليك من هجر الأحبة مسحة	تبدو لعين الشاعر المتأمل
تترنح الاشجار فيك كأنما	يهوى بها داء الفراق المعضل
ذبلت زهور مانسيت جمالها	والحب طى أضالعى لم يذبل
والماء جف وكان يجرى ضاحكا	متدفقا كعزيمة المستبسل
أرويك بالدمع الغزير لو انه	يحيا النبات بفيض دمعى المرسل

يا غرفة الحب القديم تحية	مالي أراك حزينه للمجلى
يا غرفة الحب القديم تحية	قد طال فيك ظلام ليل الليل
باطلما شاهدت خير مواقف	للحب بين معانق ومقبل
هلا ترين تفجعي وتلفي	أو تسمعين شكائتي وتذلي
مالي أسئلك السعادة والهناء	وظلام هذى الدار لم يتحول
مالي أرتل عند بابك خاشعاً	آى الغرام كراهب مقبل
أبكى كما يبكى اليتيم وقد بدا	منى نذير الشر للمستقبل
وأحن للزمن القديم مردداً	سرى وأعبس للزمان المقبل
وأرى ونار الذكر تأكل مهجتي	فعل النوى بجيدينك المهمل
انى وقتت عليك سبل مدامعى	فاذا وهبت لك الحشا فتقبل

الضحايا

أسمع فى الليل نواح الألى	رماهم المقدور فاستقاموا
يبكون والرحمة فى سجنها	مشاولة الاعضاء تسترحم
تن والاعلال فى جبيدها	وساجن الرحمة لا يرحم
يمشون واليأس امام لهم	يقودهم والحب يبيكيهم
والبؤس يشى خلفهم ، والأسى	يهزم والناس لا تعلم
نلمح فى أعينهم جذوة	من نار يأس فى الحشا تصرم
سميرهم شمرى وقد جاءكم	لينقل الشكوى لكم عنهم
وسوف لا يسمع شكواهم	من يجلس المال ولا يقدم

لا يعرف اللاواء إلا فتى تذيقه الأيام ما يؤلم
سيان في عين الفتى المدعى ماء جرى فوق الثرى أو دم

يلومنى قومي

يلومنى قومي على حبها واللوم لا يجدى ولا ينفع
يرمونى بالضعف لسكرهم لم يجرعوا السكاس التى أجرع
وما دروا أن الهوى قاهر قضاؤه فى الناس لا يدفع
ولا رأوا أسطر هجرانها تخطها فى خدى الادمع
ولا رأونى فى ظلام الدجى وقد نبا عن جسمى المضجع
أبث ليل هوى خالداً والليل لا يحنو ولا يسمع
أردد الأشعار فى جوفه كطائر فى سجنه يسجع
أعلل النفس بنيل المنا والصب بالآمال لا يقنع
انى فتى لم يدر طعم السكرى ان يهجع المونور لا يهجع
وان شدا البليل فى دوحه يذوب وجداً قلبه المومع

صبرا فؤادى

صبراً فؤادى صبراً فأنت بالصبر أحرى
كانت أمانيك بيضاً فأضحت اليوم غبرا
وكنيت كالماء عذبا واليوم أصبحت جبرا
أضافك الهم حتى ألفت همك دهرا

والحب قيد ثقيل وقد عهدناك حرا
والحب ذل وقد ما أبيت للذات أمرا
والناس أخذان غدر وأنت بالناس أدري
رضيت حب فتاة تبديل اليسر عسرا
لها فؤاد جديب العار فيه استقرا
تسقيك بالاحظ خمرا حتى تمايل سكرنا
والدمع في مقاتليها ستر يحجب سرا
والابتناسام تراه فتحسب الورد شمرا
يخفى عن العين كيدا منه المطامع تتري
فكيف نهوى اليها وأنت أرفع قدرا
تصبو لها من قديم وما صبوت لاخرى
يدب فيك هواها فيملأ القلب سحرا
فكيف تبعد عنها وقد جهلت المقررا
وأنت صب عليل من حبها لست تبرا
فت فؤادي انى وجدت عيشى مرا
نشدتك الله نفسا عاشت على الضيم بكرا

وريك قلبي

وريك قلبي متى أراك صؤولا بعد ان كنت مستكينا عيلا
حانديك الاقدار بعد التصافي ورواك الهوى فصبرا جميلا

قد ضللت السبيل طوعا وما كنه	ت قديما تفضل ذلك السبيلا
قد أطأت المقام في دار ذل	كيف ترضى المقام فيها طويلا
غرك الحب وهو برق ككذب	فتصبر انى وددت الرحىلا
كيف تنسى وقد خلقت أيباً	أن للمجد صولة لن تزولا
نحن نأبى يا قلب تلك الدنايا	فكفانا في الحب قالا وقيلا
نحن قوم على العلاء فطرنا	لا تكن للعلاء ذاك المزيلا
أنت أولى بالانتصار اذا ما	جرد الحب سيفه المساولا
ليس عاراً اذا قضيت شريفاً	انما العار أن تعيش ذليلا

الشفق

أنت دمع النهار في صفحة الكو	ن يحى في الليل سرّاً خفياً
أنت دار الأسى وقد ما وجدنا	فيك للشعر مهبطاً أبدىا
أنت كنز للحب أودع فيه	حلك الشعر حبه العذريا
صامت أنت تسمع الطير في الرو	ض يغنى للنيل لنا شجيا
يسمع الليل حين تبدو أنينا	لنهار قضى حزيناً شقيا
أنا أبكى وأنت تبكى وقد ما	قد بكينا هذا الغرام سويا
است تبكى الوجود والناس لكن	أنت تبكى خاف النخيل عاليا

الطائر السجين

طائر فوق الغصون خاشع الطرف العليل
هو في سجن الشجون لا يرى عنه بديل

كلما هز الغرام منه شوقا للحبيب
جاءه طيف السقام يقرع القاب الكئيب

قام في الليل البهيم يملأ الليل نواح
هو والحب الظلوم ريشة بين الرياح

ان شدا بين الحقول هب في الروض النسيم
ومضى فوق التلول يحمل الذكر الأليم

صوته ، والدمع يجري حائراً فوق الخدود
فاضحا لليل سرى ، بعض أنات الوجود

عله ، لما استردا أمل القلب وطراء
شبح الهجر تبسدا ساعة ثم نوارى

خاته رمز غرامى لابسا ثوب الظلام
نابشاً قبر سقامى صائحا أين المنام

طائر العشاق ، صبرا إن نأى عنك المرام
قد بلوت الناس طرا فعلى الحب السلام

قم على الغصن وغن واهتك السر الدفين
ردد الاحزان عني يا صدى القلب الحزين

عرش الحداد

اني بنيت لمن أحب وللهوى عرش الحداد
عرشا قوائمه الهمو م وتاجه شوك القتاد
والدمع فيض نواله يجرى على جثث العباد
واليأس كوكبه المضى لتائه حران صادي
من أمه مسترحما أصمت حشاشته العوادي
كالليل مسود الجوا نخ لا يحن لذي سهاد

هذا هو العرش الذي حطته هذا فؤادي

استعطاف

حييتي نحن قوم لا يغيرهم
عاشوا على الضيم أحراراً غطارفة
لا يأبهون لذي يحلش يناوئهم
يحمون عرضهم في كل ملحمة
المجد رائدهم والصدق شيمتهم
فكيف ننقض عهداً في محبتكم
والحب ان هاجه بعد وموجدة
صرف الزمان فان عاداهم صبروا
سيان ان ملكوا الدنيا أو افتقروا
يغشى ديارهم والليل معتكر
ما خانهم في النزال القلب والبصر
والحب عندهم يحلو به العمر
وكيف نعرض عن حبها قدر
فانه النار لا تبقى ولا تذر

حبيبتي والأسى في القلب مكتمن	يفشيه دمع على الخدين ينهمر
اني وربك لا أسألو الهوى أبداً	وكيف أسألو ومالي عنك مصطبر
ان تنكرى سهد عيني في الغرام اذا	جن الظلام فمعد الانجم الخبر
ان كنت أنظم فيك الشعر مرحلاً	فذاك وحى فؤادي جاء يعتذر
اليك أرسل آياتي التي ناطقت	عما تكتمه الآمال والفكر
لا تأخذيني بأقوال الوشاة ولي	قلب يحبك ما في صفوه كدر
قلب ترامت به الأشجان تسليه	صفاءه وبه الآمال تحضر
لو كنت أركب أهوال الحياة لكم	ففي غرام الغواني يركب الخطر
قد كان لي أمل في العيش مكتمل	أودى به الهجر والتبريح والذكر
جوذي بعفو يعيد الروح في جسدي	بعد الملمات فمنك العفو ينتظر

صورة من صور الليل

اليوم الناكل

وقنت تبكي وما من سامع	غير آذان الظلام الأقم
لا ترى في خمة الليل اذا	نظرت ، غير قبور جثم
تصدع الظلام منها صرخة	خرجت من قلبها المنهدم
تقرع الصدر وفي القلب أسي	شق ذلك القلب شق الجلم
تظلم الوجه بكف أسود	وتناجي جثة المحترم
واذا ما صرخت جاوبها	من قم الأقدار صوت المدم
هي والأقدار تجري حولها	جثة في موجهها المتظلم

يا رجال الشعر قوموا وانظروا
تلك أم أودعت مكرهه
وجئت تبكي على جثته
خففوا الوطأ لئلا تزعجوا
تحت هذا التراب نامت أنفـس
فانظروا مقبرة في طيها
واسمعوا من بابها موعظة
صـورة للبائس المنهزم
طفلها المحبوب جوف الرجم
ودموع الموت لم تنسجم
شبح اليأس وطيف الألم
في خبوت من عظام ودم
يرقد المبصر في جنب العمى
واعبدوا فيها جلال القدم

زفرات الشباب

يراجع قلبي بشـه كلما دنا
وما ارهق الطيف الزيارة بعدما
دنا غير هيَّاب وراح محملا
وطالغنى منه الرجاء هنيهة
ولا أنا أسلو في الهوى من أحبه
فطوراً ترى وجهي بشوشاً وتارة
وما زلتُ استنشئ الرياح لعانى
نأى عن ديارى بعد أن خاف الاسى
فهل رحمة في القلب يطفى بردها
فؤاد اذا التأت الصديق رأيتـه
يقيم على عهد الوفاء حياته
خيالك في ليل تغيب كواكبه
أعل فؤادا كاد يندك جانبه
من العين دمعاً لا تجف سوا كبه
فلما مضى مات الرجاء وصاحبه
ولا يرحم القاب المدنف ساليه
يطوف على وجهي من الهم راسبه
أشم شذنا من هاجر لا أقاربه
لقلبي وهل يحنو على القاب غاصبه
أوار فؤاد حطمتـه مصائبه
يسابق وفد الريح شتى مصائبه
ويزور عن دار الغواية جانبه

رماه الهوى من قبل أن يعرف الهوى
 فأرخص دمه كان بالامس غاليا
 وبأيهما البيت الذى فيه ظلاله
 لقد كنت مأتوس الديار فما الذى
 عدك الاولى صانوك من نكبة البلى
 سقاك ماث الودق فى كل ساعة
 أرى كوكب الآمال يبعد نوره
 وأصبحت مقطوع الرجاء فتارة
 وما سمعتى فى العيش الا مصابه
 تقربت أهل الارض فى كل بلدة
 أثبت له ما حفز الحب فى الحشا
 فيا قاب صبرا فالحقائق مرة
 ويامن يرى فى العيش أمنا وراحة
 فمزرقة والحب كثير نوائبه
 وقام به صوت الإباء يعاتبه
 ربيت وكم حنت الى ملاحبه
 رماك به دهر تدب عقابه
 فمن فيك القساء ومن ذا أخاطبه
 وحيالك وحى الشعر يبيض كواعبه
 وليل الاسى والهم تدنو غياهبه
 يغالبني دهرى وطورا أغالبه
 ولا أنا أرجو اليوم ما أنا طالبه
 فلم أر بين الناس خالعا أصاحبه
 ورتق من صفو تداعت جوانبه
 ويا نفس ليس الحب قرنا أحاربه
 هنيئا لك الكسالى الذى أنت شاربه

اعتذار

أرسل الشاعر هذه القصيدة من الاسكندرية الى صديق له فى مصر
 يعتذر عن تأخير الخطابات

يا حافظا للسود فى غيبتى
 أنت الذى علمت قلبى الوفا
 ذلت لى الصعب فلم أبتأس
 هل لك أن تصفح عن هفوتى
 وكنت لى عوننا على كرتى
 يوما ، وكنت النور فى الظلمة

كم ليلة قضيتها ساهراً فوق فراش الحزن والحسرة
 أخالني والهـم لا ينثنى عني، غريب الأهل والجيرة
 أو جثة القى بها نحسها في لجة الآلام والوحدة
 أثبت ليل هوى باطنا وأدمعني تهـل من مقلتي
 وطيفك المحبوب لي صاحب يحجب طيف الهجر والقسوة
 يثير في النفس بقايا القوى ويرجع المفقود من عزتي
 وكنت مثلي ذا هوى خالد عشت أسير القد والنظرة
 تحمل من نار الهوى جرة يا ويحها للنفس من جـرة
 وكم تشا كينا الهوى في الدجى وليس غير اليأس من منصت
 نسير والآلام في أثرنا وتتبع العـبرة بالعبـرة
 حتى إذا ولت جيوش الدجى والفجر مثل الشيب في اللمة
 نعود للدار على بعدها بعد اللتيا يا أخي واللتى
 تغالب الدهر على أمره في حبنا والدهر ذو مرة
 يا صاحبي اني أخوك الذي ما زال ذا عهد وذا ذمة
 لم أنس أياما لنا حلوة لهفى على أيامنا الحلوة
 كأنها والسعد من حولها أنعام يبيض الحور في الجنة
 أو نعمة الرحمن حفت بها ملائكت الرضوان والرحمة
 وهل أغض الطرف عن صاحبي وأنت من قومي ومن أسرني

هنا اذا ما كنت في نزهة أخالني أرح في ضيعتي

أمتى الهوى بنا ضاحكا لاعبا وأعبد الرحمن فى عزالى
والبحر يرغى مزيداً هائجا كضيقهم هم إلى وثبة
والقلب فى أمن وفى راحة يا خير من يصفح عن هفوتى

الجرح الاول

حياة حاولها مر وقلب خانه الصبر
ونفس فى يد الاوجا ع لان لبؤسها الصخر
حلبت الدهر أشطره وفيه الخير والشر
فلم أر فى الورى خلاصا يشد بمنسله الأزر
وكيف يلد لى عيش ولى خصم هو الدهر
يقفل حديد بادرى وليس لعمله عذر
وهل تصفو مشاعره ويصحب غيبه اليسر
وتحت ردائه احتجبت يد فى كفها الفدر
فبين النفس من قدم وبين طلابه وتر
أرى الايام مظامة يديه بليها الحر
فلا هم^(١) ولا عزم ولا نهى ولا أمر
عواصف همة سكنت حواها البر والبحر
أبامل قلب مبتئس وأيام الهوى غير
ويبتلى فى جوانحه زفير رهوه جمر

يظل الليل مرتجفا وما في قلبه ذعر
 كمزؤود تروعه ليال ما لها فجر
 وأيام مضت عنا وليس أطيبها نشر
 مضت عنا برونقها وولى خلفها العمر
 وهيفاء اذا خطرت مشى في أثرها الكبر
 هضم السكش فاتنة كان حدينها سجر
 وألمها وتلمنى وفوق رؤسنا الظهر
 نأت عنى فلا عجب اذا ما هاجنى الذكر
 وعاج خيالها سحراً وآنس وحدتى الشعر
 رمت أيدى النوى ظلما فؤاداً غصنه نضر
 الا فى ذمة الرح من نفس حرة بكر

كما تشائين

كان ذاك الغرام سهلاً وصعباً وجفاء من غير ذنب وقرباً
 كلما رمت هجرها واصلتني واذا رمت وصاماً تتأبى
 أنت فتاة ولكن قلبي لم أجد مثله على الصعب قلباً
 فاذا شئت كان حبي سلباً واذا شئت كان حبي حرباً

عشنا تبكى

أنت كالطائر تشدو كلما هتف التذكار بالقلب السكونم
 عبثاً تبكى على العهد القديم لا يعيد الدمع أيام النعيم

حطمت صبرك غارات النوى ودعاك الهجر المذكّر الأليم
كلما أرسلت أنات الهوى سكنت في هجمة الليل البهيم
تمهر الليل وترجو غفوة أبنام الليل مولود الهوموم

ليلة

وليلة حائرة النجم قد هذّ فيها اليأس من عزمي
قضيتها والدمع لى مدد فكانه نوب على جسمي
وكان قلبي كلما هممت عيني ، خضم موجه همي
قد نحت فيها لا أرى عضدا نوح اليتيم يصيح يا أمي

مولود الهوموم

أكان الهوى الا الدروع سوابق على الخد والنيران بين الأضالع
وبأس وآلام ووجد ولوعة وشوق الى وجه الحبيب المخادع
لقد كان لى فيمن أحب مطامع فأخمد مجدى نار تلك المطامع
ولكننى ما زلت أعبد حسنّها واذا كره إن مر مررب السواجع
تافعت نوب الليل والليل صامت فما راعنى هوج الرياح الزعازع
ولا هالنى دمع السحاب وقد سقى وأحيى موات الزرع سيل مدامعى
أرى أننى فى الحب أرضى ملامتى واسمع ما لا ترتضيه مسامعى
وأجزع من صرف الزمان وغدره وما كنت تافقاء الخطوب بجازع
وأرغب فى جوف الليالى نجومها وأعجب من تلك العيون الهواجم

وما السهد يدنى من تنأى خيالها ولا الدمع في شرع الغرام بشافع
ولا أنا أرض الوصل وهو بليقي ولا الهجر والهجران فيه فواجعي
اعلى طفل اليأس والبؤس والشقا ومولود هاتيك الهموم القواطع

أنا وهي

معارضة قصيدة البارودي (هو البين حتى لا سلام ولا رد)

سلام عليها لا لقاء ولا ود ولا دمة في العين يدفعها الوجد
يعز على نفسي الأية أنها ترق لمن أضحت وليس لها عهد
أظل أسير الحب أرعى عهوده كان الهوى سيف وقلي له غمد
الى أن أرى طيف الخيانة جانما وراء الهوى يرنو الى فأرتد
وأرجع مكلوم الحشى يستفزنى الى الهجر مجد لا يعادله مجد
أكتم آلاما اذا ما تدفقت على الناس تغدو والقضاء لها وفد
ويسمع منى الليل صوتا اذا دوى تنزعت الموتى وجاوبها الرعد
وأغدو ولى نفس اذا رامها الهوى ثور ، ولى قلب هو الحجر الصلد
وليس الهوى الا المحامد والعلى فأوله جد وآخره جد
فان عبثت بالحب هيفاء كاعب فليس لنا عن كتم نيرانه بد
نعيش فلا يهتاجنا الشوق والجوى سواء لدينا القرب فى الحب والبعد
تعبير نى انى نكثت عهودها وما النكث الاشيمة الغيد يا هند
تريدين أن أقضى بدارك ساعة تحاربى فيها لحاظك والقصد

ولكنني آليت أن لا أزورها
 أما وبين الحر والله شاهد
 فلا تحسبي أنني أميل مع الهوى
 نولى زمان كنت فيه أخا هوى
 أ كفكف من دمي سوابقه التي
 أحمل أشواق الرياح تلهفاً
 كأنني غريق والظلام كأنه
 وكنت إذا لاقيتها بعد فرقة
 ألف على خصر الحبيبة ساعدي
 مضى ذلك العهد القديم وما انقضت
 ويا قلب لا تجزع فالدهر دولة
 ويا ابني قومي وقد جد جدكم
 تألى على فعل المكلام بعد ما
 ذروه الى العلياء يرق سمائها

وان كان فيها السعد يعقبها السعد
 لقد لذي الشوق المبرح والصد
 وأرخصي عنائي للدموع التي تبدو
 أناجي نجوم الليل والليل مسود
 تروح أسي في صفحة الخلد أو تغدو
 اليك فتذريها الرياح التي تمعدو
 خضم وأنفاسي هي الجزر والمد
 تجرعت فيها اليأس ليس له حد
 وألثمها وألثم يلمسه الخلد
 مطالب حب ليس يحصرها عد
 وما أنت يا قولي جبان ولا وعد
 اليكم فتى ان خانه الدهر يشتد
 تنفاس عنها يوم قامت به همد
 فقد ردت الأقدار من غيب الوجد

حياة الخاطر

يا حبة تنساب في خاطري
 رميت بي في هوة لم تسكن
 جعلت مجدى طعمة للهوى
 عانيت من أجلك كل الوردى

هدمت صبر الأسد الصابر
 من قبل داراً للفتى الشاعر
 دعى سبيل المجتهد للعباب
 فمن ترى بين الوردى ناصري

وهل أرى نور الهدى بعد ما
عصيت في حبك بيض المنى
يابؤرة الآمال ماذا الذى
وأنت قبر والمنى جثة
وأنت ياقلب اما ترعوى
قد غرك الحسن وفيه الردى
والحسن ان أودى به أهله
قد كنت مهجوراً فكن هاجراً
لا تبتئس واخلع لباس الهوى
أطفأت نور الحق فى ناظرى
طوعاً لـحب غادر جائر
أرجو غداً من حظى العاثر
غسلتها من دمعى الحائر
ولست قاب الفاجر الداعر
اذ ليس خافى الحسن كالظاهر
يغدو قذى فى مقلة الناظر
فالنصر والاسعاد للهاجر
والبس رداء الأمل الناضر

أنت !!

أنت . أنت التى سرت فى عروقى
نظرة منك قد أسرت بها القفا
نظرة منك القت الرعب فيه
وابتسام من فيك يشرق بالسم
ليس هذا الا طلاء تولى
عرفتك القلوب بالجود لكن
ما صفا قلبك الخلى ولكن
انت أظهرت لى الوفاء وانى
فانزعى عنك ذا القناع ليبدو
منك يوم اللقاء خمر جمالك
ب فهانت له صماب وصالك
رعب حب يقوده للمهاالك
يد لقلب صبا وعذب مقالك
مسحه للعيون طول مسالك
لم أنل منك غير نار مطالك
قلنى الواله السقيم صغا لك
لم أجسد فيك ما يعزز ذلك
لبنى الحب ما خفى من فعالك

حاربني منك الخيانة والغد ر لعمري اني صريع نزالك
غير اني عتدت الوية النعد ر فسكان الهجران يوم قتالك
شيعتي العفو للذي خان عهدي وكثير من حالهم مثل حالك

ليلى طويل

ليلى طويل ما له آخر يعم قلبي بحره الزاخر
ومقاتي ترعى نجوم السما ينهل منها دمعى الحائر
أأ كتم الوجيد الذي هاجه منها ابتسام حسنه جائر
إن أنشدت يصفى اليها الهوى كأنها في روضه طائر
فم هو النبع الذي يستقى منه الهوى والشعر والخطار
أصدني عنها فلا أنثنى وقد رماني لحظها الفاتر
فان نست من عاش في حبها عبداً فاني للهوى ذاكر
نصبي الهجران في حبها ياشد ما يلقي الفتى الشاعر

حياتي

حياتي هي الحب والحب ديني والحب قضيت عمري شقيا
آماني في الحب شيء كثير وما نلت يا قوم في الحب شيا
عذابي كبير ولولا عذابي لما كنت حبا عفيفا تقيا
ولي في الهوى عفة لا تجارى ونفس ترى الموت حلوا هنيا
ففسيم الملامة بامن ياوم ولولا الغرام لما كنت حيا

ارجوحة اللاعب

أشكوا الهوى للأمل الخائب يا ويحه للنفس من صاحب
كأننى بين الهوى والمنى يوم النوى ارجوحة اللاعب

هديتى

أهدى الى الدمع الهتون والى التهنيد والانيث
والى الزفير وناره والى التهاف والحنس
والى الشهيق وصرخة الـ مفجوع والقلب الحزين
ماكنت أكنم فى الهوى وأذوق فى ظل السكون

الريح

لعلك ، والآمال حيرى كايمة ، لسان الاسى فى الليل يهتك اسرارى
لعلك صوت الغيب أو صيحة الهوى تردها الاقدار ، أو وحى أشعارى

أحن الى الاوجاع

خالي ما الهجران شيمة معشر بنيت على آمالهم صرح آمالى
وأودعتهم سرى الذى كان قباهم دفينا كأننى كنت ذاك الفتى الخالى
وشا طرتهم فى العيش لذته التى تقضت كحلم مر فى صفحة البالى
هنا أشرب الكاس التى خالط الاسى سلاقتها بالدمع نم عن الحال
أحن الى الاوجاع طوعا وانما يحن الى الاوجاع فى الحب امثالى

الظبي النافر

مال عني ومضى غاضبا ظلي الفضا
 لم اطق حبس دموعي يوم ولي ممرضا
 تارة يرضى وطورا التقيمه ميفضا
 كان لا يألف غ يري والله قد اعرضا
 لائمي والوم حق انما الحب قضا
 لم اجد غير حبيبي عن حبيبي عوضا
 فاحتمل ياقلب ان نيتي لست اشكو مضضا
 ليمه لو كنت اذ نيت تناسي ما مضى
 واثاني باسمي شيقا متفضا
 وارثي بين ذرا عني عجيبا بالرضى

أَخَافُ

أخاف الشمس توقظ في قوادي
أخاف البدر في الظلمات ينفق
أخاف الحب أن الحب داء
أخاف الود والاصحاب اني
أخاف النفس أن ترضى بخذل
أخاف السعد والبؤساء حولي
أخاف من الوجود وما حواه

أنا وأنت

بالقلب من جفنيك سهم	وبه من الهجران سقم
هذه ابتسامات الحياة	ة لها على خديك وسم
أنا للهوى ذو هممة	ولغـيره أعمى أصم
وسهرت ليلي والجننا	ن بغير ذكرك لا يلم
وكتمت أُمري في الهوى	والدمع عن حالي يتم
والشاعر المطبوع من	مطبوعه سقم وهم
تم الوصال لغـيره	وله وصالك لا يتم

- اماءة -

الشاعر يخاطب امه

اماه قومي واسمعي	اماه مالك لا تحبي
أرايت دمع محازري	وسمعت يا أمي نحبي
هل راع قلبك ما لقي	ت من النوائب والكروب
ان الوجود صحيفة	ملأى بأسرار القلوب
خلفتني اللهم فيه	ه وللشدائد والخطوب

..

اماه انى قد طرق	ت حماك في اليوم العصيب
أبكى على سمعدي كما	يبكى الغريب على الغريب

يمضي الصباح ولست أعلم منه اسرار الغروب
 بأس الحياة إذا جها نأكنه ذا الكون العجيب
 إن المصائب ريشة تلهو بأوتار القلوب
 أفنى الغرام تجلدى وفقدت في أهلى طيبي
 هذا جناء أبى عاى وما جنيت على حبيب

نفثه مصدور

قأى ترامت به الشجون والدمع فاضت به العيون
 هوى بي اليأس من غرامى وعدة اليأس الزفير
 والليل لا ينجلى بصبح والنوم عن مقلتى تغور
 يا حبذا الموت من صديق فى حبه صادق أمين

لا يخفق القلب فى حماه ولا ترى العين من هويت
 وينقضى الهجر والعذاب واليأس والشوق والهيام
 وترقد النفس فى ظلام يحىء من بعده ظلام
 هذا هو السعد يارفاقى ياليتنى فى غد أموت

أموت فى زهرة الشباب كالغصن أودت به السموم
 وهل يعيش الفتى إذا ما لم يبق فى حبه رجاء
 والمرء إن خاله هواه فميشه والردى سواء

والزهر في عينه قتاد والشمس في عينه غيوم

...

وبابل الروض ان تغنى والناس في دورهم رقود
يخاله اليوم صارخات وخلقا السهد والدموع
والسعد عن نفسه بعيد والدمع في خده نجيع
والنار في قلبه تالظى وقلبه ان خبت وقود

...

في ذمة الله نفس حر عاشت على الضيم لاتهان
ماراقها في الحياة عيش ولا رعى عهدا صديق
رأت خيار الورى ذئابا يقودها الغدر والعقوق
أودى بها الهجر والزمان لعلها في الثرى تصان

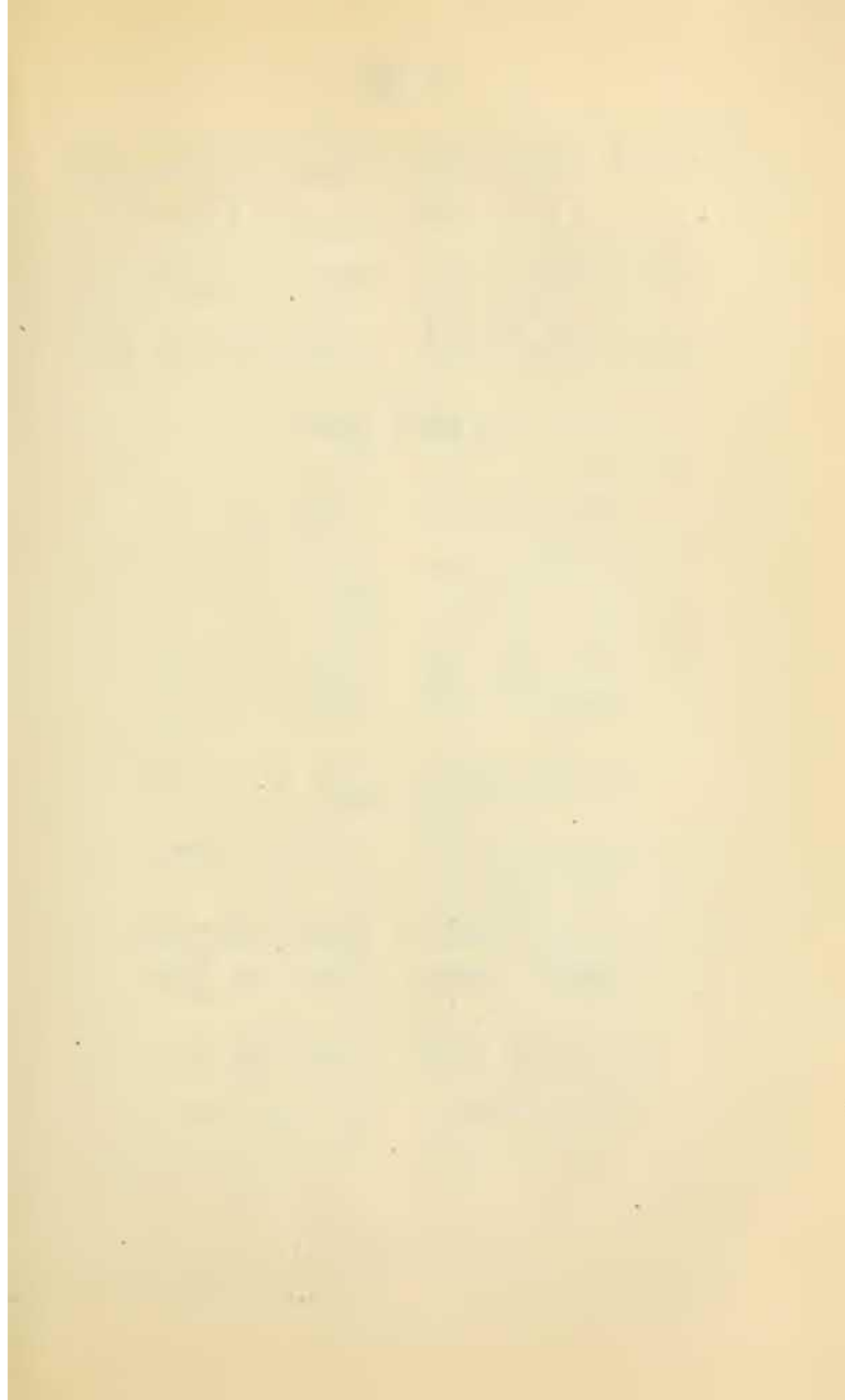
ياقصر الهاجر

أضم في الاحشاء شخص الذي ذرفت دمع العين في حبه
بالله قل لى يا مقر الهوى هل يسأل المحبوب عن صبه
ياقصر خبرنى وكن صادقا عن سر ما يحظر فى لبه
أثار حربا هوأها ظاهر والقلب لا يسلم من حربه
ياقصر لا أعلم ماذا جرى حتى أطأت اليوم فى حجبه
ما زال قلبى هائلا مدنفًا مسترحما يبحث عن ذنبه
يبكى هواء ناسيا أهله وقومه والحر من صحبه
ياقصر كن خير رسول لمن أصبح عز القلب فى قربه

عليك من هجرانه مسحة يعرفها المنكوب في حبه
لا حاقك المسكروه في قربه ولا رماك الدهر من صمبه
يا من غدا الصمت له عادة قلبي يزيد الصمت في كربه
فكن كـرنا اننى صابر فالجود كل الجود من ربه

دمع الشفق

فوق خدود الظلمة تبدو دموع الشفق
قد حملوها لوعتي وباءات الارق
أرنو اليها شاكيا فعل النوى بالجسد
مسترحما مستجديا بقيه للجسد
كانها فوق الربى طيف الاسى والسقم
يخط في سحر الصبا ما في الحشا من ألم
والشعر في أحزانه يسكب كأس الأمل
يحمل في اكفائه غوامض المستقبل
ابسه في وحدتي انات قلب مغرم
يشكرو له هجر التي يوم اللقا لم ترحم



الكتاب الثاني

الوجيز في

مقالات من الشعر المنثور

الكتاب

في الفقه

عودة الموجهة

في مثل هذا اليوم من العام الماضي وقفت أمام هذه الأمواج
المضطربة أشيمها بانفاسي الحارة ودموعي المنهملة

وقفت أمامها وقففة العاشق الذي استوجد الوجد ضلوعه وبري
الشوق عظمه وأودعها رسالتي التي كتبتها أفلام الصبر بعداد الدموع .

أودعها الرسالة وأنا أترنح كالشارب التمل يقعد بي اليأس ويدفعني
الرجاء والأمل . وما ألد قطرات الأمل الباردة على نيران النفس الهائجة !

تركت الشاطئ بعد أن غادرته تلك الموجهة الشائخة وكلتي حنين
لذلك الديار النائية وذلك العش الساكن الذي كنت آوى إليه مع
عصفورتي الهادئة الجميلة

هناك كانت تسكلاً لنا عين الحب ونحرسنا يد العفة والطهارة وهناك
شربت مع من أحب كأساً لا أنسى لذتها الى الأبد . مكثت سنة وأنا
تواق للاجبة أنتظر رد الرسالة وقد ظمأت نفسي للقائم واهتاجني
الشوق اليهم ، ولكني وطئت نفسي على الصبر وتجلدت على مضض الحزن
الى أن مضى العام ودنا يوم اللقاء فذهبت بالامس للشاطئ عند غروب
الشمس في المسكان المعين وانتظرت الموجهة وأنا كالريشة في مهب الريح
ورأسي كالضباب الأسود يلعب فيه برق الأمل ثم ينطفئ

وما لبثت برهة حتى رأيت الموجه كالطود الشامخ بهزها الريح
فتضطرب وترغى وتربد

عرفت الموجه من بين اخواتها فهلمت نفسى لمراكها ووقفت
كالمصعوق لا أبدى حراكا

رأيتها تدنو فدنوت اليها ومددت يدي كالسائل المحروم فأذا بى أقرأ
على صحيفة وجهها سطرأ كتبته يد النسيان الناعمة وسجلته مخالب اليأس
فرجعت خطوتين الى الوراء وهويت بحسمى على الرمل وصرخت
صرخة تراجعت أمامها الامواج
ومكثت برهة وأنا لا أعى شيئاً ..

لقد انطفأ ذلك السراج الوهاج سراج غرامى . لقد بادت تلك
الاحلام التى رافقتها أحلامي . لقد أسدل النسيان ستارة على ماضى
هيامى .. وهى .. هى الآن تعيش سعيدة مع سواى تشاطره هناء
الحياة وتذوق معه أفوايق الحب والسعادة

ليهناً ذلك القاب الوديع بطيبات هذه الحياة وليجد مع من أحله
فى سويدائه برد السرور ولذة الغبطة والهناء

أما أنا فسا بقى لهيف القاب كاسف الوجه أفترش الهم وأتوسد القلق
واثن تجرعت غصص الكرب وعالجت برحاء الالى فسا بقى على عهد
الوفاء لا تمنحى من مخياتى صحيفة الذكري حتى الموت

. مكثت أمام الموجه مدة طويلة وأنا حائر الطرف مدله العقل
مستطار الفؤاد وما لبثت أن عرفت أصواتاً أعرفها تنادىنى . هؤلاء هم

رفقة . من المصطافين مثلي كنت في غنى عن لقائهم في تلك الساعة .
نادوني وأعادوا النداء ، ولكنني ابتعدت عنهم وأنا أسير على غير هدى حتى
وصات الى بقعة لا أرى فيها الا رمالا صفراء وسما زرقاء .

هناك جلست على الرمل وأسندت رأسي بيدي وبكيت . وما
زالت تسح جفوني بدموعها الماطلة وأنا أن أنين الشكلى الى أن
انصف الليل .

(رأس البر ١١ أغسطس سنة ١٩١٦)

متى أنساها

هي معنى في كل مكان . في كل جزء من أجزاء فكري الملتهب ،
في كل ذرة من ذرات قلمي الممزق ، في كل نهر من أنهار دمي المرسل .
مازلت أراها تمدو خلفي وقد ساقها القدر المحتوم ، مازلت أشعر
بذراعيها تطوق عنقي ، وبقاياها تحرق جلدي ، وبأنفاسها الحارة توقظ
في القاب شيطان الحب الرجيم .

هي معنى في كل مكان . أراها في الليل وقد ران الكرى على
جفوني فأقوم من الفراش مدعوراً ، وأراها في الفجر وقد تفتحت عيون
الكائنات لقدوم الضياء فأرجع لبيتي مهوراً ، وأراها في الصباح تبخر

بين أشعة الشمس الزاهرة فأحس بحرارة الوجد أتمشى في أنحائي ،
وبشظايا الهجر تاتهب في أحشائي

هي معي في كل مكان . أأشم أرجيها مع نسيم السحر ، وأسمع صوتها
مع أناشيد الطيور الصادحة على أفنان الشجر ، وأرى وجهها في صفحة
الجدول العذب الذي ينقع الظمان منه غلته ، وفي مرآة السماء الصافية
التي ينبعث منها للشاعر وحي الشعر تكمل رأسه زهور الابدية

هي معي في كل مكان . متى أنزع عن وجهي قناع حجبها الكثيف ؟
متى لا ترى عيناي شبح غدرها الخفيف ؟ متى تسكن في زوايا قلبي عاصفة
الحب والهيام ؟ متى لا أسمع من نفسي أنين الوجد والسقام ؟ متى ألمح في
سما حياتي برق الأمل الصادق ؟ متى أزبل من طريقى الموانع
والعوائق ؟ متى تدبّق من حدائق نفسي زهور الحقائق ؟

هي معي في كل مكان . إن طرأت في الجو رأيتها بين طيات ضبابه
الاسود ، وإن غصت في جوف الماء لاقيتها في قاعه العميق ، وإن
تبخرت في الهواء إستنشقتني لأسمع دقات قلبها الخؤون . وإن سكنت
القبور أتت لتضع أشواك اليأس على قمم القبور . هي معي في النسيم
والشقاء في اليقظة والنوم ، في الوحدة والسكون ، في الحياة والموت .
هي معي في كل مكان .

(نشوه ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٦)

الماضي^(١)

« ما الماضي الا قاب ثان يخفق بين الجوانح »
« هنرى باتاى »

الانسان سائح أعمى يمشى على غير هدى تقوده الأنانية في الحياة .
فان استأنس من نفسه القوة والبأس داس في مشيته بجذائه الضخم الآفا
من الضعفاء . وإن خارت عزيمته دون إدراك غايته وأستشعر بالتعسف
يتمشى في أنحائه انخذ لنفسه الحيلة وتنحى عن حذاء القوى ليكيد له
خفية ويمكر به علانية حتى إذا سنحت له الفرصة دفع به من قمة العز
والغنى الى هاوية النذل والفقر وأصبح بعده قويا ذا مرة يدوس بجذائه
الجديد من شاطره البؤس والشقاء أيام تعاسته

والحب جزء من الطهارة منتشر في الهواء يسكن بيئة من الوجود
خصيصة به فاذا مر بها الانسان ولا مندوحة له عن ذلك واستنشق فيها
عبير الحب وافتحت عيناه بأصابع الحب النارية ورأى نور الفضيلة ساطعاً
يمهر بعصره خلع عنه رداء الرذيلة وعاش دهرًا شريف النفس طاهر

(١) هذه المقالة فاتحة مقالات عنوائها حديث غرام كان المؤلف يرغب

أن يتمها فلم يفعل . ولم تظهر غير هذه القطعة وعنوائها الماضي

القلب ثم لا يلبث أن يقطع تلك البيئة الطاهرة ويدخل في ظلمات الحياة
ينهش فيها الطمع قلبه النقي ويمزق الفساد لحمه الناعم ناسياً ذلك النور
الساطع الذي أضاء قلبه الأسود حيناً من الدهر .

تلك حال سواد الناس لا يعبأون بماضيهم حلواً كان أو مرأً ينسون
ما لا قوه فيه من ألم أصلي ضلوعهم وأرخص جوانحهم . تمر أمامهم
الحوادث وكلها عبر فكأنها ما مرت وكأن الحياة أمامهم دار لهو وطرب
لا يذوقون فيها إلا الملهيات أما الآلام فحرام أن تدخل قلوبهم والآلام
هي من نعم الله على الناس لأنها الباعث الأكبر على المحبة والشفقة ومن
عاش دون أن يتألم فوجوده عدم . وما أحلى هذه السويغات التي يقضيها
الإنسان في مكان منعزل لا يؤانسه فيه إلا سككون الطبيعة يقطعه من
آونة لأخرى خربير المياه وزقزقة المصافير . هناك يتذكر الإنسان
ماضيته فتمر أمامه صور مختلفة منقوشة بريشة الذكرى على صحيفة روحه .

والماضي وإن عده الناس أحلاماً في أحلام فهو جزء من الحقيقة
فكما أنك لا تعيش بدون طعام تأكله وماء تشربه وهواء تتنفسه فأنت
أيضاً في حاجة لتلك الساعات الساكنة التي تستسلم فيها للذكرى اذ
الحياة كما قال شكسبير مصنوعة من أقمشة الأحلام

أكتب للناس هذه الحادثة الغرامية ولا أريد بذلك أن يقف
كبيرهم وصغيرهم على أسرار قلب حزين لم ينبض غير عشرين ربيعاً ثم
أسكتته يد التعاسة فسكت ، ولكنني أود أن أعثر على تعس مثلي يسكب

• معى على قبر هذا القاب الطاهر دموعه الحارة وتشاكى سويا نكبات
الدهر .

(٥ يناير سنة ١٩١٧)

الشاعر والليل

الشاعر — أيه أيها الليل الأقم ! أين مفتاح بابك الجهنمى ؟ أود
أن أنام فى فنائك الخفيف متوسداً عتبتك الزرقاء التى بنتها يد البؤس
من دموع الايتام . هناك أسكب دموعى فتطير فى الفضاء شظايا نضى ،
الأفق الحالك .

الليل — قف أيها الشاعر فما أنت إلا طفل ساذج . أنك ما زلت
تبسم لنور الفجر وتضحك لبزوغ الشمس ، وترقص مع الجيوش
المنتصرة . ونهزاً من ألحان البؤس التى تردددها الشفاه الظامئة ، وتأنف
من أن تغسل جسمك الممتهب فى نهر الدموع .

الشاعر — أيه أيها الليل ! أين عباءتك السوداء تلتحف بها أفكارى
المشتعلة وتسير تحت لوائها الى قرار الهاوية . هناك أصرخ صرختى الهائلة
أمام الأشلاء المبعثرة فتجفل النجوم فى القبة الزرقاء . وترتعد الشمس فى
عرشها العاوى .

الليل — أيها الشاعر . حاشا لمن هو مثلى عميق القاب بعيد الغور

أن يفسح لك في أنحائه طريقاً لا تنبت فيه غير الأشواك القاطعة لتدوسه
بأقدامك الناعمة . أنى أخشى أن تعود من حيث أتيت وحرام على
الحقيقة التي سكنت سويداء قلبي أن تراك خائباً حائراً تستجدي النور
أشعته الزاهرة .

الشاعر — ايه أيها الليل ! أين جوادك الأدم أمتطيه ناهباً به سماء
انلا نهاية حيث أسمع أناشيد الآلهة ترددها ملائكة الرحمة فوق تلك
الأنفان التي يرقص خيالها في ضوء القمر .

الليل — ايه أيها الشاعر الحائر ! ان قناعي الأسود لم تنسج خيوطه
غير يد الآلام ، وان نفسي الحائرة لا تهدأ بعد أن هاجها التطام الدماء
بالدماء . وان عيني الساهرة لا تنام لأنها لا تقع إلا على ظل القبور
الشاهقة حيث دفن البشر جثث الحب والامانة والوفاء .

الشاعر — ايه أيها الليل العميق ! دعني أرتشف أفوايقك التي
انصرفت عنها نفوس الناس . دعني أنشد في جوفك الصامت انشودتي
تتناقلها الرياح من واد الى واد وتستحيل من أجلها رمال الصجرء ضباباً
كثيفاً يكلل جبين السماء .

الليل — أنا ذلك الغار الذي لم يصل بعد لنهايته انسان . إذا مشيت
فيه قادتك اشباح الموتى واحاطت بك الاحلام المزعجة . على بابك كتب
اليأس كلمة التي يرن صداها في الفضاء وفي قاعه انبثقت شجرته التي
ينفث نسيمها المتهب سمومه القاتلة .

الشاعر — وأنا ابنك أيها الليل . ان أنفاسي المستعرة سكري بأريج

أنفاسك الهائلة . فأين كأسك أخرج منها جرعتي الأولى والأخيرة .
خذني الى أحضانك الشاسعة وضمني الى قلبك الصامت . أنتزع من
جسمي البالي تلك النفس الخالدة وأمزج عصيرها الطاهر بخمرك المسكر .
الليل — أنا تلك الصحراء ذات الرمال اللينة . التي وسعت
الأفكار الهائجة . والتي غاصت فيها الشياطين المتمردة . والتي خيم عليها
ضباب كثيف متلاطم حطم سراج الشمس الوهاج فانطفأت أمامه
جذوتها المشتعلة .

الشاعر — وأنا بعضك أيها الليل أضحك من سلطان الطمع
وأدوس بأقدامى شيطان الأثرة والأنانية . اليك قيثارتى التي أخذت
عودها من أشجارك واليك روحى التي نجاها من أنوار الحياة سوادك
المنتشر .

الليل — أنا تلك السماء الخالية من السكواكب التي نبع فيها سيل
الخيال مغرقاً عقول الذين اصطفتهم الأبدية ليحملوا على اكتافهم العريضة
عرشها الثابت .

الشاعر — وأنا ذلك المولود الصغير الذى ألقى به أمه عند ذلك
النبع المبارك خمله التيار الشديد وما زال يقذف به الى حيث تقف المطامع
الإنسانية وينبثق فجر الحقيقة .

الليل — تعال أيها الشاعر وضع فمك الصغير على شفاهى الملتهية
لأنفث فيه أنفاسى النارية فلتقطها أحشاؤك الظامئة . خذ صولجانى

وأمسك به في يدك تخضع لك سفينة الرياح فتركبها لتعدو خلفك الاغاثة
وتهرب أمامك القسوة .

الشاعر — أنت أيها الليل إله الرحمة وأنا لسانك الناطق . انت
أنشودة الحب وأنا منشدها . انت سيف الحق وأنا شاهره الذي لا ينام .
تعال معي نجول جولتنا لتنهزم أمامنا جيوش الدماء التي أثار حربها
نور الحياة .

(٢٦ يناير سنة ١٩١٧)

حب البقاء

انظر الامواج الهائجة تعلو وتهبط ، وانظر للسماء وقد ابست رداؤها
الأسود ، وأسمع زحجرة البحر ترن في الفضاء كما يسمع المسافر في الصحراء
زئير الليث وعواء الذئاب .

ونفسي الشائرة تنظر للسكون من وراء ضباب الألم . وعيناي
الغائرتان يامع فيهما نور مخيف كما يامع برق اليأس في ليل الهموم ، وتعلو
شفتاي ابتسامة السخرية .

لا أبتسم لا ابتسام الربيع ولا أبكي لدموع الشتاء ولا تهزني نشوة

الأمم ولا تخيفني خاطرات اليأس وما قلبي الا قبر مظلم رقدت فيه
عراس الأماني تمر برؤوسها الخاوية أحلام الماضي .

تسير الناس امامي كأنها الأعيب تنحرك ، وارجمته للناسم ، ثم
ضحيا تنزاحم أمام مقصلة الطامع : فهم والانعاس سواء ، وأنا ما زلت
واقفا أمام البحر كالتمثال غير أنني أهتز من آونة الى أخرى كلما لاح فوق
الامواج الغاضبة فجر الشباب .

اليوم يوم عصب قامت فيه الرياح وقعدت ، وهددت وصرخت .
فلزمت الأطباء الخدور تنظر من وراء السجف لثورة العناصر وتسمع من
خاف الجدران دوى الرياح وقصف الرعود . ولكنني أرى أمامي خيال
من أهوى شاحب اللون مسدل الشعور ماداً يديه الناحيتين يدعوني الى
قرار البحر وهو يتهم وبرقص مع الامواج .

علام أنا محجم عن لقائه ولا يبعدني عنه غير شاطئ البحر ؟ علام
لا يدفعني اليه الشوق القديم والنار المتأججة بعد أن أسمعني الامواج
أحزان الموتى فطربت لها كما يطرب الغريب في منفاه لآحان وطنه ترتلها
العصافير على الاغصان عند الغروب .

حب البقاء ! آه . ما زلت ممسكا بتلايبيه وان سكن اليأس قلبي
وتملك على نفسي . حب البقاء ! آه . هوالة الوجود ، هو اللذة التي لأجها

تنبض القلوب . حب البقاء ! آه . لاجله تنألم ولاجله نشقى ولاجله
لا نترك الحياة إلا مرغمين
(٦ ابريل سنة ١٩١٧)

حديث زهرة

- ١ -

ما أجمل الربيع الذى وُلدتُ فيه ، وما أجمل الشمس التى أبزغ فى
الصباح فتعلا جسمى حرارة ، وما أجمل سلم القصر الكبير الذى
نشأت فى حديقته أرى الناس تصعد اليه وهم ينظرون الى نظرة إعجاب
وتارة يتسممون ابتسامة حلوة لذيدة أرقص لها طرباً وأميل تيهاً ودلالاً .
وإذا مشى رب الدار فى الحديقة يقف امامى ويمد يده الىَّ ثم تأخذه
الشفقة على جمالى الفاتن فيسير فى طريقه وهو يتسم . وما رب الدار الا
رجل من سراة القوم وأغنيائهم . منيع الحوزة عزيز الجانب قطع من الحياة
مرحلة كبيرة ولكنه ما زال غض الآهات صبيح الوجه .

أنا بيضاء اللون جميلة الشكل تبللنى قطرات الندى فى الفجر وتنعشنى
أشعة الشمس فى الصباح وتؤلمنى حرارتها فى منتصف النهار . وإذا مر بى
النسيم وقدمت الشمس للغروب أشعر بلذة غريبة ويدب النعاس فى
أجفانى فأذا أقبل الليل أنام نوماً هادئاً لطيفاً الى أن توقظنى قطرات

الندى وهى تتساقط على غلائقى البيضاء . أنا فى هذه الحديقة زهرة
الحسن والجمال

— ٢ —

استيقظت فى فجر اليوم فوجدت أمى شابا وضىء الطلعة رقيق
القشرة يترقق فى وجهه . ماء الجمال يئن ويبكى ويمشى فى الحديقة مشية
الخائر اليائس ثم يعود الى ويقف أمامى وهو ساهى الطرف قلق الخاطر .
مسكين أيها الشاب الجميل . ما الذى استوقد صدرك ومزق أحشاءك
وعلام أنت متلف القلب ناكس البصر ؟ . . . ومن أنت ؟ . . .
لا تحيب أيها الشاب لقد عرفتك . أنت ابن رب الدار . أنت غنى ابن
غنى وسرى ابن سرى ، تسكن القصر المشيف وتلبس الحرير وتنام على
الدمقس فعلام تبكى وتنتحب ؟ . . . ما الذى تفعله أيها الشاب . . .
قف لا تتقدم . . . لا تعد يدك الى . حرام أن تقطفنى وأنا فى ربيع العمر
صبرا أيها الشاب انتظر .

ولكنه لم يأبه لقولى ، لقد مديده الى وقطع ساقى الجميل وصعدنى
على السلم ثم دخل غرفته وهناك بلانى بدموعه الحارة فامتزجت دموعه
بقطرات الندى .

— ٣ —

ثم أشرقت الشمس فوضعتنى على صدره وغادرنا الدار معاً وأنا لا
أعلم الى أين يسوقنا القدر . ثم وصلنا لبناء كبير اجتزنا بابه ودخلنا فناء
وهناك سمعت صغيراً ورأيت دخانا فعممت أنسا فى محطة كبيرة ومشى

الشاب على افريز المحطة وهو يحمانى على صدره وكان ينظر تارة الى الارض وطوراً الى السماء ويخرج ساعته من جيبه وينظر فيها ثم نشط من عقله وطم يستقبل شخصاً لم تر عينى أجل منه .

وحدقت نظرى فى الشخص القادم فوجدته فتاة رقيقة ناعمة هيفاء القوام سمراء الوجه تلوح عليها ديباجة الحسن وينبعث من عينيها بريق العفاف والطهر .

ثم تعانقا فشمعت باهيب تلك النار التى كانت تتأجج فى صدريهما وافترقا خشية أن تحرقنى تلك النار . وركبت الفتاة فى عربة من عربات القطار فنزعنى الشاب من صدره وأعطانى للفتاة وهو يقول (اليك هديتى ، اليك زهرة الحب ، اليك نبع الذكرى والوفاء) فأمسكت بي ووضعتنى فى صدرها .

ثم دق الحارس الناقوس وسمعنا صفير القاطرة تتأهب للرحيل فسالت دموع الفتى والفتاة وتعانقا مرة أخرى ثم سار القطار بين المروج الخضراء .

كنت فى حديقة القصر زهرة الحسن والجمال فأصبحت على صدر الفتاة زهرة الحب ونبع الذكرى والوفاء .

جاست الفتاة فى غرفة من غرف العربة وهى تلهمنى وتضمنى وتبلىنى بدموعها ولم يكن فى الغرفة سوانا فحدثتني الفتاة قائلة . (يا زهرة الحب ويا نبع الذكرى والوفاء . لقد حكم الدهر بينى وبين

من أحب لفراق أخاه أدياً ، هو غنى وأنا فقيرة هو سعيد وأنا أمة
وحرام أن أهضم سعاده وأحطم آمالي . ولكنني صادقة الوعد كريمة
المهد وسوف أني له بمهدي . تلك يمين بررت بها . وأمنيتها على
الصدق .

ثم وقف القطار في محطات كثيرة الى أن وصل الى محطة صغيرة
نزلت فيها الفتاة وهي نحمانى على صدرها

وسارت في طريقها الى أن وصلت الى دار حقيرة صعدت سلمها
فقابلتها امرأة عجوز وتعامتا عناقا طويلا ثم قالت الفتاة (لقد أتيت
يا خالتي اليك وفي دارك القى عصا ترحالى . لم أنجح في المدينة فأثرت
أن أعمل هنا في البلدة الصغيرة) ومكثتا يتحدثان الى أن أقبل الليل وآوى
كل الى مضجعه . مسكينة تلك الفتاة لعلها بقيمة لا أب لها ولا أم

مر يومان على هذا الحادث فدخلت الفتاة في غرقها وهي صاحكة
السن وفي يدها مكتوب

ثم انتزعتنى من لفائف القطن التي وضعتني فيها خوفا على أن أذبل
وأمرت وقرأت أمامي الخطاب ثم قالت (يا زهرة الحب ويا نبع الذكرى
والوفاء ، هالك كتاب من أحب . انه يقيم على وعده وحاشا لمثله أن
يفدرني) ثم تنهدت وسحت أجفانها بالدموع وقالت (أمل لا يطول .
هو غنى وأنا فقيرة ، هو سعيد وأنا أمة وحرام أن أهضم سعاده وأحطم

آمال آية) ثم جلست القرفصاء وقالت (أين أنت يا أمي أين أنت يا أبي)
وأعادتنى الى لفائف القطن وخرجت من الغرفة
مسكينة تلك الفتاة أنها حقاً يتيمة لا أب لها ولا أم

- ٦ -

لبثنا ثلاثة أشهر والخطابات لا تنقطع ، تارة تسمعن الفتاة خطابات
حبيبها وطوراً تتلو على خطاباتهما قبل ان تضعهما فى صندوق البريد ، ثم
دخلت غرفتها فى صبيحة يوم من الايام وقالت لى بعد أن انتزعتنى من
لفائف القطن (يا زهرة الحب ونبع الذكرى والوفاء ، بدأ الحبيب أن
يعمل الكتابة . لقد تأخر خطابه وقديماً يتولى النسيان نكث العهد)
ثم بككت وارسلت زفراتها وسمعتُ شبيهةً يتردد فى صدرها الخافق .
مسكينة تلك الفتاة لقد بدأت أن تستيقظ من حلمها اللذيذ .

- ٧ -

ومضت ثلاثة أشهر أخرى فدخلت الفتاة فى غرفتها وقالت لى
(يا زهرة ال . . . ونبع الذكرى والوفاء . معذرة ايها الزهرة الذاباة اذا
إذا لم أدعك بزهرة الحب فقد جف عوده وتهدمت اركانها . لقد نسى
الحبيب غرامه ونكث عهده وما قلب الرجل إلا كالأثائر يتنقل من
غصن الى غصن) .

ولم تبك الفتاة ولكنى رأيت وجهها أصفر اللون وصدرها يعملو
ويهبط وقرأت فى عينيها سطوراً خطته يد الألم الصامت والهم الدفين .
مسكينة تلك الفتاة لقد انقضى حلمها اللذيذ .

- ٨ -

أنا لا أسكن الآن لفائف القطن ولكني أسكن صدر الفتاة .
إنها لا تفارق سريرها الآن . لقد دب في جسدها النحول وغارت عيناها
الجميلتان وخفت صوتها الساحر وأصبحت كالجنسة الهامدة لا تحرك
إلا إذا مدت يديها إلى التشنق من غلائي الذابلة بقية أريج ذلك
الحب القديم .

- ٩ -

اليوم ناحت النائمات ودوى في المنزل الصغير صراخ تلك الخالة
المسكينة . اليوم حملوا جثة الفتاة وساروا بنعشها بين الحقول إلى أن
وصلوا إلى المقبرة وهناك وضعوا القفاة في حفرة مظلمة ووضعوني على
صدرها ثم أهالوا التراب علينا .

ونثروا على القبر زهوراً قليلة ولكنهم بالود بدموع كثيرة
(١٦ يناير سنة ١٩١٩)

الهرم الأكبر

يطل على القاهرة من شاطئ كأنه رسول مجدها القديم .
على صخور العابسة ، وعلى رماله الصفراء كتب الدهر بمخالبه
السوداء تاريخ مصر .

وهشم الجبهة منهض العينين يلتحف السكون والجلال .
هو تمثال الحقيقة حلوة كانت أو مرة .
منه عرفنا مجد مصر القديم ومن بابه نسمع أناتها المتتابعة .
عارى الجسد أسمر اللون يحمل فى صدره آلام الأيام .
لم يفتق صدره بالمصائب ولم تذرف محاجر دموع الأواء .
ثابت الجأش لم يتحول عن مكانه القديم ولم تسلب بعد دماؤه الحراء .

فى سفحه تشعر النفس بالهيبة والحزن .
هناك تذهب الأم الثاكل لتندب أولادها .
وهناك يذهب العاشق ليبكى عشيقته .
وهناك يجلس الشاعر على صخر أصم يذكر مجد بلاده الضائع .

عليه مسحة من الجمال لا يعرفها إلا كل فنى .
منه تسمد أنفوس المجاهدين قوة هائلة .
ومنه ينبثق على مصر فى جنح الليل شعاع الأمل .
هو كتاب الوطنية .
على صفحته الأولى كتبت الحقيقة من ذهب : مصر المصريين
(١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩)

الكتاب الثالث

الأدب والاجتماع

مجموعة مقالات أدبية واجتماعية

الحمد لله

عبدالله بن محمد

الخوف من الحياة

مصر بلد شرق دخله الاورباويون ودخله معهم تدبيرهم الغربي .
واقدر أحسن أهله بذلك التيار الجارف فأرادوا مقاومته جهدهم فضعفت
هممهم وكلت عزيمتهم ولم ينفعهم ما ورثوه عن آبائهم من التجارب ،
فقسموا أن ما بين أيديهم من العلوم وبالأخص العلوم العملية لا ينفعهم
للمجارة هؤلاء القوم ولهذا أرادوا أن يقفوا على كنوز الافرنج فبادروا
بارسال أولادهم الى أوروبا ليقتطفوا ثمار العلم ويعودوا بها الى بلادهم

ولقد انتشر المصريون في انكلترا واسكتلندة وفرنسا انتشاراً هائلاً
حتى انه أصبحت لا تخلو كلية واحدة منهم . ولهذا أماننا بلادنا خيراً
عاجلاً وسأنا الله تحقيق هذه الآمال

واكن نجم ذلك الامل الكبير بدأ بالافول لان الباحثين
عن الحقيقة وجدوا أن الحركة الجديدة المباركة لم تنش الا في ثلاث طرق
كثير عدد من مملكتها من المصريين

أصبحنا لا نذهب لأوروبا نتعلم ما فقدته بلادنا من العلوم النفيسة
بل نحن نحمل متاعب السفر وشدائد الغربة لنكون أطباء أو مهندسين
أو قضائيين فقط ورغبتنا الكبرى في ذلك أن نجد لنا مركزاً في
الحكومة يضمن لنا مستقبلاً لا نخفه . متاعب الحياة

هذا هو المرض الجديد الذي حل بنفوسنا وأصبح عقبة كؤوداً
في سبيل تقدمنا ونجاحنا

ماتت في نفوسنا عزيمة المخاطرة في الحياة . ولهذا أردنا أن تعلم
عالمنا بعيداً عن كل المجهودات الشخصية ولقد استاصل في نفوسنا حب
التوظيف في الحكومة لأننا أصبحنا نخاف جهاد الحياة

قصرنا هممتنا على تعلم القضاء والطب والهندسة لاستفادنا بأن
الحكومة تفتح أبوابها إذا أتيناها حاملين شهادات هذه العلوم ونسينا أن
بلادنا التي تنألم من تعاستها والتي ترزح تحت أحمال الشقاء تستغيث
صارخة ولكننا نضع أصابعنا في آذاننا كي لا نسمع أيها وذلك لأننا أصبحنا
نخاف الحياة .

الرجل خالق في هذه الحياة ليعمل فإن نجح استحق الثناء والفخر
وان خسر كان جزاؤه اللوم وهو في الحالتين سعيد لأن التعس هو من
قضى حياته دون أن يمدحه أو يلمه أحد . ولقد قال عن هذه الفئة دانتى
الشاعر التلياني الشهير « هؤلاء قوم قد طردتهم الجنة لأنهم يفسدون
جمالها ولم يقبلهم الجحيم لأن مجرميها يفتخرون بهم » ولقد كتب عنهم
هنرى برود السكاتب الروائى الفرنسى الشهير « الحياة دار عراك وموارد
الرزق فيها كثيرة ولكننا لم نعرف بعد كل هذه الموارد أو نحن نتغافل
عنها لأننا نخشى أن نسلك الطرق التي توصانا اليها لأنها محفوفة بالخطر
والمخاوف ولهذا تركناها لقوم غيرنا سلكها منهم الا كثرون فوصلوا
الى أمانيهم وفازوا بمطلوبهم »

في أوروبا مدارس لم يدخلها مصري بعد أو دخلها القليلون . لا نجد
أحداً منا يدرس الكيمياء العملية أو الكهرباء أو علوم الهندسة والزراعة
أو العلوم الفلسفية وكلنا لا نريد أن نتعلم هذه العلوم النفيسة لأننا نخشى
أن لا نعيش بها في مصر وذلك لأنه ليست لنا ثقة بنفسنا ولأننا
لا نقدم على عمل لا تدفعنا إليه الحكومة .

حرام على نفس المصري أن تكون محرومة من الاقتدام بلا
مساعدة من كبير . حرام على المصري أن يخاف الحياة ولا خوف من
الحياة . أصبحنا نلتصق بالتوظيف حتى أن من درس منا التجارة بحث له
عن خدمة في بنك مع أن أخاه السوري يسافر إلى أمريكا ويشغل ولا
يخاف الحياة . ومن درس منا الزراعة يسأل كل يوم عن اليوم الذي ستنشأ
فيه نظارة الزراعة بدل أن يقضى وقته في أرض له أو في أخرى
يستأجرها ليعمل فيها تجاريه التي تنمو له يوماً ما ثمرة تعود عليه وعلى
وطنه بالنفع العميم .

تجد الأب منا يود أن لا يفارقه ابنه وتجد الابن لا يبحث عن كسب
رزقه خارج بلده . يظن المصري أن حب وطنه هو المكوث فيه ويعد
الآباء أبناءهم الذين يتركونهم للعمل في بلد غير بلادهم خائنين الوطنيين والذين
كارهين عوائد بلادهم عاشقين قوماً لا ينتسبون إليهم .

ثمانون في المائة منا في أوروبا يدرسون الحقوق والاقتصاد والسياسة
وبلادنا أشد احتياجاً للعلوم العملية منها لهذه العلوم . أنا لا أريد أن تترك
العلوم الأدبية ولكني أريد أن نعتنى بالعلوم العملية أيضاً حتى تتقدم حالة

بلادنا الزراعية والتجارية والمالية وهذا ما قلته رئيس جمهورية الصين يواى شى كاي عن أهل بلده فى حديث له مع أحد مراسلى جريدة الطان وكأنه تكلم عن لسان المصريين لأن هذا الداء الذى تفشى بيننا قد تفشى من قبل بينهم . قال : « أنا لا أفكر فى ترك الآداب كلية ولكن أجد الآن أن ثمانين فى المائة من شباننا يدرسون القوانين والعلوم السياسية وبها يضيعون أوقاتهم فيما لا فائدة منه . فالواجب عل الجمهورية أن ترمى بأنظارها الى الاشياء العملية كالعلوم الصناعية مثلا وذلك لزيادة ثروة البلاد خصوصا فى أراض كأراضى الصين تكثر فيها الكنوز »

أجل إن البلد الذى تبطل فيه الحركة الأدبية يكون كالجسم الذى يعيش بلا قلب يحس ويشعر . ولهذا وجب على كل أمة أن تكون لها هذه الحركة ولكنه لا يجب أن يتسبب عنها التقاليد والخوف من الخوض فى مضمار الحياة ثم الشكوى بعد ذلك من أن الاجنبى اغتصب البلاد وأدارها ونهب ثروتها وخيراتها واستخرج كنوزها لم نجد كل الشركات فى مصر أجنبية ؟ لانا نخاف أن ننشئ لأنفسنا شركات . ولماذا نجد أموالنا فى أيدي الافرنج ؟ لأنه ليست لنا مصارف وطنية

نحن ندافع عن أنفسنا كما يدافع العاجز عن نفسه فيكثر كلامنا ويقل عملنا . والأجنبى لا يتكلم ولكنه يعمل وعمله خير سلاح يدفع به غاراتنا

ربما ظن البعض انى أدافع عن الافرنج أو انى عاشق لهم متفان فى

نحبهم والله يعلم أنى أدافع عن الحقيقة وأبسطها أمام أعيننا كي نشعر
يوماً بما نحن فيه من التأخر والتقهقر لمحب من نومنا العميق مرة واحدة
ونعمل لمجاراة الاجنبى ثم للفوز عليه . فمتى تتحقق هذه الآمال ومتى
يرى المصرى وزراء ظهره السكلى ومتى يتقدم على الحياة غير هباب
لاخطارها ومتى يقال عنه أنه لا يخاف الحياة ؟؟

(ليون ٧ نوفمبر سنة ١٩١٣)

الافكار القديمة والحديثة

فلان يعشق الكتب القديمة ولا يتصفح سواها يتغنى فى المجالس
بما تحويه بطونها ويستشهد فى كتاباته بجليل حكمها فهو فى نظر الناس
عالم فاضل مطبوع على البيان متفنن فى ضروب الخطاب . إن تكلم كان
بسيط اللسان رحيب المجال وإن كتب كان مليح الفصول رائق الفقر .
إن أتبعه برأى يخالف رأيه أو غرت صدره واقتدحت غضبه قرعك
بالجهل والتمدى على العلماء السالفين الذين لا تالحق آثارهم ولا يشق غبارهم .
وإن جئت به برأى جديد لم يسمع به أحد من قبل قال عنه أنه غامض مبهم
تخامرة فيه الشكوك وتجاذبه الظنون . هذا هو شأن كثير من علماءنا
الاجلاء الذين نشأوا فى جو القديم فعز عليهم أن يطرق آذانهم الجديد .
يظنون أن آباءنا وأجدادنا عاشوا فى عصر كان العلم فيه زاهراً خرام

علينا نحن أبناء عم أن نقض رأيا اتفقوا عليه وأن نجادلهم في قضية أثبتوا
صحتها في كتبهم فليلق كل منا سلاحه أمام أدلتهم وبراهينهم مهما كان
وثيق الحجة شديد اللداد .

وفلان يحترم آراء السالفين ويحل أعمالهم وسعيهم في تحقيق كل ما
وقع تحت عيونهم . ولكنه يود أن يكون له بعض ما كان لهم من
الحرية في البحث والتنقيب حتى يحىء الرأي الصائب ويموت الرأي
الواهن . مهما تسارعت أهواء الناس على صحته . كل له الحرية في البحث
وليس من العار أن يأتي الانسان بفكرة شجدة لها غرار رأيه واثبت
له غيره أنها غير صحيحة وانما العار كل العار أن يستقصي الانسان في
البحث عن رأى جديد ثم يرضن به على قومه أو يضرب عنه صفحا لأنه
جديد لم يتفق على صحته أحد من السالفين .

لم يزل العلم في جو الطفولة بالرغم مما أتى به علماء الماضي والحاضر
والحقيقة التي اتفقنا عليها ما زالت تحيط بها الشكوك والظنون فأنت
تمسكنا بالتقديم كننا كمن يريد أن يوقف تيار العلم أو كمن يتنجى عن العمل
لسواه فيدبقه الى التحقيق والبحث قوم آخرون ويرجع هو وقومه
القهم قري أمام أقدام الآخرين وانه لعار علينا في القرن العشرين أن لا
نفيق من رقدتنا الطويلة بعد أن رأينا ما صنعاه الغربيون في سبيل احياء
العلوم وتحقيق كل غامض فيها .

لا نزاع في أن الفكرة الجديدة جميلة وإن كانت غير صائبة . أنت
بلا شك تستقيح الجديد لأنك تفاجأ به على غرة قبل أن تأخذ له عدتك

وتسحب له ذيلك ولكذك في حل من أن تصدقه وتستوضحه وتجاب فيه خواطرك حتى تفرق في البحث فتقف على مكان الضعف والقوة فيه وتكون حينئذ حراً في قبوله أو رفضه .

وأى خطر يدام الأمة إن هي فوجئت بأراء جديدة ؟
لا مشاحة في أن كل رأى صائب يبقى رغم أنف كل مستهجن له وأن كل رأى فاسد يضمحل ويموت وينسى مهما كان معززاً ومهما اتعادي صاحبه في ضلاله وغلا في جهالته . لا تخف إن عاش الرأى الواهن حقبة من الدهر لأنه يعيش وهو مهدد الى أن يتغلب عليه الرأى الصائب وما الدنيا إلا ميدان عراك يتصارع فيها أصحاب الحقيقة ومحبذو الجهالة والله نصير الحق فلا يلبث كل ذى صواب أن يفوز ولا يلبث كل ذى خطأ أن يلقى عناءه ويقصر عن باطله فتظهر الحقيقة ناصعة للناظرين .

١٠ أغسطس سنة ١٩١٧

المجمع اللغوى

يقرأ الاجنبى ليتعلم ويتعلم المصرى ليقرأ وفي ذلك ما يدعو المصرى لأعمال الفكرة حتى يرتقى بلغته الى مصاف اللغات الاجنبية . ويجد الاجنبى اسكل مخترع جديد كلمة يستعملها في كلامه وكتاباته بعد أن يصفها لسانه ، ويقف المصرى حيال ذلك وقفة العاجز لا حول له ولا

قوة ، فيعمد لوضع كل كلمة جديدة بين قوسين إذا جاءت ضمن كتاباته .
تلك هي الصعوبات التي تعتور طريق كل كاتب مصري والتي من
أجلها ألف المجمع اللغوي جاء ما تحت لوائه المعجم والمطربش والتي تأمل
أن يزيلها في القريب العاجل .

فكر المفكرون قبل ذلك وتضاربت في ذلك الافكار والآراء
فمنهم من ذهب بفكره بعيداً واراد تغيير الجروف العربية الى حروف
افرنكية تسمح بكتابة الحرف المتحرك Voyelle حتى لا يجد القارئ
صعوبة في القراءة فيقرأ صحيحاً ثم يتكلم صحيحاً .

لا مشاحة في أن الفكرة صائبة ولا مشاحة أيضاً في أنها ضربة
قاضية على الشخصية المصرية التي يسعى اليها كل وطني صادق الوطنية
ولهذا قوبلت تلك الفكرة المضرة المفيدة بالاعراض وحق لنا أن
نعرض عنها ونضرب بها عرض الحائط .

ومن المفكرين من فكر في كتابة الحرف المتحرك المصري وأعنى
به الـ « أ ، و ، ي » فنكتب كلمة (كتب) مثلاً هكذا (كاتابا) وإذا
صادفنا كلمة كانت تكتب فيها هذه الاحرف الثلاثة من قبل وضعنا
المدة كما يضع الافرنج الـ (Accent) فنكتب مثلاً كلمة (كتاب)
هكذا (كيتاب) ونكتب كلمة (محفوظ) هكذا (ماحفوظ) وبهذا
يتسنى لنا أن نكتب كما نتكلم وأن نقرأ صحيحاً ثم نتكلم صحيحاً .

ومن المفكرين من فكر في وضع الشكل في كل ما نكتب ومنهم
من فكر في وضع الشكل على الأحرف التي يلبس على القارئ نطقها

فلو صادفتنا مثلا كلمة (خاوى) وقفنا ونحن لا نعرف أنطقها بضم
الخاء أو بكسرها فلا بأس إذن من وضع الكسرة تحت الخاء حتى
ننطقها صحيحا .

كل هذه الأفكار صائبة سيفكر فيها المجمع الجديد وينتخب منها
الأسهل والأصح بل وسيفكر أيضا في آراء جديدة ربما كانت أسهل
مثلا وأقرب للصواب والصحة .

أما مسألة الالفاظ الجديدة العامية التي تخلو منها اللغة العربية
فأما من باب الاشتقاق وباب التعريب وعندنا من الكلمات القديمة
المهجورة ما يصح أن نطابقه على كل لفظ جديد لا نجد له مرادفا عربيا
على أنى لا أريد أن نأبى استعمال اللفظ الافرنجى اذا صقله اللسان وفى
القرآن دليل ساطع على صحة قولى اذ فيه من الالفاظ الفارسية ما يسوغ
استعمال اللفظ الافرنجى وليس يعار على اللغة العربية وان كانت أغنى
اللغات وأوسعها أن تدخل فيها الالفاظ الجديدة الافرنجية ، وما من لغة
حية قائمة بنفسها دون احتياجها لمعونة اللغات الأخرى . وعالم تقف أمام
اللفظ الافرنجى فعاديه ونأبى استعماله بعد أن صقله اللسان . اللغة هى ما
يتكلم به اللسان فلو اذا استعمل اللفظ المهجور ونأبى استعمال اللفظ السهل
ان كان إفرنجيا .

أنا لا أقول بهجر الالفاظ القديمة وباحبذا لو بحثنا عنها وعرضناها
على الكتاب والجمهور فان صادفت استحسانا استعمات وان عجزها
الدوق أهمات .

فواجب المجمع العلمى حىال ذلك أن ينتقى اللفظ الذى يرضاه
الجمهور وإلا أعرض الناس عن الفاظه وكان عمله بلا فائدة ولا نفع وكم
من كلمة افرنسية كانت من لغة (الآرجو) أدخلها المجمع العلمى
الافرنسى فى القاموس وأصبحت افرنسية يستعملها الكتّاب والشاعر .
ويا حبذا لو أرسل الله لمصر كاتباً محبوباً تقرأ رواياته الناس أجمعون
يستعمل الالفاظ التى صقلها اللسان والالفاظ السهلة القديمة حتى يعود
عليها القارئ وبالفها بعد نفوره .

هذا ما يتحدث به الناس فى المتديات وفى بيوتهم ويا حبذا لو ضم
المجمع بين أعضائه المشرع والطبيب والمهندس والزراعى والتجارى حتى
يتعاون الاعضاء على وضع الالفاظ الجديدة العلمية ويكون وضعها صحيحاً
لا تشوبه شائبة .

هذا ما أردت كتابته على صفحات السفور وإنى آمل أن نجد فى
المجمع المصرى أمنية كل محب لبلاده غيور على لغته وليس هذا ببعيد
على أعضاء النادى الكرام .

١٨ يونيو سنة ١٩١٧

شخصيتنا

يقولون عن المصرى أنه عاجز عن القيام بعمل هام تحفه المخاطر ،
وإن أقدم عليه لا يلبث أن يرجع القهقرى بعد أن يسير فى طريقه قليلا

تاركا مشروعه في يد الأهمال ثم الموت . هذا ما يقال عن المصري في كل بلد وهذا ما أثبتته التجارب ، وإنها حقيقة مرة تؤلم النفوس الحية ولكننا لا نسمن إلا الإقرار بها لأن الإقرار بالضعف قوة ربما انتجت نتيجة حسنة تعود بالخير والمنفعة . تقول الناس عن المصري ذلك ومنهم من يجد السبب في الجهل الضارب أطا به على سواد المصريين ومنهم من يجده في تأثير الطقس على نفوس المصريين ومنهم من يجده في غير ذلك . وقل من يجده في جهل المصري لشخصيته وجهل الشخصية هو الباعث الأقوى على عدم الاعتماد على النفس وعلى الاتكال على الغير والاتكال على الغير يسوق المرء الى هوة الموت الأدبي التي ترقد فيها النفوس رقدة طويلة لا تستيقظ بعدها لأى عمل نافع

ليس الجهل هو السبب في فشل المصري فكم من أمة جاهلة ارتقت تدريجيا الى مصاف غيرها من الأمم المتعلمة وليس الطقس هو السبب في خمول المصري وكسله وكيف يكون الطقس سبب ذلك والأجنبي يعيش معنا تحت السماء التي تظللنا ولكنه يعمل ونحن ننام

نحن قوم انا تاريخي يجمعنا نعيش به في بقعة من الأرض حدودها معاومة للأجنبي وللوطني . ولنا لغة واحدة تتفاهم بها ، بل ولا جسامنا لون واحد يكاد يكون عاماً ، فنحن إذا أمة حية تعرف ما عليها وما لها ويحق لكل فرد من أفرادها أن تعرف أنه مصري يعيش لمصر ويحيى من أجلها ، حتى إذا عرف ذلك كل المعرفة أمكنه أن يعتمد على نفسه في أى عمل يقوم به . هذا مع الأسف ما يجهله عامة المصريين ألس الشبيبة

منهم فقد ابتدأت في فهم ذلك بل في خلع ذلك الرداء الرث وارتداء تلك الحلة الجديدة الجميلة التي يحق لهم أن يتزينوا بها في كل عمل يعمون بادائه لأنفسهم أو لوطنهم وأداء العمل الشخصي بما يقضى به الواجب هو في الحقيقة أداء جزء من العمل الذي يتطلبه الوطن .

ربما كان في فهم الشبيبة المصرية للشخصية المصرية بعض من التقاليد والتصنع ولكنه إن لم يتحول عاجلا الى طبيعة محمودة وغريزة في النفس فسوف يتحول آجلا في نفوس أبناء هذه الشبيبة ويصبح غريزة تصحب النفوس من ساعة أن ترى العيون نور السماء .

هذا ما أريد كتابته للشبيبة بل هذا ما ألفت أنظار الكتاب له حتى تبلغ بهم مصر غايتها المنشودة
(١٠ أغسطس سنة ١٩١٨)

أمرأؤنا^(١)

كان المنشور الأمراء في الأسبوع الماضي وقع جميل في صدور الناس جميعاً كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، رفيعهم ووضيعهم . وجدنا أمتنا المصرية قد انتعشت منها القلوب ساعة تلاوة المنشور وجدنا الجرائد

(١) كتب هذا المقال بمناسبة انضمام أمراء البيت السلطاني لصف

ينشر البرقيات . من جميع أنحاء القطر ثم قرأنا برقية عميد الوطنية سعد باشا
زغلول يهنئ فيها الأمة بهذا الفوز الجديد الذي أثبت للعالم أجمع أننا كتلة
واحدة لا تؤثر فيها المؤثرات ولا تتغلب عليها الصعوبات والعقبات .

نحن لا نندعش لفرح الأمة واعتباطها بذلك المنشور الكريم ولا
تندعش لما قامت به سلالة البطل الكبير محمد علي منقذ مصر من الدمار
والخراب .

أجل نحن لا نندعش لكل ذلك ولكننا نندعش لأمر آخر وهو
أننا نرى الأمراء في كل بقعة من بقاع الأرض بمعزل عن بني جلدتهم ،
يعيشون عيشة لا تتفق مع روح الديمقراطية التي أصبحت دين للناس
في العالم المتقدم ، ويصاحبون جماعة من جو لا يلائم الجو الذي تعيش
فيه بقية الناس ، ويضنون على وطنهم بالخدمات التي ربنا يعجز غيرهم
عن أدائها . فهم في واد والناس في واد .

هذا هو المعروف عن الأمراء أما أمرنا فقد جاء منشورهم طبق
مرام الأمة بل رأينا فيه روح الديمقراطية تجلي للعيون كالشمس في
رابعة النهار .

اليوم نفتخر بأننا ديمقراطيون جميعاً نتحد سوياً ونتكاتف في سبيل
تحرير مصر تلك البلد التي لم يرتكب أهلها جريمة غير حبهم لها وتفانيهم
في خدمتها .

أما أمرنا فقد أثبتوا للعالم أنهم مصريون قبل كل شيء وكيف لا

يكونون كذلك وقد تنفسوا هواء مصر وأكلوا طعام مصر وشربوا مياه مصر . فوقفوا حياتهم على خدمة مصر بعد أن ضاعوا صدورهم لصدور الشعب والشعب يفدى صدورهم بأرواحه .

هذه هي سلالة محمد على الذى جاء الى مصر ليتخذها موطنًا يعمل ويكد لا تقاذه من الدمار ، هذه هي سلالة محمد على الذى نبغ منها ابراهيم القائد الحربى الذى هزم الأتراك فى ربوع الشام وخلص لمصر مجدًا لا يساويه مجد والتى نبغ منها اسماعيل الذى أدخل التمدن الحديث الى مصر ولذا قال (اليوم أعد بلدى جزءًا من أوروبا) .

ونحن لا نسمعنا فى هذا المقام إلا أن نهنى أمتنا المصرية بفوزها الجديد ونهنى أمراءنا الكرام بما نالوه من الثقة فى نفوس الأمة ولتحى مصر وليحى الأمراء وليحى الاستقلال التام

(١٥ يناير سنة ١٩٢٠)

العام الجديد

نستقبل العام الجديد بقلوب قوية وأوجه باسمته مستبشرة يعملوها الفرح والسرور . وكيف لا يكون أمرنا كذلك وقد اتفقت كلمتنا واتحدت قلوبنا وظهرت شخصيتنا المصرية أمام الأمم واضحة جليلة تحمل فى يدها علم مصرى ، علم الاخاء والثبات والحرية والاستقلال .

اليوم باسم انا نغر الامل من بعيد فعسى أن يكون عامنا الجديد
تتحقق فيه أمنيتنا فيبسم انا نغر الامل من قريب .

ولقد عشنا نحن المصريين حيناً من الدهر بغير أمل ، لأننا كنا لا
نعتمد على أنفسنا ونخاف الثبات في كل أعمالنا . ولرب قائل يقول وهل
يعيش الانسان من غير أمل ؟ الطفل في حجر أمه يأمل أن ترضعه نديها ،
والصبي في مكتبه يأمل أن يخرج الى الهواء الطلق ليلهو مع رفقاته ،
والشاب يأمل أن يقترن بمن يحب ، والرجل يأمل أن يكتسب ما يقوم
بأود أسرته ، والشيخ يأمل أن يرى أولاده قد سلكوا في حياتهم طريقاً
شريفاً يرفع أسماءهم الى أوج المجد فيعلموا شأنه أيضاً ويموت قريح العين
باسم الثغر . فالامل غريزة في النفس والمصرى أيضاً ذا أمل في الحياة .
ونحن لا ننكر ذلك ، وهل ننكر الحقيقة التي تراها العين وتكاد

تلمسها اليد ؟ ولكننا لا نتكلم في هذا المقال عن الامل الشخصي الذي
لا يعود على صاحبه إلا بالفوز الشخصي أيضاً . ولكننا نتكلم عن أمل
المجموع ، عن أمل الامة بأسرها ، ذلك الامل الفتي الناهض الذي يهز
القلوب دفعة واحدة . فان تحقق ، وجدت الوجود من الاسكندرية الى
اسوان باسمه مشرقة تقرأ فيها آيات السرور والغبطة .

هذا هو الامل الكبير الذي كنا نجهله حيناً من الدهر ، وما جهلناه
إلا لأننا كنا لا نعتمد على أنفسنا ولا برصن المصرى منا الى أخيه
المصرى . واهل هذا الامل لا يتحقق إلا بالثبات ، وأين هو الثبات اذا
كانت القلوب متنافرة لا تقرر على رأى .

هذه هي صفحة ماضينا ، ذلك الماضي الاسود الذي كنا ننام فيه على فراش من حرير خبأوا لنا في ثناياه الشوك ، والذي كنا نشرب فيه كأساً من العسل خلطوا لنا فيه السم . عشنا حقبة من الدهر ونحن على هذا الحال لا يخرج أماننا عن دائرة حاجياتنا الشخصية ، لهذا لم نعرف غير الفشل في جميع مشاريعنا ولهذا سرنا بأنفسنا الى حافة الهاوية تلك الهاوية العميقة التي تموت فيها الشخصية بعد ان كانت يانعة زاهرة ، وكاد أن يسدل الدهر ستاره السكثيف علينا وعلى تاريخنا الزاهر ، ذلك التاريخ القديم المجيد ، الذي تجلى فيه شخصيتنا من عهد ميناء أول ملوك مصر الى عهد اسماعيل خديوها الأسبق . ذلك التاريخ تنطق صفحاته بما لا يقناه في حياتنا من سعادة تنشرح لها الصدور وتقر لها العيون ، ومن الألم تتألف لها القلوب لازالتها ومحوها ، وما السعادة والألم إلا الرباط الحيوى الذى تقوم به الامم الى ذروة المجد .

أما الآن فقد اعتمدنا على أنفسنا وتآخينا بعد أن تصافت قلوبنا ، وعرفنا أن الألم الذى يعذيب المصرى فى أى بلد من بلاد الله يهتزل له فؤاد المصرى فى أى بلد آخر . اليوم عرفنا الأمل الكبير ذلك الأمل الذى يرتكز على الاعتماد على النفس وعلى الثبات لهذا تجدنا سائرين فى طريق هذا الأمل ونحن واثقون من الفوز والنجاح وكيف لا ننجح ولا نفوز وقد قادتنا شخصيتنا فى هذا الطريق .

اليوم عرفنا بل أردنا أن نصحى وآماننا الشخصية فى سبيل ذلك الأمل الكبير ، أمل الامة بأسرها . وما أجمل أن نشرب الماء الآسن

ونأكل الخبز الاسود ، وننام في العراء ، إذا وجدنا كلمتنا قد اتفقت ،
وقلوبنا قد تأخت ، وآمالنا قد تحققت .
حقق الله الآمال .

(٨ يناير سنة ١٩٢٠)

نظرات في تاريخ مصر

(النيل في عهد الفراعنة)

تجلس في بيتك بين أهلك وأهلك وأهلك بعد أن تتناول
معهم غذاءك ، تجلس جلسة طالب الراحة وتستسلم للتفكير وأنت
منشرح القلب مثلوج الصدر . لا ترى حولك من يعكر صفوك بعد
أن ملأت معدتك الجائعة من طعام أنبتته أرض مصر — والطعام هو
الغاية التي من أجلها يعمل الانسان ويكد — وما مصر التي تنبت هذا
الطعام إلا هدية النيل . فالنيل مصدر نعمتك ومنبع حياتك ولولاه لما
رأت عينك نور السماء . فما أجل أن نتحدث قليلا عن تاريخ ذلك النهر
الذي تفيض مياهه ذهابا عليك وعلى من تضيف من الأجانب .
عشنا حاول أجدادك الاقدمون الذين تجدد عائلهم في دار الآثار
وترى آثارهم . بعثرة في صعيد مصر أن يعرفوا منبع النيل . وعشنا حاولت
جيوشهم الظافرة أن تصل الى هذا المنبع وهي تقتفى آثار القبائل

السوداء أو الخوشيت Khoushite وما رأوا فيه إلا نهراً عظيماً يشق
صعيد بلادهم فيجني أموالها وكنزاً عظيماً لا يفرغ ذهبه فعبدوه وأطلقوا
عليه اسم المعبود حابي Hapi وحق لهم أن يعبدوا أباهم البر الرحيم . أما
الكهنة فلم تضق حيلهم عن معرفة نبع نهرهم استغفر الله بل بحرقهم لأن
أجدادنا كانوا يطلقون على النيل اسم البحر بدل النهر تجيلاً لشأنه
وتعظيماً لقدره . تصور الكهنة — وقد أخطأوا في تصورهم — منبع
النيل في السماء ورأوا فيه مرآة تنعكس فيها مياه اللانهاية . تلك
المياه التي تجري عليها سفن الآلهة . وظنوا أن النيل يبتدئ في الأرض
بين جزيرتي الالفنتين Elephantine وفيابه (أنس الوجود) Philae
من بين صخور الشلال الاول ، ولم يعجبوا لقيضانه في كل حول وكيف
يعجبون له وقد اعتقدوا أن مياه هذا الفيضان ما هي إلا دموع
المعبود ايزيس Isis أما الناس فقد خبطوا في أمر منبع النيل خبط عشواء
ودارت على سنتهم قصة لا نعلم مصدرها قالوا فيها أن البحارة المصريين
وصالوا وهم مسافرون إلى مناجم الفراعنة إلى منبع النيل في بلاد پوانيت
Pouanite أما تجار العرب في القرون الوسطى فقد توهموا أن النيل يتصل
بالحيط الهندي هذا هو اعتقاد الكهنة والناس وتجار العرب أيام الفراعنة
ونحن لا نرى فيما اعتقدوه إلا أوهاماً لا حقيقة لها بعد أن عرفنا اليوم
من أي نبع ينبع النيل .

أما الوجه البحري وهو ما نطابق عليه اسم الدلتا فقد كانت تغمره
مياه البحر الأبيض . وما كان لمديرية الشرقية والدقهلية والمنوفية والغربية

والبحيرة أثر في الوجود بل كانت تلك القطعة من الأرض بحراً عجاجاً
تلتطم أمواجه وتضل فيه السفن. أما مصب النيل فكان في شمال الأرض
التي بنى فيها أجدادنا فيما بعد مدينة منف وكان البحر الأبيض المتوسط
ياتطم مع الصحراء التي أقام فيها خوفو وكفرم ومنقرع الاهرامات. ثم
حمل النيل مع مرور السنين والاعوام الى هذا المثلث المائي طميه في كل عام
فتكونت جزر قليلة تحوات الى أرض تكثر فيها المستنقعات ثم نشأت
الدلتا من العدم وانقسم النيل فيها الى ثلاثة فروع تبتدىء من بلدة اسمها
كيريكسور Kerkusore الأول اسمه بيلوسياك Pélusiaque. متخذاً
طريق الشمال الشرقي الى صحراء الشام والثاني كانوبيك Canopique
متخذاً طريق الشمال الغربي الى صحراء ليبيا والثالث اسمه سيبنيتيك
Sebennytique وكان يشق الدلتا الى قسمين متساويين ويصب في البحر
الأبيض ونشأ عن هذه الفروع فروع أخرى طبيعية وصناعية يتراوح
عددها بين السبعة والاربعة عشر.

أما مساحة كماء الدلتا فهي نعلم ٢٣٠٠ كيلومتر مربع وتزيد تلك
المساحة في كل عام. واستنتج المؤرخون أن تكونها تم في مدة سبع
مائة وأربعين قرناً قياساً على أن الدلتا تزيد مساحتها متراً في كل عام وأن
هذا التكوين تم قبل ارتقاء منسا أول ملوك مصر عرش بلاده بقرون
عديدة ويزعم البعض أن هذا التكوين تم قبل أن يفد الى مصر
الجنس المصري.

هذا هو تاريخ صغير لنهر النيل أيام القرائته أكتبه لمواطني إيفقوا

عليه وينقشوه على صدورهم إذ النيل كان وما زال وان يزال الى الأبد
كوثرهم الذى به يحبون وبغيره لا يكون لهم أثر فى الوجود

(١ يناير سنة ١٩٣٠)

الوطن^(١)

وطنك أيها المصرى هو تلك الارض التى تعيش عليها والتى تمتد
من الاسكندرية الى اسوان . هذا هو الوطن إذا أردت أن ترى فيه غير
بقعة من الارض تأكل غراتها وتتنفس هوائها وتضم رجائها عظامك
إذا فاضت روحك الى بارئها .

فى جوف هذه الارض ينام ميناء ورهسيس ومحمد على وفوق هذه
الارض ترى الأهرام وأبا الهول وتلك الآثار القديمة التى تفتخر بها مصر
فليس الوطن إذاً هو بقعة الارض بحسب بل هو تاريخك أيضاً ذلك
التاريخ الذى يضم شتاتك والذى ترى لأجدادك فى بطونه صفحات
طاهرات .

وإذا نظرت أيها المصرى لمواطنيك ألا تجد لهم لغة حية يتكلمون

(١) كتبت هذه المقالة فى وقت احتفال المصريين بعيد الاستقلال

الموافق ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ .

بها ويكتبون ما يحول في خواطرهم ألا ترى لهم لو أنّا خصيصاً بيشرتهم
ألا تسمع لكلامهم نعمة مصرية تفرقهم عن السورى والغربى بل عن
جميع سكان الارض .

هذه حقيقة لا نزاع فيها .

وتراهم أيضاً متفقى المشارب متحدى الاميال يسمعون لهدير النيل
أحاناً لا يعجب بها غيرهم من الناس ويرون في زرقة سماءهم جمالا غاب
عن أهل الأرض جميعاً فاللغة واللون والنعمة والمشارب والاميال وأحان
النيل وزرقة السماء كل هذه الاشياء هى الوطن أيضاً .

تراهم لا يندسون مصائبهم وآلامهم وإذا حلت بوادهم نعمة من
نعم الله قاموا جميعاً مع اختلاف دياناتهم يشكرون الله على ما أولاهم به
من نعم . وما النعم والمصائب التى تحل بهم إلا رابطة قوية تربطهم ببعض
وهى أيضاً وطنهم العزيز .

فوطنك أيها المصرى ليس هو بقعة الارض التى تديش عليها بل هو
كل ما يهيجس بخاطرك ويمر بمخيلتك من هواجس السعادة والآلام .
من أجل ذلك قت أيها المصرى فى الثالث عشر من شهر نوفمبر
اتحتفل بعيد استقلالك حسنا فعات .

ومن أجل ذلك ما زالت تعمل لنيل استقلالك ومن أجل ذلك
تحي وتموت .

والسفور وهو جريدة مصرية قبل أن تكون خصيصاً بالفنون
والآداب والاجتماع تحبب أمتها العريزة وتقف فى صفها وتسأل الله أن

يبارك الحركة المصرية ويمدها بروح من عنده ليظهر الحق واضحا جليا
وينقضي عهد الكاذب والألاعيب السياسية وتنال مصر استقلالها
التام .

(نوفمبر سنة ١٩١٩)

مدرسة القضاء الشرعي

فوجئ العلماء والادباء والكتاب والطلاب بين معمم ومطربش بخبر
كان المقطم أول من أذاعه ثم تناقلته الجرائد ألا وهو خبر مشروع اغلاق
مدرسة القضاء الشرعي . رددت الافواه ذلك الخبر فارتدت له الوجوه
وخفقت الافئدة وأصبح أمر اغلاق ذلك المعهد العلمي حديث الناس
في بيوتهم وأنديتهم وعلى القهاوى ولا نغالى لو قلنا فى الطرق أيضا وفى
مركبات الترام .

وكتبت الجرائد كثيرا عنه ناشرة احتجاجات الطلبة ويسرنا أن
نرى فى طليعة من كتب واحتج طلبة الازهر الشريف وسافر لمقابلة
دولة الرئيس ومعالي وزير الحقاينة وفد من أماتذة المدرسة .

وعادوا دون أن يقفوا على بيان صريح يروى غلتهم ويطفى أوارهم

(١) كتب المؤلف هذه المقالة على أثر اشاعة تداولها الصحف بشأن

اغلاق مدرسة القضاء الشرعي .

هذا هو ما يخص ما حدث ونحن نكتب اليوم حيال هذا الموضوع كلمتنا .
 أراد المرحوم الشيخ محمد عبده إصلاح الأزهر الشريف وحاول
 تحقيق أمنيته ولكن الظروف حالت بينه وبين ما يريد . وليس لنا الآن
 أن نبحث في سبب فشله خشية الخروج عن الغاية التي نرمى إليها في مقالنا .
 ولما رأى المرحوم المفتي أن لا سبيل إلى إصلاح الأزهر فكر في إنشاء
 مدرسة القضاء الشرعي وسعى لذلك ولكن المنية وافته قبل تحقيق غايته .
 بيد أن المشروع لم يمت بموته بل ظل حياً في قلوب تلاميذه فلما تولى أمر
 وزارة المعارف صاحب المعالي سعد زغلول باشا كانت أول حسنة من
 حسناته الكثيرة هي إنشاء مدرسة القضاء . فانتقى لها خيرة الاساتذة
 ووضع لها برنامجاً يشمل العلوم الدينية والكونية وظلت المدرسة في عهده
 وبعد منادرتة المعارف كعبة لطلاب العلم وأخرجت للأمة مجموعة من
 خيرة أبنائها علما وأدبا ارتقت مناصب القضاء الشرعي وبرهنت عن
 كفاءة كبيرة هي وأختها مجموعة الأزهر الشريف . فأى ضرر يعود على
 الأمة أو على القضاء من بقاء هذا المعهد الديني ورجال الأزهر الشريف
 لا يرون فيه اعتداء على حقوقهم أو سلباً لها ! يقولون أن الأزهر الشريف
 به عشرة آلاف طالب وأن مدرسة القضاء لا يزيد عدد طلابها عن أربعةائة
 وأنها تعد جزءاً من الأزهر الشريف فإذا أصلح الأزهر كانت الأمة في
 غنى عن مدرسة القضاء وهذا هو سر تفكير الوزارة في مشروع إغلاق
 المدرسة ونحن لا نرى فيما يقولونه الصواب . هب أن الأمر كما يقولون
 فأى ضرر يعود على الأمة إذا زاد عدد طلاب الأزهر بهذه النسبة

الصغيرة في معهد آخر بل أى ضرر يعود على الأمة لو فكر ولاية الامور
في إنشاء معهد دينى ثالث ثم رابع ثم خامس . . . بل أى ضرر على الامة
لو أنشأت الحكومة فى كل عاصمة من عواصم المديرىات مدارس للطب
والهندسة والزراعة والحقوق . يا حبذا لو تحقق ذلك ورأينا العلم تزدهر
رياضه فى كل بلد من بلاد مصر بل فى كل قرية من قرأها . نحن نعلم
أن البناء صعب وأن الهدم سهل ، ومن الهين هدم مدرسة القضاء ولكنه
من الصعب بناء مدرسة أخرى . فإذا أغلقوا المدرسة اليوم ورأوا فيما
بعد الحاجة ماسة لها لا قوا الصعوبات فى بنائها من جديد فنكون قد
خسرنا خسارة كبرى نحن فى غنى عنها . أما ما يقولونه من أن الوزارة
لا تريد أن تكاف نفسها مصاريف لا فائدة منها فنحن نجل الوزارة عن
ذلك وهى التى زادت مرتبات الموظفين وتنازات عن جزء من أرباحها
فى شركة الترام . فعلى الوزارة ذلك إرضاء للجمهور وجدير بها أيضا أن
تفعل أكثر من ذلك إرضاء للعلماء والادباء والطلبة وهم زهرة الجمهور
المصرى . أما إشاعة أن الوزارة تريد إغلاق المدرسة انتقاما من ناظرها
فنحن نجل الوزارة عن ذلك . هما كانت وزارة ادارية أو سياسية أو ادارية
وسياسية معا .

وأمامنا الزمن وهو كفىل بتحقيق آمالنا

(٦ نوفمبر سنة ١٩١٩)

بول آدم

قليل من بنى مصر من يعرف الروائى الشهير بول آدم ويرجع ذلك لقلة من يعرف اللغات الاجنبية من أبناء هذا البلد الامين . أما الفئة التى درست تلك اللغات فقليل أيضاً . من اختص منها بالآداب الغربية فلم نجد من بينها من أقدم على تعريب إحدى روايات هذا الكاتب الفاضل الذى يعده النقاد فى فرنسا من أئمة الروائيين . وواجب الصحافة الادبية أن تكتب لقراءها عن أئمة الكتاب فى كل بلد وعلى الاخص اذا اختطف الموت أحدهم فى الساعة التى نرى فيها أبناء جلدته فى أشد الحاجة لقراءة كتبه الجديدة .

من أجل هذا كتبنا هذا المقال .

توفى بول آدم فى صبيحة اليوم الثانى من شهر يناير وذهب ضحية الحمى الاسبائولية التى لم تشفق منذ عام بأدمون روستان شاعر القرن العشرين . فالحق الروائى بالشاعر وابست فرنسا عليهما الحداد . توفى بول آدم غير بالغ من العمر السابعة والخمسين فبكاه رجال الادب فى العالم أجمع وعدوا موته خسارة كبيرة على الآداب الفرنسية وقد قل عنه المسير دومينيك برجا فى مجلة أوربا الجديدة (اليوم فقدنا أكفأ روائى فى القرن العشرين) .

لم يكن يدور بخلد بول آدم أيام كان فتى أنه سيصبح يوماً ما روائياً

كبيراً وذلك لشدة ميله للسياحة ولقد صرح ذوود بعد وفاته بأن فتيدهم كان يأمل أن يصبح يوماً ما مكتشفاً يحجوب البلاد البعيدة والاقطار النائية. بيد أن الجوال الذي نشأ فيه والتعاليم التي ربيت عليها نفسه حدث به الى احتراف القلم فكتب رواياته العديدة ولكنه كان ينتهز الفرص ليفادر بلده الى بلاد أخرى يدرس حياتها الاجتماعية وحالة أهلها الخلقية واشتهر برواياته الادبية شهرة كبيرة فأجله النقاد ورأوا فيه رجلاً يكاد يساوى بلزالك شهرة ومجداً .

بدأ بول آدم حياته الادبية بالسير على أثار الروائي الكبير أميل زولا صاحب المذهب الذي يطلقون عليه اسم (نانوراليست) وهو المذهب الذي يتعمد فيه الكاتب وصف حياة الانسان بما فيها من عيوب وقاذورات وصفاً يشمئز منه القارئ ولا تغالى لو قلنا يخجل منه الشيخ الهرم . كتب بول آدم روايته الاولى (الجسر الناعم) سالكاً طريق (النانوراليست) فعده الكتاب عميد المذهب بعد زولا . ولكنه لم يلبث طويلاً في هذا السبيل وكتب روايته (عام كلاريس) مبتعداً فيها عن مذهب زولا ومتقرباً من المذهب الرمزي Symboliste . فجاءت روايته وفيها مزيج من المذهبين . ثم خلع عنه رداء المذهب الاول وارتدى لباس المذهب الثاني وكتب رواياته (معركة هود . القوة ابن استرلينز . تحت شمس يوليه . الحيلة . الثعبان الاسود) ولكنه لم يسلك في المذهب الرمزي طريق الخيال فحسب بل سار خلف الحقيقة أيضاً في كثير مما كتبه وما رواياته غير مجموعة من الافكار الواقعية في

قلب رومى ، واشتهر بقدرته فى تصوير ما تراء عينه فى عصرنا الحاضر
وما قرأنا فى بطون الكتب عن العصور السالفة .

ولم يقتصر على القسم الروائى الأدبى بل عالج باب التمثيل فكتب
روايته التمثيلية الأولى (الخريف) مع المسيو جبرائيل مورى وله من
العمر احدى وثلاثين سنة وصف فيها صورة حياة اعمال مضر بين ابنتى
إسراهم بسفك الدماء ثم كتب روايته التمثيلية الثانية (النحاس) مع
المسيو أندريه بيكار وهى صورة جليلة واضحة للحالة المالية فى أوروبا ثم
قدم للكوميدي فرانسيز روايته (ليويت) ولكنها لم تنجح إذ لم تمثل
إلا تسعة وعشرين مرة . ومات وهو يؤلف مع المسيو جبرائيل مورى
رواية اسمها (تانيت) .

ونحن نقدم للأمة الفرنسية تمازى الأمة المصرية ونأسف معها
لفقد هذا الكاتب العظيم .

المواكب

لجبران خليل جبران

ذهبت منذ أيام الزيارة صديقى الفاضل أميل افندى زيدان صاحب
« الهلال » فوجدت بين يديه كتاب « المواكب » وكنت فى شوق
كبير للاطلاع عليه فسأله أن يعيرنى إياه فأجاب سؤلى وحملى الكتاب

للبيت ولما فرغت من تلاوته فت للقلم لأكتب هذا المقال الصغير عن ذلك الكتاب النفيس شارحاً للكتّاب ما أحدثه جبران افندى في الأدب العربى من التغيير والتبديل وجبران افندى من كتّاب العربية وشعرائها الذين انتهجوا لأنفسهم منهجاً جديداً تجلت فيه شخصيتهم كالشمس فى رابعة النهار .

جبران افندى خليل جبران شاب سورى غادر مسقط رأسه الى أميركا كما فعل كثير من السوريين وعاش فى وطنه الجديد الى يومنا هذا محترفاً حرفة القلم فكتب فى جرائده أميركا السورية وما لبث أن عرفه قراء العربية فى كل بقعة من بقاع الأرض . عرفوه كاتباً بعد أن قرأوا كتبه «الأجنحة المتكسرة» والأرواح المتمردة وذمعة وابتسامة ويوحنا المجنون» ثم عرفوه شاعراً بعد أن قرأوا كتابه الجديد «المواكب» ولكننا لانرى فيما كتبه جبران افندى من نثر وشعر غير قصائد خيالية أو حاشاها اليه خياله الراقى وروحه الثائرة المتمردة فهو فى نظرنا شاعر وما نثره المتداول بين أيدينا الا قصائد منشورة لم يجاره فيها شاعر آخر . وإلى القارى شيئاً من نثره بل من شعره المنشور (خيم الليل بجنحه فوق المدينة وألبسها الثلج ثوباً وهزم البرد ابن آدم من الاسواق فاخْتَبأ فى أوكاره وقامت الرياح تتأوه بين المساكن كـيؤبن وقف بين القبور الرخامية يرثى فريسة الموت) ألا يرى القارى فى هذه الجمل المتناسقة التى يطلق عليها القراء كلمة نثر شعراً خيالياً يهز أوتار القلب ويوقظ النفس النائمة ؟

هذا هو الأمر الاول الذى نراه فيما كتبه جبران ولم يكتف بأن

يكون شاعراً خيالياً ينظم القصائد المنثورة ويودعها ما بقلبه من ثورة وألم وما في ما آليه من دموع وما في نفسه الطاهرة من سحق على العالم الانساني وما فيه من أوهام وكاذب بل عمد الى أسلوب جديد . إلا عبالاستعارات والرموز لم يقتف فيه آثار أى كاتب قديم ولا نغالى في القول لو قلنا أنه نسيج وحده وقريع دهره في هذا الباب . فاذا أتيت لأى قارئ بحملة من جل جبران غير مذيلة باسمه اقال لك على الفور هذه جملة من جل جبران . هذا هو الأمر الثانى الذى نراه فيما كتبه جبران . ولم يكتف جبران بأن يكون شاعراً خيالياً ذا أسلوب جديد ولكنه سار فى كل ما يكتب وراء شخصيته ، وقيل من كتاب العربية من هو على هذه الصورة .
نراه لا يكتب الا ما يعتقد ولا يخط على القراطس إلا ما يوحى اليه وحيه وإن خالف فى ذلك ما يعتقده القراء والكتاب . لهذا ترى شخصيته واضحة جلية فى جميع كتبه ، فهو فى هذا الباب كبير لوتى من كتاب الغرب .

هذا هو الأمر الثالث الذى نراه فيما كتبه جبران .
وابتداً جبران حياته الأدبية بدموع وابتهامات . ظل يذرف الدمع على آلام الانسانية ويبتسم لجمال الطبيعة الى أن مرت عشرة سنين من حياته القلمية تكونت فيها نفسه واضطربت فيها ثورة قلبه فوجدناه فيما بعد ، متمرداً ، ساخطاً صارخاً ، يصيح بين ضجيج العميان ويحدق فى الشمس بعينه المفتوحتين ويتف بين القبور الصامتة وتلى قم الجبال الشاهقة لينشد قصائده الخالدة . والسكتنا نرى بين غيومه السوداء برق

الأمل ونسمع من رعدة القاصف صوت الرحمة ونشعر عند ما تهب عواصفه
بمخلوطة الحب ، حب الحياة المهادنة الساكنة التي تجلى فيها الطبيعة وينصب
فيها ميزان العدل .

هذا هو الأمر الرابع الذي نراه فيما كتبته جبران .

كتاب المواكب

ثم عالج جبران باب الشعر الموزون المقفى فكتب كتابه « المواكب »
وهو الكتاب الذي من أجله نكتب هذا المقال .

الأشياء التي تسترعى النظر عند رؤية الكتاب : إذا أمسكت
بكتاب المواكب في يدك وقلبت صفحاته بدا لك لأول وهلة أمر غريب
لم تره عيناك من قبل بين صفحات الكتب العربية المؤلفة في عصرنا
الجديد ألا وهو أنك ترى لأول مرة كتاباً عربياً جديداً في قالب خيالي
منظوماً من أوله لآخره . وقد كنا نعيب على شعرائنا الشرقيين إثارة
القديم على الجديد لأننا لم نجد لهم غير قصائد ساروا فيها على طريقة
الشعراء السالفين دون أن يتكروا لهم طريقة جديدة . أما اليوم فقد أتى
جبران بما كنا في حاجة له . ولم يقتصر جبران على اختيار موضوع فلسفي
نظمه في قصيدة طويلة ولكنه فعل أكثر من ذلك باختياره القوافي
المتعددة والأوزان المختلفة فخالف بذلك الشرعة القديمة وابتكر طريقة
جديدة نأمل أن يتبعه فيها الشعراء الشرقيون .

وهناك أمر آخر يسترعى نظرك عند رؤية الكتاب ألا وهو الصور
العديدة التي نقشها يد الكاتب مصورا أما كتبه في كتابه . لا تنكر أننا
رأينا كتباً عصرية مملوءة بصور فوتوغرافية ولاكننا لم نجد كتاباً حلاه
مؤلفه بصور مبتكرة من مخيلته نقشها يده لتصوير ما أملاه عليه ضميره .
ونظرة منا لهذه الصور تكفي لأن تثبت لنا قدرة الكاتب وعمق برقته
في فن التصوير واقد قرأنا عنه أنه سافر خصيصا لباريس لدرس هذا الفن
وشهد له كبار المصورين في فرنسا بالتبوغ .

غرض المؤلف من تأليف الكتاب :

أراد جبران بتأليف هذا الكتاب نقد المجتمع البشري وما حواه
من عادات وشرائع وقوانين . لم يجد جبران في المجتمع الانساني إلا
أكاذيب تفضل الناس عن الطريق السوي وما الطريق السوي إلا العودة
إلى الطبيعة وبساطتها ؛ تلك البساطة التي لا تكاف الناس شيئا بل تقرهم
بعضهم من بعض وتمحو من نفوسهم ما ألصقته بها حياة المجتمع وقوانينه
من الأدراخ والأوهام وما أجمل قوله

ليت شعري أي نفع في اجتماع وزحام
وجسدال وضجيج . . واحتجاج وخصام :

يرى جبران في المجتمع الانساني قوانين وعادات يسود بها البعض
ويذل بها الآخرون . فأين إذا سعادة النفس وهناء القلب والناس كالذئاب
لا تسعى إلا في ضرر غيرها فالسعيد في الحياة هو من بنى له قصر أعلى
قبور اخوانه المساكين الذين داسهم بأقدامه الضخمة دون أن يرحمهم أو

تأخذه بهم الشفقة والحنو . أما في الغاب حيث تجلى الطبيعة وتجاس
البساطة عل عرش الرحمة والتأخى فالحياة فيها كما قال .

ليس في الغابات راع لا ولا فيها القطيع
فالشئ يمشى ولكن لا يجاريه الربيع
خلق الناس عبيداً الذى بأبى الخضوع
فاذا ما هب يوماً سائراً سار الجميع
أعطى الناي وغن فالتنا برعى العقول
وأنين الناي أبى من مجيد وذليل

واختار جبران لتصوير فكرته شخصين الأول شيخ عاش في
المدينة طول عمره وخبر ما فيها من العادات والقوانين والشرائع والأوهام
والأكاذيب ثم خرج إلى الغاب بعد تجربته وخبرته ليستريح من وعاء
سفرته الطويلة التى قضاها جائلاً في أنحاء المدينة . فالتقى في الغاب بشاب
لم تر عيناه غير أشجار الغاب ولم يتنفس غير هوائه الطاق ولم يسمع غير
ألحان طيوره . فالأول شيخ ضامر التجاليد محدوب الظهر مرتجف
الأنامل والثانى فتى جميل الصورة قوى البنية حاملاً نايه في يده ليحيى
الطبيعة بأناشيده الخالدة . يلتقى الرجلان في الغاب ويبدى كل منهما
آراءه في الحياة . الأول لم يجد في حياة المجتمع الانسانى غير التساوم
والسقاء والثانى لم يجد في حياة الغاب غير السعادة والهناء . هذا هو
ملخص ما أراد جبران إثباته في كتابه ومن هذه المحاور الشيقة التى
خطتها يده تظهر لك آراؤه الفلسفية في الحياة وفي الشرائع والاديان .

على أنه لا يقصد في كتابه أن يدعو الناس الى عيشة الغاب وهجر المدن ولكنه يريد أن يتوسط الناس في حياتهم وأن يتركوا الروابط الكاذبة التي تربطهم في مجتمعنا البشري وما الغاب الذي كتب عنه جبران إلا رمز البساطة لا ينتج عنها إلا الهناء والسعادة .

قيمة الكتاب : لابالغ في القول لو قلنا أن الكتاب هو من خيرة ما أخرج للناس في عهدنا الحاضر ففيمه تجلي عبقرية جبران وفيه نسمع صراخ وحيه القادر ذلك الوحي الالهى المتورد الذي ظهر لنسا في هذا الكتاب ساخطا على قوائين البشر على لسان الفتى ابن الغاب بعد أن يشرحها ويحللها على لسان الشيخ ، شيخ المدينة .

جبران كتب لنا هذا الكتاب منتهجا خطة جديدة في أسلوبه الشعري وشارحا لنا أفكارا فلسفية جديدة أيضا ولقد نجح نجاحا كبيرا يعبطه عليه كل أديب .

نقد الكتاب : حاول جبران افندى أن يأتي في نثره بأسلوب جديد فنجح نجاحا كبيرا ثم حاول أن يأتي لنا بأسلوب جديد في شعره فنجح ولكنه لم ينجح النجاح الذي يريده له كل محب لشعره شعوف بما تحطه يده . فتراكيه في النظام غير متناسقة كما هي في النثر ولكن ذلك لا ينقص من قيمة الكتاب ونحن على يقين تام أن ضعف أسلوبه في النظام سيزول على مر الأيام وسوف يكتب لنا الكاتب فيما بعد كتباً منظومة خالية من كل وهن ويكفيها منه الآن شاعريته الكبيرة وعبقريته التي ليس لها

حد ووحية المتمرد الذى يغور فى خفايا القلوب لىضى ، ظلماتها ويفرج عنا
الهموم والكروب .

أمثلة من شعره :

على لسان الشيخ :

الخير فى الناس مصنوع اذا جبروا والشر فى الناس لا يقنى وان قبروا
وأكثر الناس آلات تحركها أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علم ولا تقولن ذاك السيد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندر

على لسان الفتى .

ليس فى الغابات حزن

لا ولا فيها الهموم

فاذا هب نسيم

لم تجئ معه السوموم

ليس حزن النفس إلا

ظل وهم لا يدوم

وغيوم النفس تبدوا

من ثماياها النجوم

أعطى الناي وغن فالغنا يحو المحن

وأنين الناي يبق بعد أن يفنى الزمن

على لسان الشيخ

والدين في الناس حقل ليس يزرعه غير الأولى لهم في زرعه وطر
من أمل بنعيم الخلد مبشر ومن جهول يخاف النار تستمر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا رباً ولولا الثواب المرتجى كفروا
كأنما الدين ضرب من متاجرهم ان واضبوأربحوا أو أهملوا خسروا
ومن أحسن ما قاله قوله على لسان الفتى :

ليس في الغابات سكر
من خيال أو مدام
فالسواقى ليس فيها
غير إكسير الغمام
إنما التخدير ندى
وحليب اللانعام
فاذا شاخوا وماتوا
بلغوا سن الفطام

أعطينى النأى وغن فالغنا خير الشراب
وأنين النأى يبقى بعد أن تفتى الرضاب

وليس لنا في الخاتمة إلا أن نقول أن جبران أفندي جبران عبقرى
في نثره وعبقرى في شعره وعبقرى في صورته ونحن نتصح جميع القراء

أن يقرأوا كتبته ليعرفوا مذهبه الجديد في الأدب ويقفوا على أفكاره
السامية وينشدوا معه قصائده الخالدة
(٢٥ ديسمبر سنة ١٩١٩)

شوقي^(١)

أحمد في الانبياء وأحمد في الشعراء
(صادق عنبر)

من منا لا يعرف الشاعر الكبير أحمد شوقي ؟
من منا لم يقرأ قصائده الخالدة وحكمه الغالية . ومن منا لم ير بعين
الخيال صورته الطبيعية التي صورها لنا وحيه الالهى في قصائده العامرة ؟
الطفل في مدرسته يحفظ عن ظهر قلب أبياته الرشيقة والشاب في
روثق شبابه يترنم بقصائده الغزلية والشيخ الذى أروعته الهرم يتلو حكمه
إذا آوى الى خلوته لينظر للحياة نظراته الفلسفية فيقول
خالقنا للحياة والمات ومن هذين كل الحادثات
هذا هو شاعرنا الكبير أحمد شوقي شاعر مصر ولا تغالى فى القول
لو قلنا شاعر الشرق .

كتبت هذه المقالة بمناسبة قرب عودة شوقي بك الشاعر من منفاه
فى الأندلس .

شوقى هو أول من وصف الطبيعة من الشعراء المصريين بل هو
أول من أجاد وصفها ولو ضربنا صفحا عن قصائده فى باب المديح ولم نقرأ
منها الا الجزء الذى خصه بالغزل والوصف والحكم لرأينا فى شاعرنا
الكبير عبقرىا عظيما لا يجود الزمان بمثله فى كل آن .

مرت على شوقى أطوار عديدة تكونت فيها شاعريته والحال كذلك
مع كل شاعر .

ابتدأ شاعرنا حياته مقلداً شعراء العرب وتغانى فى قراءة المتنبي
فسلك مسلكه ولكنك كنت ترى من خلال قصائده الأولى بصيص
نور جديد نور شخصيته العبقرية ووجهه الالهى .

وكيف لا يكون الامر كذلك وهو القائل :

ما تراها تناست اسمى لما	كثرت فى غرامها الاسماء
إن رأيتى تميل عني كأن لم	تلك بينى وبينها أشياء
نظرة فابتسامة فسلام	فكلام فموعد فلقاء
يوم كنا ولا تسئل كيف كنا	تهادى من الهوى ما نشاء
وعاينا من العفاف رقيب	تعبت فى مراسه الاهواء
جاذبتنى توبى المعصى وقالت	أتم الناس أيها الشعراء
فاتقوا الله فى قلوب العذارى	فالعذارى قلوبهن هواء

وهو القائل فى قصيدة عن حياة اسماعيل باشا خديوى مصر .

لم ير الناس مثل أيام نعماء	ك زمانا ولا كبؤسك عهدا
كنت إن شئت بدّل السعد نحسا	وإذا شئت بدّل النحس سعدا

يَمْشِي الْقَضَاءُ خَلْفَ نَوَاهِيكَ حَدِيدَ الْأَظْفَارِ يَطْلُبُ صَيْدَا
أَنْتَ مِنْ مَثَلِ السَّعَادَةِ لَوْ لَمْ يَكْ ذَاكَ النَّمِيمُ أَخْذًا وَرَدًا
وَهُوَ الْقَائِلُ أَيْضًا فِي وَصْفِ غَابِ بُولُونِ .

يَا غَابِ بُولُونِ وَلِي ذَمِّكَ عَلَيْكَ وَلِي عَهْدِ
زَمَنِ تَقْضَى لِلْهَوَى وَلَنَا بِظِلِّكَ هَلْ يَعُودُ
حَلْمُ أُرَيْدُ رَجُوعَهُ وَرَجُوعُ أَحْلَامِي بِعَيْدِ
وَهَبِ الزَّمَانَ أَعَادَهَا هَلْ لِلشَّيْبَةِ مِنْ يَعِيدِ !
وَهُوَ الْقَائِلُ أَيْضًا .

وَأَمَّا الْأَمُّ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَانْ هَمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا
لَوْ قَارَنْتَ هَذِهِ الْأَشْعَارَ بِأَشْعَارِهِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا نَحْوُ الشُّعْرَاءِ الْأَوَّلِينَ
مَقِيدًا نَفْسَهُ بِسُلَّاسِلِ التَّقْلِيدِ دُونَ أَنْ يُطْلَقَ الْعَنَانُ لِعَبَقَرِيَّتِهِ وَوَحْيِهِ لَظَهَرَ
لَكَ الْفَرْقُ الْكَبِيرُ وَالْبُؤْسُ الشَّامِعُ . قُلْ لِي بِرَبِّكَ أَصْبَحَ أَنْ تَنْسَبَ لِصَاحِبِ
الْآيَاتِ الَّتِي قَرَأْتَهَا الْآنَ تِلْكَ الْآيَاتُ الْآتِيَةُ .

سَوْيَجْعَ النَّيْلِ رَفَقًا بِالسُّوَيْدَاءِ فَمَا تَطِيقُ أَنْتَ الْمَفْرَدَ النَّائِي
لِلَّهِ وَادِّ كَمَا يَهْوَى الْهَوَى عَجَبُ تَرَكْتَ كُلَّ خَلْقٍ فِيهِ ذَا دَاءِ
وَأَنْتَ فِي الْأَسْرِ تَشْكُو مَا تَكَابَدَهُ لَصَخْرَةٍ مِنْ بَنَى الْأَعْجَامِ صَمَاءِ
فَلَوْ رَأَيْتَكَ بِعَيْنِ السَّمْعِ لَا تَفْجَرُتُ وَبَاءَ مَشْرِقِ شَمْسِ الْغَضَادِ بِالرَّاءِ
أَوْ قَوْلُهُ مِثْلًا :

لَا السَّهْدُ يَدِينُنِي إِلَيْهِ وَلَا الْكَرَى طَيْفٌ يَزُورُ بِفَضْلِهِ مَهْمَا سَرَى
تُخَذِ الدَّجَى وَسَمَاءَهُ وَنَجْوَاهُ سَبَلًا إِلَى جَفْنَيْكَ لَمْ يَرْضَ الْثَرَى

لقد كان الشاعر في ذلك الطور من حياته قليل الاكتراث
 بشخصيته وعبقريته ولهذا كنا نقرأ له الغث والسمين . ثم تحول عن
 طريقه القديم وشرع لنفسه خطة جديدة أتى فيها بالمرقص والمعجب
 ونجحت فيها . مواهبه العبقريّة وارتقى فيها الى سماء الالهة ، آلهة الشعر
 بيد أنه لم ينبج من باب المديح فكان ضحية الظروف . والمديح باب من
 الشعر لا يصح أن نطابق عليه اسم شعر . ولكن ما آتاه شوقي من
 القصائد الخالدة في طوره الثاني غفر له زلته وكيف لا نتعجب من قال :

الرؤوس	مائلة	في الصدور	تحتجب
والنحور	قائمة	قاعد	بها الوجب
والنهود	هامدة	والخدود	تلتهب
والخصور	واهمة	بالبنان	تجذب

أو من قال :

بعت المدو بكل شهر مهجة	وكذا يباع الملك حين يرام
مازال يدينك في الحصار ويدينه	ثم الحصون ومثلين عظام
حتى حواك مقابراً ، وحويته	جشاً ، فلا غين ولا استدمام

أو من قال :

قف بتلك القصور في اليم غرقى	تمسكاً بعضها من الذعر بعضاً
كمذارى أخفين في الماء بضاً	سباحات به وأيديهن بضاً
مشرفات على الزوال وكانت	مشرفات على الكواكب نهضا
شاب من حولها الزمان وشابت	وشباب الفتون ما زال غدا

ثم أتى على الشاعر الطور الثالث ، الطور الذى نفى فيه يديه من
باب المديح كما يخرج البلبل من قفصه ليشدو على الأغصان فيجى الصباح
ويداعب النسيم وبذكر الله إذا ألقى الليل ردائه الأسود على صفحة
السكون . فى ذلك الطور طورنا الحالى لا يعرف شوقى غير شخصيته ولا
ينظم إلا من أجل شخصيته . فى هذا الطور يبلغ شوقى ذروة المجد
وتسجد الشعراء أمامه معترفين بفضلته وعبقريته . ومن قصائده فى ذلك
العهد قصيدته القافية عن النيل وقصيدته التى نظمها من أجل الشبان
المتحرين والتى قال فى مطلعها .

ناشئ فى الورد من أيامه حسبته الله أبالورد عشر
سدد السهم الى صدر الصبا ورماه فى حواشيه الغرر
بيد لا تعرف الشر وما صلحت الا لتلهو بالأكر
ولا تنسى أيضا سينيته الجديدة التى ارسل بها من الاندلس والتى
يقول فيها .

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى اليه فى الخلد نفسى
والآن سيعود شاعرنا الكبير الى وطنه ، سيرجع البلبل الى عشه .
سوف نقرأ عن قريب قصائده الخالدة التى أوحى بها اليه وحيه بين اطلال
مدينة العرب فى الاندلس . فلتمنا مصر بشاعرها ولهمنا الشاعر بوطنه
بعد غربة طويلة حن فيها الى مصر وحنن فيها مصر اليه .

وفاة ألفرد رول

توفي في أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩١٩ المصور الشهير ألفرد رول بالغا الثانية والسبعين من عمره بعد أن قضى حياة لم يندق فيها غير طعم العمل ولقد بكاه جميع رجال الفن في باريس بل في فرنسا من شرقها لغربها ومن جنوبها لشمالها . واتخذ ألفرد رول لنفسه طريقة فنية لم يتبعها فيها أحد من التلاميذ اللهم الا ابنه مارسيل رول فقد شهد المصورون للولد بأنه صورة من الوالد في جميع صورته الفنية . وكانت تتجلى شخصيته في طريقته الفنية وانفرد بتلك الطريقة التي صن بها على المصورين فلم يسمع عنه أنه قام بتدريسها لأحد ولهذا عاش وحيدا لا تحوم حوله التلاميذ شأن كبار المصورين وكان جميل الوجه طيب الأخلاق حسن الاحدوة لم يحتفل بالمناصب العالية الى أن أتيح له ارتقاء منصب رئاسة جماعة الفنون الاهلية وقد مات وهو رئيس لهذه الجماعة . ونبع ألفرد رول في جميع أنواع التصوير ومن صورته الشهيرة عن الأشخاص صورة هنري روشفور وصورة المصور نولو وزوجته وصورة جول سيون الكاتب الاجتماعي الشهير .

ولم يقتصر على هذا النوع من التصوير بل نبغ أيضا في تصوير المناظر الطبيعية ومناظر الجنود والجيوش .

أدمون روستان

نعت الينا برقية هافاس الشاعر الدراى الكبير أدمون روستان
إختطفته المنية بعد حياة بيضاء ناصعة قضاهها فى سبيل فنه جامعاً بين
الشعر والتمثيل فذهب ضحية الحمى الأندلسية فى الساعة التى خفقت
فيها قلوب الافرنسيين فرحاً بنصرهم العظيم وشرقاً لسماع أشعاره الحماسية
عن فوزهم الكبير . مات الشاعر العبقرى صاحب الصيت الطائر
والشهرة الواسعة تاركاً روايته الخالدة حية تقرأها الناس فى كل مكان
ومن ذا الذى لا يعرف روستان (وسيرانودى بروجراك) خير ما أخرج
للناس فى القرن العشرين بل خير كتاب أخرج المذهب الرومانتيكى
من يوم نشأته الى يومنا هذا . بدأ روستان حياته الادبية فى العشرين
من عمره بديوان من الشعر أطلق عليه اسم (ليمزارديز) رأى فيه النقاد
تلك الروح الحائرة التى رأوها فى أشعاره وسماه الاولى . ثم تحول عن الشعر
الى الشعر التمثيلى وألف رواية (لاسماريتين) وأعقبها برواية (لاپرنسس
لوانتين) ثم ألف رواية (ليرومانسك) وظهرت فى رواياته الثلاثة تصورات
البديعة وخياله السامى وعواطفه الفياضة وما كانت هذه الروايات غير مجموعة
من القصائد التمثيلية التى يلتقى فيها الاحساس بالخيال ثم أخرج للناس رواية
(سيرانودى بروجراك) فى وقت اتخذ فيه الكتاب خطا (الرياليزم)
أى الوقائع والحقائق وتمددت فيه الروايات الأجنبية وكثرت روايات
الفودفيل حتى مل الجمهور هذه الانواع وود أن يرى رواية تجمع بين

الحماسة والحب الطاهر والتضحية مع المواقف الهزلية أى رواية من نوع الرومانتيك (نوع شكسبير) فأتاه روستان بروايته الجديدة ووجد فيها الجمهور أمنيته فأعلى من شأنها عن جدارة واستحقاق وتحديثها الناس في العالمين الاوربي والاميركي وعدها الأديباء خير رواية ظهرت في عالم الأدب بعد رواية (السيد) لشاعر فرنسا الكبير (بيير كورنيل) ثم ألف رواية النسر الصغير عن حياة ابن نابوليون الاول وكتب في مقدمتها بيتين من الشعر معناهما (علم الله أنى لا أهاجم أحداً ولا أذافع عن أحد ولكنى أكتب قصة طفل بائس) . وخير ما في هذه الرواية تلك القصيدة البديعة التى يقولها ابن نابوليون وهو يحلم بواقعة (جرام) سامعاً صراخ المنتصرين وأنين المحتضرين . وستبقى تلك القصيدة خالدة رغم أنف الليالى والأيام . تم كتب رواية (شانتكلير) وماهى الادعابة من نوع دعايات شكسبير وذكرى تعيد لقارئها روايات رينارت وقصائد لافونتين وفيها يخرج الممثلون على المسرح فى زى الحيوانات يمثلون حسنات الناس وسيئاتهم ولكنه لم يبلغ فيهما ما بلغه فى رواياته السالفة . واشتغل روستان بعد ذلك بتأليف رواية (دون جوان) ولكنه مات قبل اتمامها أو قبل اخراجها للناس .

هذه هى حياة الشاعر الكبير وهى كما ترى حافلة بأ كبير المآثر ومن العجيب أن زوجته شاعرة أيضاً . رحم الله روستان الشاعر العبقري والعاقل المجيد وليس لنا حيال هذا المصاب الكبير الا أن نعزى الأمة الافرنسية بفقد رجالها القادر والعالم أجمع بموت شاعره الدرامي العظيم .

شاتوبريان

ليس من السهل على الكاتب أن يبدى رأيه عن رجال الأدب في القرن التاسع عشر لقرب ذلك العهد من وقتنا الحاضر . فسكأننا نرى بعيني رأسنا رجال ذلك القرن وكأننا نعاشرهم ونحادثهم . وتاريخ الآداب يقضى بأن يكون بين الناقد ومن يتصدى لنقده زمن طويل . بيد أننا لو سبرنا غور ذلك العهد وبخشنا عن أسرارہ بحثاً مستفيضاً لما غاب عنا ذلك التطور الكبير الذى أنتجته الحوادث السياسية والاجتماعية فى آداب اللغة الافرنسية فى ذلك القرن . ونعنى به ما قام به كتاب ذلك العصر من الحركة الجديدة التى قضت على القوانين القديمة بعد أن سلكوا طريقاً جديداً ساروا فيه بأقدام ثابتة ونفس آمنة وراء الخيال والشعور والعواطف وما كانت للخيال والشعور قبل ذلك أثر فى آداب اللغة . ونشأ عن ذلك الشعر الوجدانى والروايات وكان للعلوم الحديثة التى ظهرت فى ذلك القرن تأثير كبير على الآداب فسلكت الأدباء مسلك العلماء فى تقرير النظريات وتمحيصها وإثباتها فنشأ علم النقد من العدم ووجد علم التاريخ أساساً ثابتاً يرتكز عليه وتنوعت أساليب اللغة وتعددت مفرداتها وانتقل إليها عدد كبير من مفردات اللغة الانكليزية والألمانية وظهر فى آدابها تأثير هاتين اللغتين . ويجمل بنا أن نقول أن أول من اختط

هذه الشرعة الجديدة وجرى في مضمارها شوطاً بعيداً فسارت على آثاره
جميع الكتاب هو فرانسوا رينيه شاتوبريان كاتب فرنسا العظيم في
القرن التاسع عشر .

ولد شاتوبريان في بلدة سان مالو في الرابع من شهر سبتمبر عام ١٧٦٨
ولما بلغ العشرين أتى باريس دون أن يحظى بقسط وافر من العلوم
والآداب حاملاً بين جنبه نفساً حزينة كثيفة لا يعلم سر أحزانها وآلامها
وما كان ذلك الحزن العميق النتيجة لحياة المضطربة التي قضاها في بلدته
فلما أتى باريس خالط رجال الأدب وود أن يقتفى أثرهم ولكنه سافر
لأمريكا عام ١٧٩١ للسياحة وأفادته تلك السياحة كثيراً في تكوين خياله
وانحاء عواطفه وعاد إلى أوروبا حينما بلغه خبر حروب لويس السادس عشر
ثم سافر إلى إنكلترا وطبع فيها سنة ١٧٩٧ كتابه عن الثورات . ولم يكن
كتاباه ذا قيمة كبيرة بل ولم تظهر فيه أراؤه التي اشتهر بها بين مواطنيه
وهي الإيمان بالدين المسيحي والتفاني في حب الملكية . وعاد إلى فرنسا
عام ١٨٠٠ وطبع فيها روايته (آتالا) عام ١٨٠٢ وروايته (رينيه) ١٨٠٥
وكتابه الشهداء عام ١٨٠٦ وكتابه (الطريق بين باريس والقدس) عام
١٨١١ ثم انتخب في الأكاديمية الفرنسية وألقى في قاعاتها خطبته التي
ندد فيها بالحكومة وجر عليه ذلك غضب نابليون الأول بعد أن كان
على وثام معه . ولما عاد آل بريون للعرش انحاز لجانبهم واشتغل بالسياسة
ثم اعتزلها عام ١٨٣٠ مكرساً نفسه لكتابة كتابه العظيم (ويموار دور
تومب) دون أن يقلب ظهر المحن لآل البريون .

ولم تنشأ أحزانه النفسانية عن فقر واحتياج لأنه قضى حياة سعيدة في مأمن من نكبات الحياة ولكنه كان ذا نفس حساسة وطبيعة ثائرة وعظمة كبيرة وأنانية دائمة . فلم ترق في عينه تلك الحياة السعيدة التي لم ينقصه فيها شيء واحتقر تلك المظاهر الخداعة الكاذبة ولهذا عاش ومات كغيب النفس يحمل بين جنبيه تلك الأوجاع وتلك الشجون التي ظهرت في جميع ماخطته يده وكان لها تأثير كبير على كُتَّاب ذلك القرن . (رواياته رينيه) : لم يتوخ شاتوبريان في روايته تحليل أخلاق شخص من أشخاص الحياة ولكنه عمد الى درس ما بنفسه من هموم وأوجاع وما كان لهذه الهموم وهذه الأوجاع سبب من الأسباب الخارجية بل كان مصدرها نفسه الهائلة المضطربة . واختار لروايته بطلا سماه رينيه نشأ في جو لم يجد فيه ما تصبو اليه نفسه وساح كثيراً ولكنه لم يستفد من سياحاته شيئاً يذكر ولم يرق في عينه المجتمع الانساني فعمد الى الاتحار بيد أنه لم يقدم عليه لمصيبة كبرى قوضت دعائم قلبه وكانت سبباً في نجاته ولكنها لم تشفه من آلامه وهمومه . وقد شرح شاتوبريان في هذه الرواية حقيقة نفسه بل حقيقة نفوس الكتّاب والشعراء في ذلك العهد . فهي تاريخ للحياة الأدبية عام ١٨٠٠ . ولم يكن هذا الداء (داء الهموم والأوجاع من غير سبب) قاصراً على الأدباء في فرنسا فقد وجدناه جلياً واضحاً في رواية فرتر للشاعر الألماني جوته وفي جميع ما دونه الشاعر الانكليزي بيرون من أشعاره العبقرية وفي كتب جان جاك

روسو وغيرهم . وأصبح هذا الداء مذهباً من المذاهب الأدبية وقاعدة من قواعد الهيئة الاجتماعية في ذلك العهد .

(كتابه عبقرية الدين المسيحي La Génie du christianisme)
إذا أردنا البحث عن نظريات شاتوبريان الأدبية التي جعلته رئيساً لمذهب أدبي جديد تحتم علينا أن نقرأ هذا الكتاب لنعرف حقيقة ما . فقد شرح فيه شاتوبريان تفوق الدين المسيحي وما أحدثه من الإصلاحات في الاخلاق والعادات والآداب والفنون . وقسم كتابه الى أربعة أقسام خص القسم الثاني والثالث منها بحال الدين المسيحي ونفوذه الكبير . وبرهن فيهما عما أحدثته المسيحية من رقي الشعور والعواطف التي لم يكن لها أثر عند الكتّاب أيام الوثنية . وحال أخلاق الأمهات والآباء والأبناء والجنود والكهنة في العهدين وأظهر للقارىء الفرق واضحة جلية ، فما كانت قيمة هذا الكتاب ؟

لام النقاد شاتوبريان استعماله المسيحية كآلة لخدمة الفنون والآداب ورأوا فيما كتبه نظرات سطحية عن الدين من غير استقرار في حقيقة ولقد صدق النقاد فيما ارتأوه بيد أن قيمة الكتاب لم تكن بما كتب فيه عن الدين المسيحي بل بما احتواه من المنهج الجديد الذي حتم على الكتّاب أن يتفحصوا أيديهم من غبار الماضي ويسلكوا طريقاً جديداً للآداب والفنون وهذا هو سر شهرة الكتاب وإحلاله المقام اللائق به . فهو أول كتاب خط للكتّاب شرعهم الجديدة .

(كتابه الشهداء) : أراد شاتوبريان أن يكتب كتاباً يظهر فيه آراءه

جلية واضحة في شكل قصيدة منشورة بين فيها تفوق آداب الدين
المسيحي عن آداب الميثولوجيان Mythologie في عهد الوثنية فاختار
عهد الانطهادات في القرن الرابع أى عهد الفضال بين المذهبين المسيحي
والوثني وكتب كتابه الشهداء ولكنه لم ينجح فيه نجاحاً كبيراً لما أتى
به من الخرافات والا كاذب ولكنه نجح في تحليل أخلاق بعض
أشخاص الكتاب كأيدور Endore وسيمودوسه Cymodocée وفليد
(Vellède) .

(نهضة شاتوبريان) : يعد النقاد شاتوبريان كاتباً قديراً خدم اللغة
الافرنسية خدمة يدونها له التاريخ فهو أول من ابتدع الخيال والتصوير
في النثر بعد أن كان مفقراً لهما ولكنهم يلومون عليه ما يشعر به القارئ
عند قراءة كتبه بشئ من التحايل في الاسلوب . بيد أنه رغم ذلك بحث
في آلام النفس وأوجاعها وأدخل الخيال والعواطف في النثر وأوجد بما
كتبه الاساس الاول للشعر الوجداني ولهذا أطلق عليه النقاد لقب
مؤسس المذهب الرومانتيكى .

(معربة بتصرف كبير عن كتاب دوميك)

الكتاب الرابع

ما تراه العيون

فقطع فصحية مصر



في القطار

صباح ناصع الجبين يحلى عن القلب الحزين ظلماته ويرد للشيخ شبابه
ونسيم عليل ينمش الافئدة ويسرى عن النفس هبوبها . وفي الحديقة
تمايل الأشجار بمنة ويسرة كأنها ترقص لقدم الصباح . والناس تسير
في الطريق وقد دبت في نفوسهم حرارة العمل وأنا مكتئب النفس أنظر
من النافذة لجمال الطبيعة وأسائل نفسي عن سر اكتئابها فلا أهدى لشيء
تناولت ديوان موسيه وحاولت القراءة فلم أفجح ، فألقيت به على
الخوان وجلست على مقعد واستسلمت للتفكير كأنى فريسة بين مخالب الدهر
مكثت حيناً أفكر ثم نهضت واقفاً وتناولت عصاى وغادرت منزلى
وسرت وأنا لا أعلم الى أى مكان تتودنى قدمائى الى أن وصلت الى محطة
باب الحديد وهناك وقفت . ففكرت . ففكرت . ففكرت . ففكرت . ففكرت . ففكرت .
وابتعت تذكرة — درجة ثانية — وركبت القطار للضيعة لأقضى فيها
نهارى بأكمله .

جلست فى إحدى غرف عربات القطار بجوار النافذة ولم يكن بها
أحد سواى وما لبثت فى مكانى قليلاً حتى سمعت صوت بائع الجرائد يطن
فى أذنى (وادى النيل . الاهرام . المقطم) فابتعت احداها وهمت بالقراءة
واذا بباب الغرفة قد انفتح ودخل شيخ من المعممين أسمر اللون طويل
القامة نحيف القوام كث اللحية له عينان أقفل أجفانهما الكسل فكانه
لم يستيقظ من نومه بعد . وجلس الأستاذ غير بعيد عني وخلع مراكبه

الأحمر قبل أن يتربع على المقعد ثم بصق على الأرض ثلاثاً ماسحاً شفتيه
بمئذيل أحمر يصلح أن يكون غطاء لطفل صغير . ثم أخرج من جيبه مسبحة
ذات مائة حبة وحبة وجعل يردد اسم الله والنبي والصحابة والاولياء
والصالحين . خولت نظري عنه فإني أرى في الغرفة شاباً لا أدرى من
أين دخل علينا ولعل اشتغالي برؤية الاستاذ منعى أن أرى الشاب
ساعة دخوله .

نظرت الى الفتى وتبادر لذهني أنه طالب ربي انتهى من تأدية امتحانه
وهو يعود الى ضيعته ليقضى أجازته بين أهله وقومه . نظر الى الشاب
كما نظرت اليه ثم أخرج من محفظته رواية من روايات مسامرات الشعب
وهم بالقراءة بعد أن حول نظره عني وعن الاستاذ . ونظرت للساعة راجياً
أن يتحرك القطار قبل أن يوافينا مسافر رابع فإذا بأفندي وضاح الطلعة
حسن الهندام دخل غرفتنا وهو يتبختر في مشيته ويردد أنشودة طالما
سمعتها من باعة الفجل والتمرس . جلس الافندي وهو يتسم واضعاً رجلاً
على رجل بعد أن قرأنا السلام فرددناه رد الغريب على الغريب

وساد السكون في الغرفة والتاميد يقرأ روايته والاستاذ يسبح وهو
غائب عن الوجود والافندي ينظر لملابسه طوراً والمسافرين تارة أخرى
وأنا أقرأ وادى النيل منتظراً أن يتحرك القطار قبل أن يوافينا
مسافر خامس .

مكثنا هنيهة لا نتكلم كأننا تنتظر قدوم أحد فانفتح باب الغرفة
ودخل شيخ يباغ الستين أحمر الوجه براق العينين يدل لون بشرته على أنه

مر كسى الأصل وكان ممسكا مظلة أكل الدهر عليها وشرب : أما حافة
طربوشه فكانت تصل الى أطراف أذنيه ، وجلس أمامى وهو يتفرس
فى وجوه رفقائه المسافرين كأنه يسألهم من أين هم قادرون ، الى أين هم
ذاهبون ثم سمعنا صفير القطارة تنبئ الناس بالمسير وتحرك القطار بعد قليل
يقل من فيه الى حيث هم قاصدون .

سافر القطار ونحن جلوس لا ننبت بينت شفقه كأنما على رؤوسنا
الطير حتى اقترب من محطة شبرا فأذا بالشركس يحماق فى ثم قال موجها
كلامه الى :

هل من أخبار جديدة يا افندى ؟

فقلت له وأنا ممسك الجريدة بيدي — ليس فى أخبار اليوم ما
يستلفت النظر اللهم إلا خبر اهتمام وزارة المعارف بتمميم التعليم ومخاربة
الأمية .

ولم يمهلى الرجل أن أتم كلامى لانه اختطف الجريدة من يدي
دون أن يستأذنى وابتدأ بقراءة ما يقع تحت عينيه ، ولم يدهشنى ما فعل
لأنى أعلم الناس بحدة الشراكسة . وبعد قليل وصل القطار محطة شبرا
وصعد منها لغرفتنا أحد محمد القايموية وهو رجل ضخم الجثة كبير
الشارب أفطس الأنف له وجه به آثار الجدوى تظهر عليه مظاهر
القوة والجهل . جلس العمدة بجوارى بعد أن قرأ سورة الفاتحة وصلى
على النبي ثم سار القطار قاصدا قلوب .

مكث الشر كسى قليلا يقرأ الجريدة ثم طواها وألقى بها على الأرض وهو يحرق الأرم وقال .

— يريدون تعميم التعليم ومحاربة الأمية حتى يرتقى الفلاح الى مصاف أسياده ، وقد جهلوا أنهم يجنون جنابة كبرى .
فالتقطت الجريدة من الأرض وقلت :
— وأى جنابة ؟

— إنك ما زلت شابا لا تعرف العلاج الناجع لتربية الفلاح .
— وأى علاج تقصد ؟ وهل من علاج أنجمع من التعليم ؟
فقطب الشر كسى حاجبيه وقال بلهجة الغاضب .
— هناك علاج آخر .
— وما هو ؟

فصاح بملء فيه صيحة أفاق لها الاستاذ من نومه وقال :
— السوط . إن السوط لا يكلف الحكومة شيئا أما التعليم فيتطلب أموالا طائلة ولا تنسى أن الفلاح لا يدعن إلا للضرب لأنه اعتاده من المهد الى اللحد .

وأردت أن أجيب الشر كسى ولكن العمدة حفظه الله كفانى مؤونة الرد فقال للشر كسى وهو يتسم ابتسامة صفراء .

— صدقت يا بيه صدقت . ولو كنت تسكن الضياع مثلنا لقلت أكثر من ذلك . إننا نعاني مع الفلاح ما نعاني لنكبح جماحه ونمنعه عن ارتكاب الجرائم .

فنظر إليه الشر كسى نظرة ارتياب وقال :

— حضرتم تسكنون الارياض ؟

— أنا مولود بها يا بيه .

— ما شاء الله .

جرى هذا الحديث والاستاذ يغط في نومه والافندى ذو الهندام الحسن ينظر للملابسه ثم ينظر لنا ويضحك أما التلميذ فكانت تظهر على وجهه سيما الاستمزاز ولقد هم بالكلام مراراً فلم يمنعه إلا حيائه وصغره سنه . ولم أطق سكوتاً على ما فاه به الشر كسى فقلت له .

— إن الفلاح يا بيه انسان مثلنا وحرام أن لا يحسن الانسان معاملة أخيه الانسان .

فالتفت الى العمدة كأني وجهت اليه الكلام وقال :

— أنا أعلم الناس بالفلاح ولى الشرف أن أكون عمدة في بلد به ألف رجل وإن شئت أن تقف على شئون الفلاح أجيبك . أن الفلاح يا حضرة الافندى لا يفاح معه إلا الضرب ولقد صدق البك فيما قال . وأشار بيده الى الشر كسى .

فقال الشر كسى وهو يتسم إيتسامة الساخر .

— ولا ينبؤك مثل خبير .

فاستشاط التلميذ غضباً ولم يطق السكوت فقال وهو يرتجف :

— الفلاح يا حضرة العمدة

فقطاعه العمدة قائلاً

— قل « يا سعادة البك » لأنى حزت الرتبة الثانية منذ عشرين سنة

فقال التلميذ

— الفلاح يا حضرة العمدة لا يذعن لأوامركم الا بالضرب لانكم لم تعودوه غير ذلك فلو كنتم أحسنتم صنيعكم معه لسكنتم وجدتم فيه أخا يتكاتف معكم ويعاونكم وليكنكم مع الاسف أسأتم اليه فعمدا الى الاضرار بكم نخاصا من اساءتكم . وانه ليدعشنى أن تكون فلاحا وتحنى باللائمة على اخوانك الفلاحين .

فهز العمدة رأسه ونظر للشركسى وقال :

— هذه هى نتائج التعليم

فقال الشركسى :

— نام وقام فوجد نفسه قائم مقام

أما الافندى ذو الهندام الحسن فانه قهقه ضاحكا وصفق بيديه

وقال للتلميذ — برافو يا أفندى برافو برافو

فنظر اليه الشركسى وقد انتفخت أوداجه وتعسر عليه التنفس وقال :

— ومن تكون أنت ؟

— ابن الحظ والانس يا أنس .

وضحك عدة ضحكات متواليات .

فلم يبق فى قوس الشركسى منزع فصاح وهو يبصق على الارض

طورا وعلى جبة الاستاذ وعلى حذاء العمدة نارة

— أدبسىس . بس فلاح .

ثم سكت وسكت الحاضرون وأوشكت أن تهدأ العاصفة لولا
أن التفت العمدة للأستاذ وقال :

— أنت خير الحاكمين يا سيدنا فاحكم لنا في هذه القضية . فهو
الأستاذ رأسه وتخنخح وبقى على الأرض وقال :
— وما هي القضية لأحكم فيها بأذن الله جل وعلا
— هل التعليم أفيد للفلاح أم الضرب
فقال الأستاذ :

— بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، قال النبي عليه
الصلاة والسلام « لا تعلموا أولاد السفلة العلم »
وعاد الأستاذ إلى خموله وأطبق أجفانه مستسلماً للذهول . فضحك
التلميذ وهو يقول :

— حرام عليك يا أستاذ . ان بين الغنى والفقر من هو على خلق
عظيم كما أن بينهم من هو في الدرك الأسفل .
فأفاق الأستاذ من غشيته وقال :

— واحسرتاه . انكم من يوم ما تعلمتم الرطان فسدت عليكم
أخلاقكم ونسيتم أوامر دينكم ومنكم من تبيح وبني واستكبر وأنكر
وجود الخالق

فصاح الشر كسى والعمدة (لك الله يا أستاذ) وقال الشر كسى :
— كان الولد يخاف أن يأكل مع أبيه واليوم يشتمه ويهم بصفعه .
وقال العمدة :

— كان الولد لا يرى وجه عمته والآن يحالس امرأة أخيه
ووقف القطار في قلوب فقرأت الجميع السلام وغادرتهم وسرت
في طريقى الى الضيعة وأنا أكاد لا أسمع دوى القطار وصفيره وهو يعدو
بين المروج الخضراء لكثرة ما يصيح في أذنى من صدى الحديد .
(٧ يونيو سنة ١٩١٧)

عطفة (.....) منزل رقم ٢٢

دخلت غرفة عملى بوزارة (.....) وجلست أمام مكتبى وأمسكت
بجريدة وادى النيل أقرأ شيئاً عن السياسة وعن الاخبار وما لبثت فى
مكافى دقيقتين إلا وحانت منى التفاتة للباب فرأيت زميلى أمين على
يتندرنى السلام بقوله

— صباح الخير يا ابو على
فألقيت الجريدة على المكتب ورددت السلام بأحسن منه ثم تنائب
زميلى فتشاءبت وقلت

— جازاك الله يا أمين بالموت على ما بدر منك أمس لقد سقتنى
الى بؤرة كدت أن أموت فيها
— أبنا المخطئ ؟

— الله أعلم

— دعنا من العتاب . تلك ليلة لا يسمح الزمان بثلاثها الا في السنة
مرة ولولا تهافتك على الحمر وإكثارك من معاقبتها لما سألت الله أن
يجازيني بالموت على هذا الجميل الذي أسديته اليك .

— ولكنني ما زلت أشكو ألما في الرأس وثاقلا في الجسد . يا حبهذا لو
كان اليوم يوم الجمعة

— وماذا كنت تفعل ؟

كنت أتناول مسهلا وألزم سريري طول يومى

— تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن

نم جالس أمين أمانى وأمسدت رأسه بيديه ونام أو استسلم للنوم
فنظرت اليه وظهرت لى على وجهه صورة شنيعة . صورة المدمن الذي
لا يفارق الخانات والمواخير وبيوت الفسق والدعارة إلا عند الفجر فقلت
فى نفسى إن هذه الصورة المرثسة على وجهه ما زالت مرثسة على وجهى
أيضا ، إنه يحجب الحمر وأنا لا أبغضها ، هو زير نساء وأنا أبحث عن المرأة
فى كل مكان فلا فرق بينى وبينه الا أنه متزوج وأنا أعزب ولكن الفرق
ليس بالكبير لأنه لا يرى امرأته الا ست ساعات فى كل يوم يقضيها
وهو مستلق على ظهره بجوارها يغط فى نوم فامرأته فى نظره كالوسادة
فى نظرى . فنحن اذا فى مستو واحد .

وظفت فى وزارة (. . .) منذ ستة أشهر عرفت أمين فى اليوم
الأول من الشهر الأول منها واتمست بعشرته وربطتني به رابطة الاتفاق
فى المشرب لا رابطة الود والوفاء ولكنى استشعرت بمد أن قضيت معه

شهرين على صفاء ووثام برابطة الصداقة تربطني به وتربطه بي ومالبثنا ان
أصبحنا صديقين لا نفترق الا بعد منتصف الليل. كنت اشتغل معه في
الوزارة وكنت أقضي معه عصر كل يوم في سباندبار واذا دنا وقت العشاء
أكلنا سويا في مطعم أو بليسك أو مطعم أركل وكاسات الجمعة تحف
بخواتنا. ثم نقضي الليل في دار من دور التمثيل أو في بيت من البيوت المفتوحة
أبوابها للناس أجمعين ثم نرجع كل لمنزله فكنت أسير معه الى باب بيته
في عطفة (ال...) رقم ٢٢ وأسير في طريقي لمنزلي وأنا لا ألوى على أحد.
كان هذا شأنى معه وكنت مسرورا من عشرته مغتبطا بوفائه ومحبه
وظننت أنى سأبقى مستودع أسرارہ الى الأبد ولم يحدث بيننا والحمد لله
في الستة الاشهر التى مضت ما يدعو للهجر أو القطيعة .
ثم أفاق أمين من نومه وأعطانى سيكارة أشمها بعد أن أشعل أختها
لنفسه ومكثنا هنيهة نفكر ثم التفت الى وقال :

— آه من النساء

— انك ترتأى فيهن رأيا تخالف فيه سواد الناس

— أنا لا أحب الا من يرتدين الازار البلدى^(١)

— وأنا لا أكره الا هؤلاء

— يا لله جب أكره هذا الصنف من النساء ويبنهن من يستهوين

الأفئدة ويمتلكن النفوس

— انى لا أرى فى ذات الازار البلدى الا امرأة قدرة مبتذلة يأنف

منها كل ذى ذوق سليم

— أشكرك —

ثم ضحكنا والتفت الى أمين وقال :

— ان بينهن نساء ذوات حسب ونسب بخشين الفضيحة فيسترن

بهذا الازار حتى لا يعرفهن أحد من أزواجهن

— أظن ذلك ؟ —

— بل أعتقده وان شئت سردت لك حوادث وقعت لى مع أمثالهن

وابتدا فى سرد قصص كثيرة اندهشت لسماعها وظننت أن ليس

فى مصر من الاسكندرية الى اسوان امرأة عفيفة فقلت له :

— لا ثقة لى بامرأة بعد اليوم

— كل النساء خائفات وعبثا الثقة بهن

فسكت ولم أنطق ببنت شفة وماذا يريد القارىء أن أقول وصديقى

متزوج له امرأة يغار عليها وكأنه فطر لما كنت أحدث نفسى به

فقال وهو يتنسم

— ما الذى أسكتك ؟ أيدعشك أنى أرمى النساء بالخيانة وبينهن

زوجتى ؟ ولكن ارائى يا صاح فى مأمن من كل ذلك لأنهن تعيش مع أمى

وأمى من النساء اللواتى لا تفاجع بهن شدة ولا رجاء

ثم انقطع حديثنا وقام أمين لمكتبته وابتدأت أن اشتغل قليلا بعد

أن سألت الخادم أن يأتينى بفنجان قهوة

غادرت الديوان وذهبت لأتناول الغذاء في المنزل ثم خرجت عصر ذلك اليوم للقاء أمين في اسبلنددبار وانتظرته هناك نصف ساعة ثم مللت الانتظار فقامت لاثمشى في شارع بولاق فاذا به يموج بالناس من مصريين وافرنج ومنهم من يتتبع النساء ومن النساء من يدخلن حانوت شكودريل أو شملا لشراء حاجياتهن أو بحجة شراء ما تتوق اليه أنفسهن ثم وقفت أنظر لامرأة مرتدية ازاراً بلدياً وتذكرت حديث أمين في الصباح وقلت في نفسي ما ضرتني لوتبعتمها وقد اعجبني قوامها النحيل ولحظها الفاتك ووطدت العزم على ذلك وما لبثت ان نفذت ما عزمته عليه

سرت وراءها طويلاً الى أن وصلنا الى تلك الحديقة الصغيرة التي يعرفها كل من اعتاد التنزه في شارع بولاق وهناك اقتربت منها وقات لها — لقد حق لك ولى أن نستريح فعلام الاسراع ؟

فمنظرت الى ولم تجب ثم سارت في طريقها فقلت لها وقد شجعتني نظرتها — الى أين ؟ خفنى من سرعتك أيها الملاك الجميل فالتفتت الى مرة ثانية وابتسمت ثم سارت على مهل فسرت معها جنباً الى جنب وقرأتهما السلام فقالت

— علام تقتفى أثرى

— لأحظى منك بكلمة واحدة

— لقد سمعت منى عدة كلمات فدعنى وسر في طريقك

— ان طريقنا واحد

فابتسمت وقالت :

- يالك من أبله -

وتحادثنا طويلا ثم سألتها أن نذهب لمصر الجديدة فقبلت ببشاشة
وسرور ورجعنا أدراجنا الى محطة المترو. وصلنا مصر الجديدة بعد عشرين
دقيقة. ودخلنا لونا بارك وصعدنا على الجبل الروسى راكبين القطار الصغير
فكانت عسك بلايسى كلما صعد بنا القطار أو هبط. وغادرنا لونا بارك
فأظهرت لى عند بابها الميل للمودة للقاهرة فقلت لها وأنا أستعطفها
- علام هذا الاسراع والساعة لم تدق الساعة بعد. أين تنظرك
أحد فى المنزل

- كلا ان زوجى لا يتعشى فى المنزل

- فلتقضى معا اذا ساعة أخرى. وقد قضينا تلك الساعة فى مكان
يظهر أنها لم تكن تجهله ولم يكن يحملها
ورجعنا بعد ذلك وركبنا عربة كانت تنتظر بجوار قهوة البسفور
ولما وصلنا ميدان عابدين سألتنى أن أغادرها هناك فأجبته أسوأها عن
طيبة حاطر وأعطيت الحوذى عشرة قروش وودعتها بعد أن تواعدنا على
اللقاء بعد يومين

ثم تركتني وسارت فى طريقها بعد أن استخلفتني أن لا أتبعها ولما
كادت أن تغيب عن عيني قام بنفسى أن أعرف أين تسكن حتى اذا ما
أخلفت موعدها معى انتظرتها كل يوم أمام باب بيتها. ولما اقتربت منها
سألت الله أن لا تلتفت فتراى فاذا بي أراها بعد قليل تسير فى عطفة (ال...)
فدق قلبي دقات متوالية ثم وصات للمنزل رقم (٢٢) والتفت لثرى إن كان

هناك أحديتي معها ولكنها لم تتبينني في الظلام لأن الشارع لم يكن من الشوارع
المضاءة ودخلت المنزل فوقفت كالصنم لا أتحرك ثم عدت وأنا كالسفن البالي.
ياللعار لقد ارتكبت أخطاءها ثلثا ولكني لم أتعمد ارتكابها . لقد أصبحت
خليلة صاحبي خليلتي لي، ولكنها كانت خليلتي سواي من قبل

..

في الغد ذهبت للديوان وجلست بجوار أمين وتحدثنا كالعادة
وذهبتا عصرنا لسبلند بار وتناولنا المشاء في أبلينسك وقضينا ليلتنا معاً في
ماخور من مواخير العاصمة كأن لم يكن حدث شيء بالأمس .
(١٨ يونيه سنة ١٩١٧)

بيت السكرم

أميرة مجدى مشهورة في مصر بالثروة والجاه يؤمها المستغيث
ويقصدها كل ذي حاجة . توفي ربها المرحوم عبد الله بك مجدى عن ستين
عاماً قضاها — كما قالت الجرائد — في عمل الخير والبر والاحسان تاركا
ولدين يبلغ أكبرهما الثلاثين والآخر لا يتجاوز العاشرة وثلاث بنات أبنكار
لم تسعد أكبرهن بعد بالزواج .

ورث المرحوم عن أبيه ثروة طائلة تريد عن الفى فدان أضاع معظمها
حبا في الخمر وسمياً وراء النساء فلم يترك لأولاده بمسد موته الا ثلاثمائة

من الأفدنة وعشرة من الرفاق كان ينطق عليهم من حر ماله وكانوا
يقضون معه الليل والنهار ليأتس بحديثهم ويقتل الوقت معهم . وأصبح
الولد الأكبر — محمد بك مجدى — بعد وفاة أبيه رئيس أسرة مجدى
وناهيك عن قيمة هذا القلب فى أعين الرفاق العشرة بعد أن وجدوا فى
الولد خير خلف لأبيه فلقبوه بابن العز والأمانة ورب البيت الذى لم يغلغ
بابه فى وجه سائل . ولم يكن تلقى محمد بك من العلم والتربية ما يلهمه أن
يضرب بأقوالهم عرض الحائط وأوحى إليه الجو الذى نشأ فيه أن لا يجيد
عن الخطبة التى اختطها أبوه لنفسه من قبل فرحب بالرفاق وجلس بينهم
كما كان يجلس أبوه فى صدر المكان وهم حواليه يكاد يدفعهم الخشوع
والامثال الى الركوع والسجود

..

نزل محمد بك من الحرم الى الساملك وهو مرتد جلاية بيضاء
وعباة من الحرير الأبيض وكان عارى الرأس منتفخ العينين وقد نسج
السهر لىكل واحدة منهما إطاراً أحمر ألوراه طفل صغير فى رابعة النهار
لولى الأدبار خائفاً أن ينقض عليه ذلك البعيع فيهمش عظامه أو يسيل دماؤه
مشى محمد بك مشية الزهو والقيه يميل به الإعجاب بنفسه ويرنح
عطفه احتقاره للناس ، ومن مثل محمد بك على وجه البسيطة وهو الغنى
العظيم ابن الكرم والسيادة وبيته مأوى البؤساء وملجأ الفقراء . وكان
فى ذلك اليوم مقطب الوجه عابساً ساهماً وذلك لزيارة وسيط واقفه فى
العصباح يطالب بدأخته الكبرى لابن أحد البيكوات . وهل يسمح محمد

بك بذلك ولاخته حصه فيما بقي من ثراث أبيه يصرف ربهما على الحفلات اليومية التي يقيمها كل ليلة في بيته هو ورفاقه الكرام ، استغفر الله بل عبيده المخلصون . وصل محمد بك للساملك وكان الوقت مساء لأن البك لا يفيق من نومه الا في الساعة السادسة وكان من عادته النوم بعد الغداء ولما دخل غرفة الاستقبال وجد الجماعة في انتظاره وقد تهيئوا للقائه فجلس بينهم وهو تائه النظر وقد تعمد ذلك حتى لا يقال أنه يتنازل لرؤية أحدهم ثم نادى الخادم وأمره أن يجيء بزجاجات الوسكى وقام الخادم بما أمر به حق قيام وتناول كل واحد قدحه وشربوا نخب البك .

وقام أحدهم واقفاً وهو شيخ سكير يناهز الستين كان كاتباً بوزارة (ال...) وأحيل على المعاش ولم يساعده معاشه على اقتناء الخمر والقيام بأود أسرته فالتجأ لمحمد بك وليس شيء أحب لنفس محمد بك من أن يلتجأ اليه من يظهر التفاني في محبته والخضوع لأرائه والحاجة العظمى لماله وطعامه وكان ذلك الشيخ من أصحاب النكات الطريفة المستمجة يترقب الفرص حتى اذا حانت أرسل النكتة من فيه فتقع في قلب منظره كما يقع السهم الصائب في ثنايا الصدر ولم يكن في تلك الحاشية التي جمعها يد المنكر والفساد رجل يحب الآخر فكلهم متنافرو المشارب مختلفو الآمال ولم يتحدوا الا على كسب أموال البك حالاً كان ذلك الكسب أم حراماً . قام ذلك الشيخ وقال للبك !

— سيدى وولى نعمتى هل لديك الشريفة أن تتناول الكمنجة . . .

ولم يحمله البك أن يتم قوله فنهزه قائلاً

- كفى مجوناً وهزراً -

اندهش الرفاق لما فاه به البك لاعتقادهم أن البك يجب من يتغنى
بشهرته الواسعة في الكمنجة . اندهش الجميع وسكتوا ولكن شيخنا
السكبر لم يندهش ولم يسكت بل ابتسم ابتسام الفائز وقال وفي صوته
رنة الرجاء والاستعطاف

- الناس لا تشك في هزري ومجونى وهم أيضاً لا يشكون في
نبوغك وعبقريتك فهل لسيدي أن يتنازل ويشنف آذان عبيده
ونظر البك للسماء ماداً يده لوجهة الشيخ
فتعطن صاحبنا لما يدور في خلد البك فمشى على أطراف أصابعه الى
أن وصل لتلك اليد الشريفة وتناولها في يده وقبلها مراراً وهو يرجو
ويستعطف

فقبل البك رجاءه وشنف آذان رفاقه ولم يكن حفظه الله حائلاً على
عبيده ولكنه كان ممن اذارجاهم أحد ودوا لو كرر الرجاء رات عديدة . وبينما
كان البك يشنف آذان رفاقه دخل عليهم رفيق آخر هلالوا لقدمومه وصفقوا
ولكن البك عبس في وجهه وصاحفه مصاحفة جفاء وغضب فانقلب نهال
الجماعة الى نفور وازدراء واستمر البك يضرب الكمنجة ورؤوس الرفاق
تميل طرباً الى أن انتهى فالتقى بها على الخوان ونظر للتقدم نظرة تجسم فيها
البغض وقال :

- ما هذا الجفاء يا سمادة الباشا -

فابتسم الحضور لتقريع البك وسكت الرجل فقال البك

— علام السكوت ؟ أين كنت ؟ وعلام تأخرت ؟

— كانت امرأتى تلد

— لقد وضعت بأذن الشيطان كلباً

فقهقه الحضور وتمايلوا بأجسامهم وكانوا يضحكون ارضاء للبك وليس شيء أقبح من وجه من يتضحك ولكن البك كان يتغافل عن كل ذلك تغفيلاً لنفسه . وأقسم الرجل ثلاثاً على صحة دعواه فقال البك — انك تكذب . أنت تذكر النعمة التي أسبغناها عليك

— حاشا لله أن أكون ذلك الرجل

— صه . اياك والكلام . انى أعرف أين كنت أمس

وسكت الرجل وهو برىء لم يرتكب أثماً . وهل فى ذهابه لبيت ابن عم البك مرة فى الشهر اثم كبير ؟ ولكن البك كان من الاغنياء الذين تشبه أخلاقهم أخلاق النساء فتراثهم يغيرون اذا ما التجأ أحد حاشيتهم مرة فى حياته الى أحد سواهم

وقام الرجل المسكين وقبل أقدام سيده ومولاه فصفح عنه بعد أن فرض عليه جزية تقبلها الرجل شاكراً وهى أن يقوم هذا البائس ويقبل أيدى الرفاق أجمعين ثلاثاً بعد أن يصفعه كل واحد منهم مرة وكيف لا يقبل ذلك الرجل الفقير ذلك وقد وضعت امرأته بالأمس طفلها السادس

ودارت الكؤوس مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة ثم قاموا جميعاً وتناولوا العشاء وعادوا للراحة فى غرفة الاستقبال ولبثوا سكوتاً ومنهم

من أسند رأسه على كتف صاحبه مستلما للسكري ومنهم من اتهمز
الفرصة وتناول كأسا من الوسكى دون أن يراه أحد ومنهم من جلس
يفكر في حيلة يضجك بها البك لينال رضاه أما البك فحفظه الله فكان
كالميت لا يعي شيئا وهذا حال كل رجل يدين الجسد اذا أكل ولم يحاذر
في أكله

ثم أفاق البك ونادى أحد الرفاق وكان فتى في مقتبل العمر جميل
الصورة أهيف القيد اذا مشى تتنى كما يتنى الغصن وقد لعب به النسيم
وكان البك يميل لمحدثته على انفراد لعدوية الفاظه ورقة حديثه فكان لا
يصبر على فراقه دقيقة واحدة ولهذا أسكنه البك في غرفة من الساملك
حتى اذا احتاج لرؤيته لا يابث أن يراه
ناداه البك قائلا

— أين عودك يا صديقى . أمسك به وشنف آذاننا جميعا فتناول
الفتى العود وابتدأ في الضرب وغنى لحنا تناول البك عند سماعه السك منجبة
واشترك في الضرب والغناء معه وقام الرفاق يرقصون حتى اذا اعيانهم
الرقص جلسوا وهم يصفقون ويميلون طربا كأنهم يسمعون عبده أو عثمان
وعند انتهاء الغناء دخل على الجماعة رجل يبلغ الخامسة والاربعين يابس
منظارا أسود يحجب عن الناس ما في عينيه من شر وحسد وحقد وسلم
على الجميع بعد أن قبل يد البك وقام البك واقفا لرؤيته وعانقه والرفاق
في دهشة وكيف لا يدهشون والقادم صعلوك من حكم عليهم قديما بالحبس
للتزوير والاختلاس وجلس الرجل يحوار البك وأمر اليه كلمات ابتسم

لها البك وتهلت أسارير وجهه ولما رآه الرفاق يسر للبك شيئا ابتعدوا
قليلا فقال الرجل لسيده

— قد انتهى كل شيء

— كم في المائة

— ثلاثون

— بورك فيك

وعاد البك للغناء والضرب على السك. منجبة والرفاق للرقص والتصفيق

..

لم يكن هذا الزائر الجديد الا رسول الباك المرابين لرهن مائة فدان
هى البقية الباقية من تراث آبائه وهل يتسنى لمن كان يمتلك ثلاثمائة فدان
أن يعتاد هذا البذخ وهذا الاسراف على جماعة يستأجرهم لتقبيل يده
والتغنى بكرمه وجوده دون أن يرهن ما عنده ليفقده صفقة خاسرة

وهب بعد قليل نسيم عليل ارتاحت له نفس الباك فقال وهو يتسم

— لو من الله على بألفى جنيهه لكنت أشتري بها منزلا فى رمل

الاسكندرية لأقضى فيه فصل الصيف من كل عام .

وتنهى الباك آسف على ذلك المنزل الجميل فقال أحد الرفاق

— لا تيأس يا سعادة الباك من رحمة الله سوف يمن الله عليك

بما تريد

ولم تقع هذه الجملة موقعا حسنا عند الباك فغلى الدم فى عروقه وقطب

وجهه استياء أثم صاح

— يا لك من غر أحق . عين الله على ؟ أنظن أنى فقير أيها المحزون
وحق للبك أن يغضب هذا الغضب الكبير وهو الذى يغيب الفقراء
وبحسب الضمفاء فقام اليه الزائر الجديد ذو المنظار الاسود وحاول أن يزيل
غضبه ولكن البك لم يقتنع بشيء ، وكاد أن يهجم بضرب من انهمه بالفقر
والاحتياج لمعونة الله وعزز الرفاق سيدهم وسقط الرجل فى يده وخرج
من الغرفة وهو يتعثر فى أثواب خيته وجلس البك وهو يرغب ويزبد
ثم تناقص غضبه شيئاً فشيئاً الى أن زال وعاد الجمع للمزف والغناء والرقص
ودارت السكؤوس ولعبت الحمر بالرؤوس فكنت أسمع فى الغرفة النكات
تتلو النكات والشتائم تتبع الشتائم الى أن تملك التعب على القوم تقوسهم
فاستسلموا اليه وسقط بعضهم على الأرض لا حراك به واستأذن من تبقى
له شيء من قوته تحمله الى بيته الى أن خلا المسكان إلا من النائمين وكان
البك ملقى على مقعد ويجواره الزائر ذو المنظار الاسود يفتش فى جيوبه
ولما انتهى من عمله نادى ادريس البربرى ليحمل مبيده الى الحريم

فرغ صديقى من قصته فالتفت الى وهو يقول

— ماذا تقول فى هذه القصة ؟

فتنهدت وقالت

صدق من قال ان شبان مصر الاغنياء لا يعرفون للضجر معنى

فأكرمهم وأنعم

— هذا طريق واحد من عدة طرق يسلكها هؤلاء الاغنياء لقتل

وقتهم وضياع ثروتهم

— وهل هناك طرق أخرى؟

— هيا بنا نخرج لاستنشاق الهواء في الجزيرة وهناك أقص عليك

حصة أخرى فخرجت معه وكلى آذان مصغية لحديثه

(٢ اغسطس سنة ١٩١٧)

حفلة طرب

كنت شغوفاً بالكونسير أيام كنت في باريس لا تفوتني من لياليه
لبلة تجمع بين الأناشيد الشجية والألحان الفكاهية والوجود الواضحة
والقدود المأثمة والعيون الضعيفة القاتلة . هناك كنت أمتع عيني بالجمال
الذي صاغته يد الخالق في وجوه الحسان واملأ قلبي لذة يمازجها الطهر
وأذني ألحانا جميلة ينفسح لها الصدر .

..

أيام مضت كما يمر الحلم العذب برأس النائم والآن أنا بمصر محروم
من تلك الجباه المشرقة والوجوه الالامعة والغرر المتألقة والألحان الشجية
الجميلة وما أخرجني الى رؤية شيء منها ان لم يماثلها جمالا وحسنا فلا أقل
من أن يكون باعثا من باعث الذكرى تهيج في قلبي نارا كاد أن يطفىء
أوارها النسيان

جلست أمس في مجلس جمع من الاخوان من كانت تتوق النفس

للقائه ويتأجج الصدر عطشا لرؤيته وكان بينهم صديق لم تره عيني منذ
سنين فكنت أجاذبه أطراف الحديث وكلى آذان صاغية له وابتنائنا تحدث
الى أن أخرج ساعة من جيبي ونظر فيها مليا ثم قال .

— هيا بنا . لقد دنا الميعاد

— فقلت وأى ميعاد

— أنا على موعد مع أحد الأصدقاء لسماع مغنية جديدة فهل لك
في مرافقتي ؟ فأجبت لمطلوبه واستاذنا الجماعة ومشيت معه جنبا لجنب
وصلنا الى القهوة ووجدنا على بابها شابا ينتظر ، قدمته الى صديقي ،
فابتدرونا بقوله :

— انرجع أدراجنا الى منازلنا

— فقال صديقي وعلام

— أن السيدة (. . .) لا تغنى هذه الليلة

وحانت منى التفاتة الى القهوة فقلت :

— ولكنى أرى سيدة جالسة على (التخت)

فقال الشاب

— يا للعجب لقد تأخرت إذا عن ميعادها ربع ساعة .

فقلت لنفسى وأنا أبتسم (يا للعجب أول القصيدة كفر) وابتعنا
تذاكرنا ودخلنا القهوة ونحن نتسابق لسماع المغنية وأخذنا نجالسنا بين
الجمهور وجالسنا وكان على رؤوسنا الطير

القهوة فسيحة الأرجاء جمعت من شتات الناس المطربش والمعم

ولابس الجلاية الزرقاء جماعة مختلفي المشارب خارج القهوة متجدي
الأميال فيها تعوزهم ريشة المصور ترسم للناس الصور المضحكة المبكية
التي تبدو على وجوههم. ثم نظرت لجماعة المغنيين وضحكت حتى كدت أن
ألفت أنظار الناس لولا اندفاعهم لرؤية وجه المغنية الفاتنة التي كانت
تبسم للجميع وتحيمهم أجمل تحية.

المغنى الاول شاب أسود البشرة يظهر لى أنه من أم زنجية وأب
مصرى أو أنه نوبى من أهل أسوان أو عامل من عمال الغابر فى مصر
له أنف طويل يكاد يلتطم مع شفته اليسرى وعينان سوداوان بهما جمال
عبثت به يد السهر والخمر وشارب قصير كرىش فرشة تنظيف الأسنان ،
وكان مرتديا بدلة بيضاء وبها بقع سوداء فما أقرب شكله لشكل الفرس
الأبلق .

والثانى رجل مغلق الأجفان يجهد فى فتحهما كلما دعتة الحالة فتعييه
الحيلة ، له فم اذا فغره خلته بثرأواذان كبيرتان وذقن طويلة تهتز مع رأسه
كلما أنشد كأنها تسأل الناس المعونة والأجر فما أشبهه بحلاق من جهة
سيدنا الحسين أصيب بالعمى فجاء ليرتق فى قهوة عمومية

أما الثالث فكان رجلا مرتديا جلاية بيضاء وحزاما من
المناديل الحمراء الكبيرة وجبة زرقاء وطر بوشامن غير (خوصة) لم يخلق
لحيته منذ أيام فظهرت شعورها فى وجهه كما يظهر النجيل فى الارض
القحلاء وكان اذا أنشد أخذ فيه شكلا هندسيا يشبه المعين اذا نظرت
اليه ظننت أنه منجد ملك عنانه حب الغناء فأنى الى القهوة ليشنف آذانه

ودفعه ذلك الميل العريزي لا متطاء الدكة المعدة المغنيتين فجلس عليها يساعد الجماعة على إخراج الأغاني صحيحة خالية من العيوب

أما الرابع فهو شاب نحيف الجسد أسمر اللون لا تفارق عيناه أديم الأرض ولعله من المصايين بداء الحياء الشديد ولهذا لم يتيسر لى أن أتفرس فى ملامح وجهه لأصفها للقراء . فهو رجل كما تقول العامة فى (حاله) ولهذا ندعه فى حاله

أما الخامس فهو شيخ أحنث الأيام ظهره فأصبح كالقوس يداعب المغنية من وقت لا آخر ولا أدري لماذا ؟ له طربوش تظهر منه شعور كتلك الشعور التى أبقتها يد التحنيط على رؤوس الجلثت المحنطة فى دار الآثار المصرية مرتديا بدلة بحار فمكر الناظر أمامها فمن قائل أنها بدلة عادية ومن قائل أنها رديجوت قصيرة ومن قائل أنها من نوع جديد سوف يحدو على منواله كل حائك فى مصر فلا تلبث أن تصبح الموضة المصرية الجديدة بعد أن انقطعت عنا فى أيام الحرب موضة باريس . وهو أشبه الناس بكتاب الدوائر الكبيرة .

وأما حامل العود فهو رجل بدين الجسد له وجه منتفخ تفارفيه عيناه البراقان تظهر عليه بعض مخايل الوجاهة ولا أدري لماذا ؟ ولعل ذلك لأنه حامل العود والعود سلطان الآلات الغنائية . وأما حامل القانون فهو شاب جميل الصورة أسمر اللون حسن الهندام يظهر عليه أنه كان غنيا ثم أناخ عليه الدهر بكامله إذا لمست يده أوتار القانون اهتز جسده بأجمعه مع

اهتزاز النغمات وتقلصت شفثاه وتقطب وجهه فكانه يبكي أيامه الماضية
وثروته الضائعة

وأما حامل السكمنة فموشاب في ريعان الشباب أصفر الوجه له
شارب طويل يرتفع طرفه الأيمن الى أعلا وينخفض طرفه الأيسر الى
أسفل له وجه ليس فيه شيء من التناسب بين طوله وعرضه وجهة خليقة
بأن تكتب عليها بالثلث عناوين الادوار فما أشبهه بمجردي بعض
الجرائد في مصر

أما الأخير فهو يافع لا أدري لماذا أنوابه ، يذكرني بيافع آخر كان يمر
على قهاوى العاصمة ليبيع السجائر (الفتزية) التي اذا أشعلتها طار منها
شعاع يخيف الاطفال الصغار

أما المغنية فهي امرأة ذات جمال اغريقى في نحو الثانية والثلاثين
من عمرها قصيرة القامة نحيلة الخصر وضاحية الطلعة سافرة الوجه مرتدية
ملءة سوداء تصل أطرافها الى ركبتها فتزيدها رقة وحسناً لها فم جميل
لا تفارقه الابتسامة فكانما تتساقط منه زهور النرجس والورد ولها شففتان
تتعدد أشكالهما كلما غنت فتارة تظهر عليهما صورة الاستعطاف وطوراً
صورة الاعراض وأنا صورة الحنو والامتنال وآونة صورة التيه والاعجاب.
تغنى ثم تضحك ، وتضحك ثم تغنى ، وتبتسم وتخجل ولا أدري لماذا تخجل
ولماذا تبتسم ولماذا تضحك وان كنت اعرف لماذا تغنى !

ويخجل لى انها اذا خلعت ازارها الاسود وجلست لتحدثك خارج

القهوة وهي جادة في قولها يذهب عن وجهها ذلك الجمال الساحر والدلال
القاتل . يشفع ابتسامها الجميل في ضعف صوتها

...

انتهى الغناء وخرجت مع صاحبتي فسمعت عند باب القهوة رجلاً يقول
— هذا غناء يخفله ضحكك وابتسام

فقلت في نفسي

— لقد أخطأت يا صاح هذا ضحكك وابتسام يخفله غناء
(أغسطس سنة ١٩١٧)

صفارة العيد

المطفة التي تكلم عنها طويلة ضيقة خالية من الارصفة تبدي
بحائط سميك وتنتهي عند الشارع الكبير ، حيث ترى على يمينها قصرأ
خفياً يخاله الناظر مسجناً أعد للمجرمين وعلى شملها قبرا شيخ وهي تقف
أمامه الرجال والنساء يقرأون الفاتحة وهم ينظرون للسماء نظرة رجاء وابتهاال
ثم يسحون وجوههم بأيديهم ليتم الله نعمته عليهم . وإذا سرت فيها فياغت
منتصفها وجدت (أم مليم) بائعة الطعمية والساطة والسكرات جالسة
القر فضاء أمام حانوتها المكون من قفص تعرض عليه ما تبيعه لسائق عربية
السكر ولابن السبيل والفاعل . وإذا اقتربت من بدايتها أي من الحائط

السميك الذي يقف في وجه المارة لينعمهم من المسير وجدت شجرة كبيرة
يتفنى ظلها كل من تعب وتلك الانضاء . أما اذا أسرع في سيرك
خشيت أن تعثر في هاوية صغيرة أو تل لا يزيد ارتفاعه عن عشرة
سنتيمترات أو في القاذورات التي تلتقي بها أيدي المارة بلا خوف ولا حذر .
أما القصر فهو لأحد البشوات الذين أبوا أن يهجروا الحى الذى نشأ
فيه أجدادهم . وهو قصر كما قلنا عظيم يجلس على باب الخصى واضعاً رجلاً
على رجل وممسكاً بسبحة يستعين بها على قتل الوقت حتى لا يشعر بسأم
ولاملل . وهو شيخ في الخامسة والخمسين من عمره له شفاة تشبه قطع
(البفتيك) التى تقدم لك في مطاعم العاصمة وعينان يزداد احمرارهما كلما
(أخذته الجلالة) فنطق باسم الله العظيم وأنف أفطس كأنه ضفدعة وجدت
في وجه الخصى منبتاً حسناً . وكان طويل القامة ضخم الجثة اذا مشى اهتز
كما يهتز الفيل

..

نحن في اليوم الأول من أيام العيد والناس في هرج ومرج والاطفال
يلعبون في الشارع وقد أمسكوا بالأعيهم وارتدوا ملابسهم الجديدة
وتساوروا وهم يضحكون ويقفزون . والآباء انشروحت صدورهم ومشوا
في الشارع وهم يقولون بعضهم لبعض (كل عام وأنتم بخير) . وكان بين
الأطفال طفل نحيل الجسم أصفر الوجه ينظر لرفقائه نظرة تعبر عن غبطة
لهم وعن رثائه لنفسه لحرمانه من سرورهم وسعادتهم . وكان خجولاً من
لباسه القذر وأقدامه الخافية . يقف بجوارهم ثم يضع يديه خلف ظهره

ويبتسم كأنه يسألهم السماح له بمشاركته أيام سرور العيد وليس في ذلك
بأس عليهم وهو طفل مشاهم يبكي إذا ألم به ضر ويضحك إن نال ما تصبو
إليه نفسه وأتى له أن ينال بغنيته وهو يتيم توفيت أمه بعد ولادته بخمس
سنوات ومات أبوه بعد وفاتها بعامين فعاله عمه وأين حنوز زوجة العم من
حنوز الام . مشى الاطفال الهويناء ثم غادروا العطفة وتواعدوا على العدو
في الشارع الكبير وجروا فيه أشواطاً عديدة فسقط أحدهم على الارض
فأسرع إليه رفقاؤه وهم يضحكون كما تغرد العصافير وعاونوه على النهوض
من سقطته فقام وهو كالح الوجه كاسف البال وقد جال الدمع في عينيه واسكنه
لم ينس أن اليوم عيد وأن البكاء محرم فيه وأن السرور فرض فما لبث أن
نسى سقطته وتناسى آلامه وجرى خلفهم الى حيث كانوا يقصدون . أما
اليتيم فلم ينس آلام نفسه تلك الآلام القاتلة التي كانت تدب في جسمه
فتطفئ نوره وتذهب بجماله وروائه .

ثم غادر الاطفال الشارع الكبير ومشوا في العطفة وهم يضحكون
وينشدون الاناشيد الصبائية الى أن وصلوا للشجرة الكبيرة وهناك
صاح أحدهم :

— لقد ابتعدنا عن الشارع الكبير وهناك نمر الباعة فهيا بنا نعود
من حيث أتينا وتسابقوا وقد علا صياحهم في الفضاء

..

ومرت في الشارع الكبير في تلك الساعة عربة كازو وقد ركب
عليها سائقها وهو شاب يشبه جسمه المكعب له رأس لها أربع أركان

يشبه مسطحها المربع . ألهب السائق جواده وهو يغنى أنشودة بلدية جميلة (أسمر سمر مر صغير السن لوعنى) ولما اقترب من الخصى قرأه السلام بصوت جهورى فرد عليه الخصى السلام من أطراف شفثيه وهز رأسه كأنه يأسف على تدهور أخلاق السوقة . وعادت الاطفال فى تلك الساعة من الشارع الكبير الى العطفة وهى ماجأهم الوحيد وفى يد كل واحد منهم صفارة اشتراها من بائع يحول فى الطرق . وابتدأوا ينفخون فى صفايرهم ويغنون وتلك لعمري موسيقى تبعث السرور فى القلوب وإن كانت غير شجية لتنافر نغماتها . وقف اليتيم معهم وقد أشجته تلك الموسيقى الجميلة واقترب من رفقاءه وهم يرقصون ثم رقص معهم اذ لم يكن فى وسعه أن يفعل غير ذلك . فنظر إليه أكبرهم سناً وقال له بملء فيه :

— أين رداؤك الجديد يا على ؟

فلم يجب اليتيم وضحك الآخرون .

وقال نان : — أين صفارتك أيها الصديق ؟

وقال ثالث : — كفاكم رقصاً ولنصفر جميعنا . ليرقص من ليست

معه صفارة

ولسكن اليتيم لم يكف عن الرقص وقد عزّ عليه أن لا يترنح معهم وضرب صفحاً عما سمعه كأن لم يعرض به أحد .

وفى تلك الساعة مر استاذ قصير القامة طويل اللحية يسير الهويناً فى طريقه وهو يداعب لحيته بيده اليسرى ومسبجته بيده اليمنى . فهرعت الأبناء للقاءه وهم الخصى واقفاً ثم مشى وقبل يده بينما كان الآخرون

يقبلون أطراف جيبته . أما الشيخ فهو رئيس الطريقة النيشيندية وهي
طريقة تختم على أشياءها أن يذكر كل واحد منهم لفظ الجلالة مرة في
كل عشرة دقائق . توفي شيخها القديم منذ خمائة سنة بعد أن نقشت
التقوى على صدره اسم الجلالة ولهذا سميت طريقته باسم النيشيندية .
ثم مر بأنت الحلوى فهرعت إليه الأطفال وجري معهم اليتم ولكنه
كان في مؤخرتهم فمد إليه أحدهم قطعة من الحلوى قائلاً

— خذ

فأشار على برأسه رافضاً واستكبر الآخر منه ذلك فألقى بقطعة
الحلوى على الأرض فالتقطها اليتم وأعطاهم لكتاب جائع كان يبصص
له بدينه . وغادر اليتم رفيقه وقد ارتسمت على وجهه صورة البؤس ممزوجة
بصورة عزة النفس وخلق برفقائه وهو وحيد القلب وإن كان كثير الرفقاء
أما رفيقه الذي أعطاه قطعة الحلوى فقد مشى وهو يمزك كتفيه ويصر خده
أنفة واستكباراً .

ثم حانت الفتاة من الأطفال إلى الشارع الكبير فوجدوا محموداً
(الفتوة) قادماً عابهم فصاحوا جميعاً (محمود السبع حضر - محمود السبع
حضر) وصفتوا بأيديهم فأتسم لهم محمود وكان (فتوة) عطفتهم وسار
في طريقته على مهل ساحباً أذيال الخيلاء وملوحاً بعصاته في الهواء كما يلوح
الفارس بسيفه وكان ضخم الجثة قوى العضلات له في المشاجرات القسط
الأوفر والفوز الأكبر مشهور بين فتوات العطفات الأخرى ولذا لقب
(بمحمود السبع)

نظر اليه الخصى نظرة امتهان وامتعاض ففقهه محمود ضاحكا حتى
استلقت انظار المارة وبصق الخصى على الأرض وكان هذا اكبر مجهود
يقدر على فعله لاهانة محمود ثم صاح أحد الاطفال

— المصارعة المصارعة خير مما تفعل ومن يتفوق على نظيره يأخذ
صفارته مكافأة له على قوته وشجاعته

فقال آخر : — وليكن محمود السبع حكما بيننا

فقال محمود : — بلا شك

وقال رابع : — وليكن عليا (اليتيم) لا يملك صفارة .

فصاح الطفل الذي رمى لعل بقطعة الحلوى

— سأصارعه فان تفوق على أعطيته صفارتي وان تفوقت عليه

صفعته على وجهه امام الجميع

فصفق الاطفال استحسانا وقطب على وجهه وشمروا عن ساعده

فكنت ترى عند التحام جسمه بجسم رفيقه صورة غريبة على وجه كل

واحد منهما . الاول يدافع عن صفارته والثاني يدافع عن شرفه والفرق

بين الصفارة والشرف كبير وتغلب على رفيقه وألقى به على الأرض

وهو ممسك بتلابيبه وفرق بينهما الرفاق فقام على وهو رافع الرأس

وقال : — أين الصفارة ؟

فقال محمود السبع للمغلوب : — اعطه الصفارة ثم أدار وجهه عن الاطفال

وذهب للقاء صاحب له . فأخرج المغلوب صفارته من جيبه بعد تردد

ومد يده بها الى عدوه فأخذها على ووضعها في فمه كما يضع الظمان حافة

الكأس المثلج بين شفقيه وكأنه امتلاك العالم بأجمعه . وما لبث قليلا حتى ضحك الحاضرون ضحكة استهزاء وسخرية وكيف لا يهزؤون به ولا يسخرون منه وهو ينفخ في صفارة لم يشتريها بماله فألقى على بالصفارة في وجوههم وسار على مهل وهم يصفقون خلفه . وابتعد عنهم فلم يشاؤوا أن يتبعوه خشية أن يفارقوا نهاية العطقة حيث يكثر الباعة فصار اليتيم الهوينى إلى أن وصل للشجرة الكبيرة . وهناك وقف هنيهة كأنه يفكر ثم جلس في ظل الشجرة وقد أسند ظهره إلى ساقها ونظر جهة اليمين وجهة الشمال فوجد العطقة قفرة كقلبه فوضع رأسه بين يديه وبكى وهو يقول :

(أماد . أماد . أبتاه) بينما كانت الأطفال تغنى في الشارع الكبير

...

ثم أفاق بعد هنيهة فوجد الكلب الذى ألقى بقطعة الخاوى إليه جالسا عند رأسه يلحس دموعه بإسانه الغامى .

(أغسطس سنة ١٩١٧)

ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟

(هذه القصة لموبسان الكاتب الفرنسى الشهير بـدُلّ المغرب
أشخاصها وزمانها ومكانها وموضوعها ممصراً كل شئ فيها فلم يبق من
الأصل إلا روح الكاتب واتباع المغرب فى ذلك خطة تولستوى فى
قصصه التى نقلها عن موبسان)

٠٠٠

محمد بك عبد القادر رجل فى الخامسة والخمسين من عمره أقنى
الأنف أسود العينين مقرون الحاجبين يقص شاربه ويعفو عن لحيته ،
إن مشى يسير الهويناء وإن جلس يتربع على كرسيه بعد أن يخلع خفيه ،
يرتدى الرديجوت ولا يحب سواها من الملابس الافرنجية لأنها أقربها
شكلاً لمظاهر الصلاح والتقوى . مسلم فى كل أقواله وأفعاله يذب عن
الدين كلما تعرض له ، لمجد لا يتقى الله فى دينه ولا دنياه ، ويدافع عن
حجاب المرأة فى كل مجلس يتناقش فيه أصحاب مذهب السفور مع
المحافظين على العوائد والتقاليد القديمة . وإن رأى شاباً جالساً فى حان
يتعاطى كأساً من الخمر وقف فى مكانه كالصعوق ثم بصق على الأرض
ومشى فى سبيله وهو يترتل آيات القرآن . له فى بنك الكريدى ايونيه
عشرون ألفاً من الأصفر الزنات لا يتعاطى عنها فائدة متبعاً قوله تعالى
(وأحل الله البيع وحرم الربا) .

يسكن محمد بك فى قصر جميل على ضفاف النيل نحو طه حديقة

غناء تمايل أشجارها كلما داعبها النسيم وتسمع فيها موسيقى الطيور
ممزوجة بالحن أمواج النيل . تلك موسيقى جميلة هادئة كأنها صوت
الحب في آذان العاشق اليأس . وإذا ظهر الشفق خلف المنخيل وارتدت
السماء ثوبها الأحمر قبيل الغروب خيل لناظر أن هذا الأحمر هو
دموع الليل يودع النهار . وإذا بزغ القمر في القبة الزرقاء في ليلة من ليالي
الصيف ود صاحب البيت أن لا يفارق الحديقة حتى مطلع الفجر . هذا هناء
كبير جاد به الله على هذا الشيخ الصالح مكافأة له على عبادته وصلاحه .
فهو به قرير العين مثلوج الفؤاد تلوح عليه أريج السور كلما ذكر الله
ويلمع في غرته نور البشر كلما صلى على نبيه .

لم يرزق محمد بك عيد القادر إلا بفتاة جميلة الصورة حلوة الحديث
غضة العينين كأنها نرجسة جميلة في حديقة الشعر لا يتقف أمامها إلا
كل شاعر كبير الخيال بديع التصوير ولقد بلغت تلك الفتاة العشرين
منذ عدة أيام وفكر أبوها كثيراً في أمر زواجها وحادث زوجته في هذا
الشأن مراراً وعددها أسماء كثير من الشبان الأغنياء المتعلمين الذين
يتطعمون لهذا الزواج المبارك . واتفقا على شاب وجد في صالتهما
المنشودة وحادثت الأم ابنتها عنه فأبدت البنت نفوراً من ذلك الشاب
فأخبرت الأم زوجها بما كان بينها وبين ابنتها فاستاءت تلك النتيجة ولكنه
إختار شاباً آخر لم ترفضه الفتاة بل رفضت الزواج كلية . وعز على أبيها
ذلك الرفض وقامت بنفسه قيامة عصيان البنت لأمر أبيها فهددها ما
شاء وشاء تمصبه وتفانيه في حب كل عقيدة قديمة صالحة كانت أو

فسدة . وأصر على زواج ابنته بالقتى الاول وأبلغها ذلك الحكم الصارم
بشدة لم تعهد لها فيه من قبل قابلتها بالصمت والبكاء

..

لم يرق في عين الأم أن ترى ابنتها تبكى وتنوح وهالها أن يذو الفرائش
عن جسم تلك الفتاة الخروء وأن يطيش سمها ويخيب رجائها وتقف
أمالها على شفا اليأس . خات الأم بابنتها في صبيحة يوم من الأيام بعد
أن خرج والدها للقاء أحد أصحابه وحادثتها في شأن زواجها بعد أن أقسمت
لها أنها ستكون ساعدها الأقوى وعضدها أمام تعسف أبيها وظلمه فبكت
الفتاة وأنت وجئت أمام أمها تسألها الرحمة والمعونة .

علام تبكى هذه الفتاة ؟ ولماذا تستعطف ؟ وأى باعث يهيج في قلبها
تلك النار السكامنة ؟ كل فتاة تحب الزواج وتبحث عن شاب جميل وغنى
والشباب الذى انتخبه لها أبوها حسن الأخلاق كريم العنصر باذخ الشرف
منيع الساحة جميل الصورة كثير المال فلماذا تأبى الزواج به ؟ لعل في
الامر سر آخر !

هذما كانت تقوله الام لنفسها وهى تمسح دموع ابنتها ولما هدأت
الفتاة قليلا قالت لها بصوت تمازجه الشفقة والحنو . « إني أعدك يا ابنتي
أن لا تتزوجى هذا الشاب بل أعدك أن تتزوجى الشاب الذى تصبو له
نفسك . فمن يكون هذا الشاب ! »

فنكست الفتاة رأسها وابتسمت ابتسامة باحت لا يبررها الدفين
فقبلتها أمها وقالت (ومن هو ؟) فلازمت الفتاة الصمت وأندت رأسها

على كتف أمها ولم تشأ الأم أن ترهق الفتاة بالسئلة فاكتمت
بما عرفت .

..

وعاد محمد بك الى منزله وخت به زوجته ورجسه أن يؤخر هذا
الزواج المشؤوم فأصر على عناده فلم تجدد الأم باباً من أبواب الرجاء
والاستعطاف الا وولجته ولكن البك عز عليه أن يقهر في هذا الميدان
وقد جهل أن خذلانه أكثر شرفاً من انتصاره . ونظر الى زوجته وقال
— لعليها تهوى فتى تود الاقتران به

فقات الأم وهي غاضبة

— واذا كان الأمر كذلك فأى ضرر يلحق بنا

— أى ضرر يلحق بنا ! انك تلعبين بالنار أيها المرأة . انى أحرم
على هذه الفتاة ترى نور السماء . سوف أعمل على سجنها وسوف تعيش
راهبة ما دمت حياً .

وخرج من الغرفة وهو كالمجنون ونادى فتاته فأنتبهت مليية طائفة
فابتدروها بالشتم والسباب وكاد أن يضربها لولا وقوف زوجته في وجهه .
وغادر البك المنزل وهو هائم على وجهه .

..

مضى على هذا الحادث شهران لم يحدث فيها شئ جديد . وخيم
السكون على هذا المنزل فكان اليك هادئاً ساكناً لا يلفظ بكلمة تشير
للموضوع القديم ولكن نار الغيظ كانت تتأجج في قلبه وكانت زوجته

هادئة ساكنة أيضاً ولكنها كانت تتألم خفية لآلام ابتتها . أما الفتاة فكانت تبكي آناء ليلها وأطراف نهارها وتتوجع سرّاً دون أن تبوح لأحد بآلامها . لقد كان لها بارق من المني كذب برقه وعارض من الآمال أخاف ودقه فسلام على ماضى هناها وسلام على رجائها وآمالها

وفي ذات ليلة تعشى البك كعادته وشرب فنجانين من القهوة ثم دخن سيجارة وبدأ في صلاة العشاء ولم يفارق سجاداته الا بعد ساعتين قرأ فيهما أربعين ورداً ثم قام وتمشى في المنزل قليلاً ودخل غرفة نومه لينام وحاول النوم ساعة من الزمان فلم يفلح فخرج الى الحديقة دون أن يعلم بخروجه أحد .

تمشى البك في الحديقة ونظر الى السماء نظرة ابتهال وخضوع فوجد القمر لامع الصفحة والنجوم زاهية فقال مخاطباً ربه (ربى لمن خلقت هذا النسيم ؟) ثم نظر للأشجار فوجدها تمايل يمنة ويسرة وقد هبّ نسيم عليل يحمل اليه شذى الورد وعبق الياسمين فقال مخاطباً ربه (ربى لمن خلقت هذا النسيم ؟) ونظر للنهر فوجد أشعة القمر الفضية تلاعب أمواج النيل ورأى قارباً يحمل قوماً يغنون ويضحكون وسمع في تلك الآونة نشيد طائر يغنى في جوف الليل البهيم فقال مخاطباً ربه (ربى لمن خلقت هذا النسيم ؟) ثم جالس على كرسي ونظر لسكر شىء ، لهذه الصورة الطبيعية التى رسمتها يد الخالق على صفحة الوجود ، لهذا الجمال الذى يكشف الستار عن عظمة الخالق وقوته وشفقته وحنوه ، لهذه الجنة التى هى مهبط الحب وخاوة اللذة والنسيم فقال مخاطباً ربه (ربى لمن

خلقت هذا النعيم ؟) ثم تذكر أيام كان شابا يحقق قلبه لرؤية العيد فأغمض
عينيه ورتل آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ثم فتح أعفانه وقال
(ما تلك إلا جنة . . .) ولم يدر أى كلمة يتم بها جهلته فوقف وهو
حائر الطرف وإذا به يرى شبحين يسيران نحوه فاختمى وراء شجرة
كبيرة تحجب جسمه عن الناظرين ودق قلبه دقات متتالية وقال لنفسه
(من هو هذا الغريب الذى يحسر على التنزه فى حديقة قبل منتصف
الليل)

واقرب الشبحان منه فتفرس فيهما فاذا به يرى ابنته تسير بجوار
شاب جميل الصورة وقد أسندت رأسها على كتفه . عرف البك الشاب
بعد أن تفرس فى وجهه وقال لنفسه (هذا هو الشاب الفقير الذى كان
يسكن بجوارنا أيام كنا نسكن بالجزاوى) ووقف الشبحان ومحادثة على
مسمع منه ، فقال الفتى

— أنا . رغم على تركك يا حبيبتي واني أقسم لك أنى سأبقى على عهد
حبي الطاهر الشريف الى أن يضم عظامى القبر .
فأجابته الفتاة :

— وأنا أقسم لك على ذلك
وقبلها الفتى فى جبهتها وسار . . . متخذاً وجهة السور ليمر أدراجه
الى منزله .

خرج البك . من غيابه وهو ساكن صامت ومكث هنيهة يفكر
ثم نظرا للسماء والنهر والأشجار ، لهذا الجمال الطيبي ، لهذه الجنة الدنيوية .

لهذا النعيم الحيوى وقال لنفسه بعد أن فكر قليلا فيما رآه وفيما سمعه (ربى
إنك خلقت هذا النعيم المحبين والمعزى ما تلك الاجنة الحب) ورتل
آيات من القرآن ودخل الى منزله وقد عات شفتيه ابتسامة تعبر عن
هنائه وغبطته .

..

مضى على هذا الحادث شهر من الزمان أقيمت في نهايته حفلة قران
الفتاة الغنية بالشاب الفقير وما كانت تلك الحفلة الا رمز انتصار الحب
الطاهر على كل شىء م
(١ أكتوبر سنة ١٩١٧)

كان طفلا فصار شابا

أحمد محبوب يبلغ من العمر عشرين عاما أقى الأنف أسود العينين
مقرون الحاجبين وضاح الطامة جميل الصورة طويل القوام اذا رآته النساء
نظرت اليه بطرف خفى واذا رأى النساء مشى مشية التيه والدلال . أبوه
من أغنياء القاهرة يملك ألف فدان من أجود أطيان الوجه البحرى والقبلى
وأمه من عائلة عريقة فى الحسب والنسب لا غبار عليها . رباه أبوه تربية
مصرية بحتة فنشأ يخاف أباه ويخشاه ولا يجسر على محادثته . واختلط بفئة
وضيعة تعلم منها لعب الميسر وولع به ولوعاً أنساه كل لذة فى العالم وكانت

له مربية تبلغ من العمر الخامسة والأربعين رتبة صغيراً من يوم أن بلغ الخامسة وكان عمرها في ذلك العهد خمساً وعشرين عاماً وكانت قد طأقت من زوجها وهو رجل كان معانوا في إحدى زراعات الدومين . ومحبوب يحب مربيته ولكنه لا يخشاها . بهزاً منها إذا أغضبتة ثم لا يلبث أن يسترضيها فتنسى اساءته وتقبله وتضمه لصدرها ضاحكة مستبشرة .

لقد بلغ محجوب العشرين ولكنه لا ينس أيام كانت تضربه مربيته وهو طفل إذا هفاهموة أو ارتكب اثماً .

أينسى يوم أن تساق شجرة النبق في الحديقة وكاد أن يسقط على الأرض . لقد أمسكت به مربيته والعصا في يدها تفرعه بها ناهية إياه أن لا يعود لما فعل . وهل ينسى يوم أن مكث في القناء يلعب ويترح وكان الوقت ظهراً فتهاه السقا عم عبد الرزاق عن ذلك فشتمه ورفضه برجله الصغيرة . انه لا ينسى ذلك اليوم وقد لطمته مربيته على وجهه وهي تؤنبه على ما فعل . وهل ينسى يوم أن التقط من الأرض بقية سيجارة كان يدخنها أبوه وأراد أن يستنشق الدخان فرأته مربيته من المافذة ونادت به فهم بالحرب وأبى الدخول للمنزل الى أن حملته الخصى وأتى به اليها اينال جزاءه ؟ انه لا ينسى كل ذلك . وان لاطفولة حوادث تبقى مرسومة في رؤوس الشبان والرجال الى الأبد

وكان القصر الذي يسكن فيه محجوب وعائلته في حي من الأحياء الوطنية ذوات الشوارع الضيقة . وكانت تحوطه عدة بيوت صغيرة لأقوام من بيعة ليست بالغنية ولا بالفقيرة . وسكن أمام قصر محجوب

رجل تاجر حسن السيرة له زوجة وبنت تبلغ الخامسة عشر وولد يبلغ العشرين يساعده في ادارة حانوته .

وكانت تشتغل زوجته طول نهارها في أعمالها المنزلية وتساعدها ابنتها من وقت لآخر . واذا ما خلت البنت بنفسها جلست أمام النافذة التي تطل على غرفة محبوب تنتظر إياه من المدرسة . فكان اذا ما دخل غرفته أشارت اليه بالسلام ويتدآن في المغازلة . ففى ذات يوم دخلت عليه مريته فوجدته يشير يميناه للفتاة فنظرت اليه نظرة ريبة وامتعاض ثم تركته وخرجت من الغرفة دون ان تنبس بكلمة . ولم يمر محبوب ذلك الحادث اهتماماً وانقضى اليوم على صفاء . ولكنه لاحظ بعد ذلك ان مريته تكثر من الدخول في غرفته ساعة إياه من المدرسة كأنها تود أن تنممه عن محادثة الفتاة فسأه ذلك منها وود أن تكف عن مراقبته فعمد الى حيلة ناجمة فكان اذا عاد من المدرسة أحكم اقفال باب غرفته بالمفتاح ليفعل ما يوحيه اليه هواه

واهتمت مريته لسر حيلته فدقت على بابه بيدها ففتحه لها بعد ان أشار لفتاته أن تتوارى . ودخلت المربية ووجدت نافذة الفتاة خالية ذفابتسمت ابتسامة الهازى وقالت له

— لقد طار العصفور من القفص

— وماذا تقصدين من ذلك؟

— انك يا ولدى تسيء لنفسك . أنسيت أن الحب يشغل المرء عن

اداء واجباته .

— انى حريص على أدائها فدعى اللوم جانباً
— يا لك من غرأحمق
— انى أكره أن يسبني أحد
— ولكنك ترتكب المعاصى على رأى من الناس . ألا تخشى
أن أخبر أباك بما تفعل
— أنى لم يخرج من غرفته بعد فهل لك أن تذهبي وتفصى عليه ذلك
— سأفعل

وخرجت وهى غاضبة وخاف محجوب أن تخبر أباه بهواد فلما
دنا وقت العشاء أتى أن يأكل مع أبيه فدعى المرض ونام وهو جوعان .
ثم مضت أيام وهو يسأل نفسه عن سر مراقبة مربيته له فلا يهتدى
إلى شئ . انه لم يلاحظ شيئاً فى حركاتها ولا فى سكناتها فعلام لا تركه
حرّاً يفعل ما يشاء وليس فيما يفعل ما يدعو للخوف والحذر . وعالم
تغار من هذه الفتاة التى لم تبلغ الخامسة عشر وهى امرأة آرت على الخامسة
والأربعين . هذا سر غامض يدعو للتفكير .

خرج محجوب فى يوم من أيام الجمعة وقابل رفقة من أصحابه لمب
مهم الميسر وخسر ما فى جيبه فرجع البيت وهو يعرض بشأن الندم .
وسأل عن أبيه فقيل له انه خرج وعن والدته فقيل له أنها استناول طعام
العشاء عند خالته . فدخل غرفته وجلس أمام نافذته وأمسك برواية من
الروايات الحديثة ليقتل بها الوقت . وبعد هنيهة رأى حبيبته فى النافذة

تبتسم له . ولبت بخافتها ويشير لها الى أن رأى خيال مريته في الغرفة
الأخرى فكف عن محادثة حبيبته وأشار لها أن تبتعد فابتعدت وجلس
وحيداً ينتظر الرقيب

فدخلت مريته بعد عدة دقائق وقد استشاط غضباً وقالت
بصوت متهدج

— هذه هي المرة الأخيرة فان عدت لفعالتك أخبرت والدك بكل
ما فعلته

— وأى باعث يستفز غضبك وأنا لم أجن ذنباً يستحق اللوم ؟
— أى باعث يستفز غضبي ! انك حقاً ساذج لا تعرف الى أى هوة
أنت مسوق . وأخشى أن تدور الدائرة عليك
— انى أكره هذا الحديث
— أتأبى استماع نصائحي ؟
— انها لا تصلح الآن بعد أن كلاتنى الرجولة
— يا لك من شاب أبله

سمع محبوب هذه الكلمة فقام غاضباً وهم أن يغادر الغرفة فأمسكت
به مريته ولقت ذراعها على خصره ومنعته من الخروج فهمم بالافلات منها
فامس جسمه جسمها فلم يجد بأساً في البقاء فلف ساعده أيضاً على خصرها
متظاهراً بالهجوم ليدافع عن نفسه ووقع نظره على وجهها فاذا به يرى
صورة غريبة شهوانية لم يرها من قبل في ذلك الوجه الذى عرفه من يوم
أن كان (محبو) على الوسائد . فوقف هنيهة ينظر اليها وتنظر اليه وكانت

لم تزل بقضة البشرة عايتها مسحة من الجمال بالرغم من الخمسة والأربعين
عاما التي قضتها وكانت محبوب شابا يهيج شهوته الخادرة أى تباعث
صغير. فأطال النظر اليها وأطالت النظر اليه وسمع أنفاسها تتردد
في صدرها وهي تنظر لخصلة شعره الاسود المسدلة على جبينه ثم قبلته
في فمه فقبلها في فمها وتعانقا وتلاصق جسمها بجسمه وأحس بنهديها اللذائيلين
تدلك بهما صدره

ثم غابا عن الوجود

.

لقد كان طفلا جميلا فكانت تحبه مرييته كأهم حنون والآن صار
شابا جميلا فأحبهته مرييته كعشيقة ضرم الحب أنفاسها .
فيا للعجب مما تراه العيون في ظلام هذه الحياة

(سنة ١٩١٧)

العاشق المفتون

بالرتب والنياشين

(من رسائل مجبور افندى)^(١)

خطاب من كاتب الى رجل لا يعرفه

يا صديق العزيز .

اسمح لى أن أناديك بالصديق العزيز مرة فى كل عام وان كنت لم
أسعد فى حياتى الماضية ولن أسعد فى حياتى المقبلة بمعرفتك ، ومعرفتك أمر
هام جداً ، بل هى شرف عظيم لكل من يجد فى قربك سعادة لنفسه وراحة
لضميره الممذب . ولكنى لا أكتبك — وان كانت صراحتى تؤلمك —
بنى لا أود وان أود أن تسمح لى الظروف بمعرفتك بل برؤياك
لماذا إذاً أخاطبك فى العام مرة واحدة ؟ لماذا أكتب اليك
هذا الخطاب وبينى وبينك مسافة ما بين الارض والسماء ، مسافة طويلة
جداً ، ولكنها لا توجد إلا بين نفسى ونفسك ! ما جسمانا قريبان
وربما التقيا فى الطريق مرة واحدة لانا نعيش سوياً على صعيد
واحد ، هو مصر . اذاً لماذا أكتب اليك ؟ انى لا أسائل نفسى لأننى

(١) كان فى عزم الفقيه أن يكتب سلسلة مقالات تحت هذا العنوان

ولكن لم يتم الا هذه القطعة

أعرف السبب وسأذكره اليك فربما وجدت فيه عزاء لنفسك
المضطربة وراحة لضميرك الهائج . ولكنني لا أريد أن تتكلم سويًا إلا
إذا اعتقدت اني صريح فيما أقول وأنه لا يحملني على مناقشتك إلا أمر
واحد هو حبي للناس . ومن هذا الحب تولدت في قلبي عاطفة غريبة
نحوك ، عاطفة تكونت من عصير الشفقة والرثاء . وما أجل الصراحة
التي يتساقط من نورها الوضاح شعاع الشفقة والرثاء .

أنت بلا شك لا تغضب لأنني صريح ولكنني أخشى أن يسوءك
رثائي وشغفتي . لهذا أود من صميم قلبي أن تتنازل عن كبرياءك
عفوًا أيها الصديق العزيز ! عفواً ! لقد أخطأت مرة ثانية وقلت انك من
المتكبرين المتعطرسين . ولكن ما الذي يضرك ، وهل يسوءك أن أصفك
بهذه الصفة وأنت ممن يحدون في الكبرياء والابهة لذة لا تقدر ؟ أظن إذا
اني لم أغضبك مرة ثانية واني لم أخطئ بالمرة . فاسمح لي إذاً أن أقول
لك اني أود من صميم قلبي أن تتنازل عن كبرياءك في غضون تلك
الساعة الزمانية التي نود أن نتحدث فيها سويًا وأن لا يسوءك أني أشفق
عليك وأرثي لحالك .

إذا فلنبداً الحديث على الشروط الماضية . وحديثي معك يبدأ هكذا :
أنت أيها الصديق أحد رجلين ، فلما أن تكون من أعيان القاهرة ،
تلك الجماعة التي تسكن القصور الشاحنة تحوطها الحدائق الغناء ، والتي
تركب السيارات ذوات المناقيخ المزعجة ، والتي إذا تكلمت تأنت في
كلامها ووزنت كل حرف بميزان الأبهة والكبرياء ، والتي تلبس الملابس

الغالية وتأكل الطعام الفاخر ، والتي تجدد في التبخر ، اذا سارت ، باباً
جديداً من أبواب الظهور بين الناس ، والتي اذا زارت لا تزور الامن له
صلة بكبار رجال الحكومة ولهم تحنى ظهورها . وتمد للرق رقبتها ، أما
لغيرهم فتظهر بمظهر المتجرف الشاح الذي اذا جلس التحف بجلباب الكبير
واذا سار امتطى ظهر التيه .

إما أن تكون هذا الرجل وإما أن تكون الرجل الآخر ، أى من
أعيان الريف الذين اذا أكلوا فى منازلهم اكتبوا بالعيش والفتة واذا
زارهم المأمور ذبحوا له الخروف يتلوه الخروف ، والذين ينامون فى غرفة
ضيقة وياتحفون بملايسهم ولكنهم يعدون فى قصرهم لرجل الحكومة
غرفة جميلة وسريراً ولا يستنكفون من أن يقفوا فى خدمته وقفة
الخاضع الذليل ولكنهم يستنكفون أن يسهجوا لزوجاتهم وأولادهم أن
يأكلوا معهم .

إما أن تكون الرجل الأول أو الثانى . وسيان عندي أن تكون أحد
الرجلين لأن نفسيكما نشأت من نبع واحد ، فأتما شخص واحد . دع
عنك فروق المعيشة فما هى الا نتيجة الجو الذى عشتما فيه . ولا يهمنى من
أمركما إلا شئ واحد هو خضوعكما لمن فى يده القوة واستنكافكما من
معاشرة الآخرين .

الآن قد انتهيت من وصفك ويخيل لى أنك توافقنى عليه لأنك
عاهدتني قبل محادثتك بتنازلك عن كبريائك وباعتقادك أنى أصارك
القول . والآن فلنتحدث قليلا لأعلمك لماذا أخاطبك فى العام مرة

واحدة . أظنك لا تنكر يا صديقي أنك تقضى العام كله ما عدا عدة أيام قلائل وأنت مستطار الفؤاد حزين النفس ، تقوم مبكرا من نومك وفي رأسك شاغل كبير يقطع عليك أحلامك ويصور لك الحياة في صورة قبيحة لا ترضاها لنفسك . أليس الأمر كذلك ؟ ذلك الشاغل هو قيمتك في أعين الناس . أنت تود أن تكون قيمتك كبيرة جداً ، تريد أن يكون مقامك بين نظرائك أكبر مقام تسمح به الهيئة الاجتماعية في مصر ! ولكنك مع الأسف تجهل ماهية القيمة الانسانية بل ربما كنت تعرف ماهيتها ولكنك تتغافل عنها لانك لا تجد فيها الطريق السوى الذى تسوغ لك كفاءتك السير فيه . لهذا تسير فى طريق آخر آملاً أن تصل به الى العرش الذى تطمح نفسك لارتقائه . وما تتيح هذا الا من جهلك لانك بالانزع لم تنظر للحياة بمنظار الحقيقة ولم تلبس بعد لباس الحقيقة ولم تشرب أيضاً من ينبوعها الطاهر . وليس الذنب ذنبك أيها الصديق العزيز لانك نشأت فى جو لم تنل فيه من العلوم والآداب قسطاً وافراً فانت بطبيعتك جاهل ، لهذا ظل قلبك مقفلاً أمام نور الحقيقة ، ذلك النور الذى يتغلغل فى حنايا القلوب فيضى ظلماتها القائمة . اذا أنت من الحزب المصرى الذى يرى قيمة الرجل بالرتبة التى يذالها أو فى النيشان الذى يحلى به صدره . وباليته يرى ذلك خسب بل يمتد نظره الى قاع تلك الهاوية فيرى أن ليس من العار على الرجل أن يفعل كل ما فى وسعه وأن يبرر كل واسطة للوصول لغايته . فأنت اذا من هذا العنصر أى أنك تود رفعة المقام فى الحياة دون أن تفعل شيئاً يذكر تستحق عليه

رفعة المقام . أظنك توافقني أيضا على ذلك . وأظنك أيضا تقضى العام كله وأنت تزور من له صلة بمن في يده تدبير الأمور . تزوره كلما سبحت لك الفرصة فتجاس بين يديه وقد جالس الكبير بين عينيه وتمشى الذل في شرايينك فأحنيت رأسك وتذلت في السؤال والكلام والسلام . ثم تعود الى بيتك وتجلس على كرسيك جلسة الكبرياء والعظمة وتفكر فيما فعلت .

انى أقسم بكل عزيز عندي فوق الأرض وتحت السماء أن ضميرك لا يلبث أن يوبخك وأنت ترى فيما فعلت ما يحمر له وجهك وترتعد فرائصك خجلا . ولكنك تنظر الى يمينك فتري صديقك فلان حائزا لرتبة باشا وانت لم تحز بعد الا رتبة بيبك ثم تنظر لشمالك فتري صديقك الآخر حاز نيشانا وصدرك ما زال خالياً من تلك الأوسمة الجميلة . ترى ذلك بعينك فيزيل احمرار وجهك ويحل محله الاصفرار ، اصفرار منشأه الغيظ والحسد ، وتظل ركبتك ترتعدان ، ارتعادا ليس منشأه الخجل بل الغضب والحقد . فتنسى ما أثبتك به ضميرك وتقوم من مكانك وتركب عربتك لزيارة رجل آخر ممن يتصلون بأولى الحل والعقد . وتظل العام كله وأنت لا يقر لك قرار . فاذا دنا الميعاد وجاء الوقت الذى يتكرمون فيه على الناس بالرتب والأوسمة اكرتت من زياراتك وقضيت ايامك وأنت لا تنام ، يدنيك الأمل ساعة ثم لا يلبث أن يبعدك اليأس . ثم ماذا ؟ تظهر النتيجة فتري نفسك قد سقطت في الامتحان . ويلاه وألف مرة ويلاه . ويلاه لنفسك لأنك لم تنل غايتك ويلاه لزوجتك لأنك

تحرم عليها الطعام وويلاد لا ولادك لأنك تشبههم ضرباً وويلاد خدمك
لأنهم يظنون مدة وعم مهددون بالطرد . ثم ترجع لنفسك وتساءلها لماذا
فاز غيرك ولم تفز أنت فلا تهتمي بشيء . ثم تسأل الناس وتعود لزياراتك
الى أن يساعدك الحظ وتنال ما تريد . فإذا نلت الرتبة أو النبشان تمشي
السرور في نواحيك وهزك الفرح هزة تخطي أن تضر بصحتك . ثم تمر
الأيام وتنسى كل ذلك وتنظر الى يمينك وإلى يسارك فتري الصورة التي
رأيتها قديماً ، ترى قوماً آخرين من أصحابك هم أعلا منك رتبة أو حازوا
نبشاناً لم تحزه أنت فتعود الى شاغلك القديم وتكرر الزيارات والخشوع
والخضوع ، أي أنك تظل طول حياتك معذباً مكروب النفس حزين
القلب قوأسفاً لك ! ومن تلك الحياة المنغصة التي ارتضيها لنفسك .

واعلمك بعد هذا الحديث الطويل توافقتي بل تشكرني لأنني أشفق
عليك وارثي لحالك . واسمح لي أيضاً أن أقول لك — وإن كنت أشك
فيما سأقوله — ربما يحول بخاطر ك الآن هذا السؤال « إذا ما هو الطريق
الذي إذا سرت فيه استراح ضميري وهدأت نائرة نفسي ؟ » . ما هو
هذا الطريق أيها الصديق ؟ سأخبرك عنه واعلم أن من أجل هذا السؤال
أكتب إليك هذا الخطاب . أنت است من العلماء لأطرق معك باب
العلم وأقول « اقرأ وألف واخترع » ، ولست من رجال الصناعة فأقول
لك « اعمل في سبيل رواج صناعة بلادك » ، ولست من رجال الأدب
فأقول لك « أي كتاب كتبت ؟ » ولست من التجار ولا رجال
الحكومة ولا ولا ولست من الأغنياء . أنت من الرجال الذين

يكنزون في بيوتهم القناطير المقطرة من الذهب والذين اذا مشوا أو
ركبوا قال عنهم الناس « هذا هو الغني فلان » أنت من هؤلاء أيها الصديق
وأنا لا أطالبك بصرف مالك وتبذيره . كلا وألف مرة كلا . أنا أود أن
يظل مالك في حوزتك ولكني أرجو أن تتنازل عن بعض ايرادك لمن
يستحقه . بلادك أيها الصديق محتاجة لبعض مالك لينفق في سبيل الخير
أمامك الفقراء يودون أن يجدوا أمامهم مدارس يرسلون اليها أبنائهم بلا
أجر وأمامك الشيوخ الذين أقعدهم المرض والفقير والشيخوخة عن العمل .
ثم في حاجة للمجىء يلم شتاتهم ويدفع عنهم ذل السؤال . وأمامك ، اذا سرت
في الطريق على قدميك الأطفال المتشردون الذين باحسانك ينصالح حالهم
فيعودوا بالخير على أمهم . وأمامك المرضى الفقراء فهل لك أن تنشأ لهم
مستشفيات وفي طاعتك أن تفعل ذلك ؟ هذا هو السبيل السوي الذي
تستطيع أن تسير فيه بأقدام ثابتة .

أعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك اذا فعلت ذلك — على
شرطة أن لا تزور أحدا ممن كنت تزورهم وأن لا تحني رأسك للذل
ولا تمد رقبتك للرق — أتعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك ؟
اني سأقول لك شيئا ستدهش له وأخشى أن لا تصدقني . ولكني
سأقوله على كل حال . اني أؤكد لك أيها الصديق ان تلك الرتبة التي
كنت تسمى لها ستسمى هي اليك وان النيشان الذي كنت تفتش
عنه في كل ساعة سيفتش عنك بنفسه . وسوف يقول الناس « ان الرتبة
والنيشان تشرفان بك بدل أن تشرف بهما »

ثم بعد ذلك : بعد هذا الكلام الطويل بيني وبينك ، ما زالت أحس
بدافع يدفعني لأن أقول لك شيئاً آخر ولكنني أفضل أن لا أقوله خشية
أن تنفر مني وتظن أنني واهم أو أنني أخبط خبط عشواء . أقول أم لا
أقول ؟ لا أعلم ؟ دعني أفكر ! وأخيراً قد استقر قرارى على أن أقول
هذا الشيء ، فإن كنت حتى الضمير صدقتني وشكرتني وربما قبلتني قبله
أخوية طاهرة . أما إذا كنت ممن لا ينفع معهم الكلام فاني لا أخسر
شيئاً كبيراً بما سأقوله بعد . أنا تعبت نفسي فيما قلته لك . أعلم يا صديقي
أنك بعد أن تقوم بأحدى الأعمال التي طالبتها منك ستشعر بشيء غريب ،
بشعور جديد ، براحة في ضميرك توحى اليك بأن تعتقد أن خير جزاء
وأن أكبر مقام هو تلك الراحة التي تشعر بها عند ما ترى عينك الأطفال
الذين أصابحت حالهم والشيوخ الذين آو بهم ، والمرضى الذين شفيتهم ،
عندها تدعى رباتك القديمة ونيسانك القديم وتعرف أن الاحسان
هو أعظم رتبة وأكبر نيسان وأن الرتب والأوسمة ما هي إلا أوهاام

(سنة ١٩١٧)



الشباب الضائع

رواية قصصية مصرية

الفصل الأول

كان الأستاذ الشيخ محمد عبد العليم يلقي على تلاميذ الفصل الأول من السنة الأولى بالمدرسة الخديوية في الساعة الثالثة بعد الظهر درسا في (المبتدأ والخبر) . وكانت التلاميذ مصغية اليه اصغاء الطفل لنصائح أبيه لا حبا في الأستاذ ولكن خوفا من شدته اذ كان معروفا بينهم ببأسه وغلظ كبده حتى لقبه أشقياؤهم بالصاعقة فكان اذا لاح شبهه من بعيد وهم يلعبون ويمرحون في فناء المدرسة صاح أحدهم قائلا « هلم بنا تغادر هذا المكان قبل أن نحل به الصاعقة » وتعقب هذه الصيحة ضحكات متواليات تدل على بغضهم للأستاذ ونفورهم منه . وما كان الأستاذ بالرجل ذي القلب الأسود كما يزعمون ولكنه كان ممن يتفانون في حب النظام ومراعاة الآداب وكم من مرة رأف بتلاميذه وأشفق عليهم وساعدهم اذا خانهم الحظ في الامتحان .

أتم الأستاذ درسه ونظر في ساعته ثم قال (ليرفع سبافته من تعسر عليه فهم شيء من درس اليوم ؟) وأجال ببصره بين صفوف تلاميذه فلم يجد بينهم من أجاب سؤاله فابتسم ابتسامة الظافر وقال (نتيجة حسنة تبشر مستقبل باهر إن كنتم فيما فعاتم صادقين) وحوّل بصره لوجه شاب أسمر اللون نحيف القوام أقنى الأنف أسود العينين يرى الناظر فيهما أثرا للحزن والتفكير . نظر اليه الأستاذ مليا والتاميد حاسر

الطرف ثم قال له بالهجة الهازية - (ما رأى أبى الانشاء في درس اليوم ؟) فلم يحجب التلميذ ببنت شفة فأردف الأستاذ جملته بجملة أخرى أغضى لها التلميذ حياءاً وكاد يجول لدمع في عينيه اذ كان من خلقه الحياء الشديد ، حياء يقرب من الجبن .

قال له الأستاذ . (أتولى عطفك أنفة وتصغر خديك استكباراً ؟) وألقى عليه سؤالاً في درس اليوم وطلب منه الاجابة فلأزم التلميذ الصمت لتشتت فكره فقال الأستاذ وهو يحرق الأرم (لقد أهملت النحو وانصرفت نفسك للانشاء ، ولذا تأتي بالخطأ القادح في جملة المنفعة ولو تبعت نصحي وخصصت جزءاً من وقتك لدراسة النحو لكان لك في فن الانشاء شأن عظيم اذ لا ينكر احد جمال أسلوبك ولكني أبشرك بحمول الذكر ما دمت لا تسمع إلا ما توحيه اليك نفسك) . وتنتهي الاستاذ بمنة ويسرة وهو غير ملتفت للتلميذ ثم ادار اليه وجهه وقال (اجلس) ودق الناقوس معانداً للطابطة ساعة انصرفهم فخرج الاستاذ تلبية التلاميذ الى فناء المدرسة

وقف التلاميذ في الفناء صفاً صفاً ونادى الضابط المعاقبين وكانوا كثيرين في ذلك اليوم وانتظر التلاميذ ناظر المدرسة الى ان وافهم وادوا له التحية وهو واقف على درج لم يكن غير (سام الفناء) فأذن لهم بالانصراف فغادروا باب المدرسة وهم ثلثين بخمرة حريتهم بعد سجنهم .

خرج حسن أمين (أبو الانشاء) مع من خرجوا من التلاميذ
وهو يتعثر بأثواب خجله وخيبته وما زال يفكر فيما سمعه من أستاذه
أمام اخوانه الى ان وصل الى باب المدرسة الخارجى فابتدرة البواب
قائلا :

- ما الذى يشغل بالك يا حسن بك ؟

- لا شىء يا عم طه

وسار حسن فى شارع درب الجمايز وهو مطأطئ الرأس الى أن
وصل الى ساحة باب الخلق وهناك عرج على قهوة وطنية معاقبة عليها
لوحة مكتوب عليها بالثلاث (النادى المصرى) . وجلس فى ركن من
أركانها يفكر كالشاعر الذى يمنعه خياله عن رؤية ما حوله ثم وافاه خادم
القهوة حاملا تحت أبطه جريدتين وضمعهما أمامه وهو يقول هاك اللواء
والمؤيد ياسيدى وسأتيك بالاهرام والمقطم بعد ان أعد لك القهوة
وتركه ليحبيب طلب معمم من لابسى الجلابيب الزرقاء .

أمسك حسن « باللواء » فى يده وقرأ كل ما فيه مستثنيا الاعلانات
وهم بقراءة المؤيد واذا به يرى الخادم يضع أمامه فنجان القهوة يحف به
المقطم والاهرام فأعطاه حسن قرش صاغ وشكره الخادم وانصرف .
وقرأ حسن الجرائد الأربع ثم وافقاً وحمل محفظته تحت أبطه
وسار الهوينى لمنزله وكان يسكن الجزاوى . وصل حسن منزله عند
الغروب بعد ان قال لنفسه فى الطريق (لقد امتلكت تلك المقالة نفسى
وأسرت أبى فلهذا در كاتبتها فهو أفضل من كتب) وتاه فى بيده أفكاره قليلا

ثم علت شفثيه ابتسامه تشف عما في قلبه من فرح وقال (يا حبيذا لو
تحققت تلك الأحلام . أأغدو يوماً ما كاتباً ؟ من يدري ؟) ثم قرع باب
منزله ثلاثاً ففتح له الباب وصعد السلم فرأى والدته تنتظره في ردهة
البيت فقبل يدها وقبلته في خديه وقالت له :

— لقد تأخرت يا حسن فأين كنت ؟

— كنت أقرأ الجرائد يا أمه

— قراءة الجرائد يا ولدى أكبر مدعاة لاهمال الدروس فخل
عنك قراءتها واشتغل بما ينفعك

— انك يا أمه تجهلين ما يجري خارج المنزل ولذا تلقين القول
جزافاً

— أنا لا أنكر يا ولدى أنني جاهلة ولكن شعوري يوحى الى
بما ينفعك

— لقد أنبى أستاذي اليوم لأنى تبعت ما يوحى الى شعوري
فوالله لا أدري الأصغى لنصائح الأم أم لنصائح الأستاذ
وترك أمه ودخل الى غرفته

حسن أمين هو ابن المرحوم مصطفى افندى أمين الذى كان
كاتباً بنظارة المعارف العمومية فى عهد توفيق باشا والذى أحيل على
المعاش قبل وفاته بسنتين . توفى مصطفى افندى فى سنة وفاة عزيز مصر
تاركاً ولده حسن وزوجته عزيزه وبيتين صغيرين فى شارع الحمزاوى

استبدلها بمعاشه ، كان يسكن الطبقة العليا من أكبرهما ويتقاضى سبعة جنيهات أجره الثلاث طبقات الباقيات .

مصطفى أفندى رجل لا يعرف عنه إلا أنه ، مصرى الأرومة طويل القامة بدين الجسم اذا غضب استرسل في غضبه دفعة واحدة وتناساه دفعة واحدة ، وكان أكراماً له في أنواع الأطعمة وألوانها آراء جرت بين أهل ناحيته مجرى المثل ولكنه كان محبوباً من جيرانه يعظمونه ويذكرونه بالحسنى ويقفون له اذا مرّ أمامهم كأنه سيدهم وعبيدهم

لم يذق مصطفى أفندى في حياته الحب ولم يستوجف فؤاده ذلك الشيطان الرجيم ولكنه كان ممن اذا مرت أمامهم سيدة تحمّنوا بجملها الفتان وحسنها الرائع . تزوج مصطفى أفندى في شبابه سيدة لم تضرب في الجمال بسهم وافر ولكنها كانت عفيفة سلسة القياد تقصد في بيتها وتكره التعالى في الزينة والتبهرج . عاشرت تلك السيدة دهرًا طويلاً أذاقته فيه حلاوة العيش ثم ماتت ولم تترك في أحضانها ولداً ولا بنتاً .

أسف مصطفى أفندى على زوجته أسفاً كبيراً وبكائها آباء ليله وأطراف نهاره حتى أصيب بمرض أورثه الضعف والهزال وكان قد بلغ الخامسة والخمسين فأشار عليه بعض أصدقائه أن يتزوج فتاة حسنة تزيل أخطأها الساحرة عن قلبه نار آلامه المستعرة . ضحك مصطفى أفندى لهذه الفكرة وظنّها كالحلم العذب اللذيذ الذى يمر ببال النائم في ظلام الليل ولا يلبث أن يزول اذا ظهر في الفضاء شمع الشمس . ولكنه راود فكماله كثيراً ورأى في نفسه الحاجة لتلك الزوجة وما زال يجادل نفسه ويزيل العقبات من

سبيله الى أن تجسمت في مخيلته تلك الفكرة وأصبح تحقيقها أمنية الوحيدة .
وبحث مصطفى أفندي عن تلك الفتاة كثيراً الى أن وفق لعائلة ربها
شركسية توفي زوجها المصري تاركا لها ابنة وولدا . فخطب مصطفى أفندي
الابنة وكانت تبلغ الثامنة والعشرين وقيت الأم وهي مهلهلة الوجه
لا تصرف شبان الناحية عن ابنتها . ولم يهتم مصطفى أفندي بحال زوجته
إذ لم يكن جالها غاية الشيخ المريض الذي لا يرجو من امرأته الا عفتها
واعتناها به . وتزوج بها وعاشت معه ثلاث سنوات ، ماتت في السنة
الأولى منها أمها ، ثم ولدت له ولدا سماه حسن فرح به فرحا كاذبا أن يقتله
وما زال يرتع الولد في أحضان أبيه وأمه الى أن توفي مصطفى أفندي بالغا
الثامنة والستين تاركا ولده بالغاً من العمر عشر سنين .

نشأ حسن ضعيف الإرادة — وابن الشيخ المريض لا ينشأ الا على
هذه الحالة ، لا يقدم على عمل الا بعد أن يتردد فيه كثيراً واذا أقدم عليه
ود أن يتركه ، ولكنه كان يميل للتفكير والخيال وكان به شغف بالكتابة
عظيم استحق به في المدارس الابتدائية لقب « أبا الانشاء » ذلك اللقب
الجميل الذي لم يفارقه يوم دخوله المدارس الثانوية .

عاشت عزيزة بالسبع دنائير التي كانت تتقاضاها من أجرة البيتين
ولكنها وجدتها غير كافية لقضاء حاجياتها وحاجيات ابنها البالغ السادسة
عشر ولذا وطدت العزم على العمل فاشتغلت بالخطاطة والتجارة يبيع الأقنعة
في بيوت الأغنياء والعظماء فكانت تريح من وراء ذلك ما تسد به نفقاتها
وتنفقات تعليم ابنها .

...

دخل حسن غرفته بعد أن ترك والدته في ردهة البيت ووقف فيها
 هنيهة كأنه يُقرئ السلام كل ما في الغرفة من كتب وفراش إذ للجهد
 في قلوب أهل الخيال مكانة لا تقل عن مكانة بنى الانسان . وقف حسن
 هنيهة ثم أرسل زفرة أطلقها جوائحه لم يسمعها غير كلبه الأمين
 (سحاب) الذى أتاه يصبص بذنبه كأنه يسأله الصبح عن تأخره .
 جالس حسن على كرسي ونظر لـ كلبه نظرة العاتب ثم ناداه بصوت
 حنون رقص له السكب طرباً وقفز ليجلس على ركبتى سيده فأمسك به
 حسن وداعبه قليلاً قائلاً له (أين كنت يا سحاب ، والى متى تهمل سيدك
 وهو الذى أحسن اليك وآواك الى منزله ليلة كنت ترتمد برداً امام
 الباب وقد نبذك أصحابك كما ينبذ الطفل النواة . أهذا جزاء الاحسان ؟)
 وتنادى حسن فى عتابه واستمر السكب فى اظهار ولائه وكان الوقت كما
 قلنا وقت الغروب وقد اختفت الشمس ولم يبق فى الأفق الا احمرار
 الشفق وحانت فى تلك الساعة التفاتة من حسن للنافذة فاذا به يرى فى
 البيت الذى يقابل ابنيه فتاة تطل من نافذتها لتمتع بصرها بجمال الطبيعة
 وتنظر نظرة المعجب لتورد خدود السماء . نظر حسن للتفتاة نظرة لم
 تعرفها التفاتاً كأنها أتت للنافذة وفى قصدها غير لقائه اذ الحياء كما نعلم
 من خلق النساء . ناداها حسن بصوت يسمع السامع منه رنين الحب
 والخوف فالتفتت اليه جافلة كما يجفل الريم وقد سمع خطوات الصياد .
 ثم اطمانت له بعد أن عرفتة وأشار اليها بالسلام فردته بأحسن منه وتلى

سلامه بقبلة أرسلها على أطراف أنامله احمر لها وجه تلك الفتاة الخرد
(الكثيرة الحياء) فكسرت من طرفها ثم رفعته اليه وقد علت شفثتها
ابتسامة جمعت بين آية الجمال والهيام . وابتدأ حسن في محادثتها فكانت
تسمع كلامه كأنها كانت معه في غرفته اذ لم يكن بين يتيه وبينها غير
ثلاثة أمتار لا يعرفها الا من عاش في امثال ناحية الحمر اوى

قال لها حسن

— انى سعيد بلقائك يا ابنة خالي ولقد فكرت فيك طول اليوم
وأنا مثلوج الفؤاد وكنت كلما استرجعت في مخياي صورتك المحبوبة
أشعر بالفرح بهز عطفى وبالسرور يتمشى في جوانحي . كيف حالك اليوم ؟
— كما ترومه أنت . وكيف حالك ؟

— المحب المحبوب لا يشعر بحزن ولا يتفجع لمكروه

— وهل حل بك مكروه ؟

— لقد خاضعتى أستاذ النجوى اليوم وعاقبنى أمام اخوانى الطلبة حتى
ندى وجهى عرقاً .

— أتعديا عزيزى خصام الأستاذ مصيبة تفتت الكبد وتمزق
الاحشاء .

— خصام كل أستاذ سهل على أفئدة الطلبة ولكن خصام
(الصاعقة)

— أما زلت تسمى أستاذ النجوى (بالصاعقة) ؟

— اسم وافق مسما يا عزيزتى

— دع عنك هذا الفكر جانبا ولنفكر بأمر آخر —
— لنفكر بحبنا فهو أحسن وقمنا على قاي —
أملت ليديه بمطافها عند سماعها كلمة الحب المرة الثانية ونظرت
اليه نظرة المحبة الوفية الصادقة وقالت :

— وهل يبقى هذا الحب في قلوب الرجال طويلا ؟ —
— ما بقيت الأرض والسماء . —
— ألم تستهو فتؤادك اليوم نظرات العيد في الطريق ؟ —
أسير في الطريق وصورتك في مخيلتي . أنت معي في كل مكان .
في البيت وفي المدرسة وفي الشارع وفي الحدائق حتى وفي الساعة التي
أجتهد فيها لفهم درس يصعب على سواد الطلبة فهمه . أنت الحياة . أنت
الوجود . أنت الدنيا وما فيها من نعم . واني أقسم لك على الوفاء حلقة
عاشق صدوق المقال يبر بفسمه حتى آخر نسمة من نسمات حياته .
واستمر الحب يغازل حبيبته و (سحاب) جالس عند أقدام صاحبه
كأنه الشاهد العدل على هذا الحب وعلى هذه الاقسام التي تترى على
أسنة الفاس ولا تلبث أن تذروها الرياح . وسمعت ليديه أمها تناديهما
فأسرعت لاقائهما بعد أن حملت النسيم قبالات عديدة وكاد أن يشعر حسن
بحرارتهما على خديه وما ليديه هذه الابنة تبلغ السابعة عشر تربت تربية
حسنة وتعلمت تعالما يحسد لها عليه الكثيرات من أترابها . وأبوها عبد
الرؤوف افندي خال حسن رجل طيب السيرة والسريرة سكن أمام منزل
المرحوم مصطفى افندي بعد وفاته ليكون عوناً لأخته (والدة حسن)

إذا دعيتها الحال لطالب المعونة، والحياة تدعو النساء كثيراً لذلك .
وقف حسن بعد أن غادرت ابنة خاله قليلاً ينظر للسحاب تارة ولنافذة
حبيبته تارة أخرى إلى أن سمع صوت أمه تناديه قائلة
— لقد أعددت الطعام يا حسن . هيا لتتناول عشاءك
— ها أنا ذا يا أمام

الفصل الثاني

— ألم تقرأ مقالة إبراهيم يسرى في مؤيد أمس ؟
— لم أطلع الجرائد أمس .
— أنا أعلم الناس بعاداتك يا محمود فأنت ممن يأفون من مطالعة
الجرائد
— بل أنا يا عبد العزيز ممن لا يضيعون أوقاتهم في قراءتها
— بل ممن يضيعون أوقاتهم في لعب الكرة
— الكرة ديدنى يا عزيزى وإنى لا أجدها ضياعاً للوقت كما تزعم .
وهل وقع إبراهيم مقالته باسمه ؟
— كتبها تحت اسمه المستعار كما دأبه
— انى لا أعرف لقبه الجديد
— لقد كتبها تحت اسم (ابن بطليموس)

— لقب مضحك

والتفت يميناً فرأى حسن أمين يقترب منه فصاح به قائلاً
— ألا ترى يا أبا الانشاء في لقب (ابن بطليموس) ما يدعو

للضحك !

— لقد قرأت مقالاته وأعجبتني فيها سمو خياله وجمال أسلوبه
اذ وسع الأهرام وأبا الهول وصفاً دل على سلامة ذوقه ونصاعة بياضه .
ألا تشاطرنى رأيت هذا يا محمود ؟

— أنا لا أشاطر الناس افكارهم فى شئ لم اقف عليه . واضن اخى
عبد العزيز يوافقنى على ذلك وان كان ينكر على اهمال مطالعة الجرائد
فقال عبد العزيز وهو كاره

— ان اهوائى لا توافق اهواءك يا محمود فعبثاً الكلام فى ذلك .

— انى ذاهب لأرى من اميل الى مذهبه .

وترك محمود رفيقه ومضى يوسع الخطا مبتعداً عن لا يتكلمون الا فى
جودة الانشاء وطلاقة اللسان . ثم التفت عبد العزيز لحسن وقال له :

— وما رأيك انت . انك بلا شك ممن لا يغضبهم الكلام النافع

— وهل ظننت فى غير ذلك ؟

— كلا وحاشا ان اظن فيك الظنون . ولكنى أرى بين نابتة

اليوم قوما لا يعبأون بخدمة بلادهم ولا يعملون الا على خذلانها
بانصرافهم للهو والألعاب ولذا ترانى أرثى لحال محمود مع اعترافى له
بالتفوق فى لعب الكرة . أنا لا ألوم التلاميذ الذين يخصصون جزءاً من

وقتهم للتريض ولكنى ألوم الذين لا يفعلون ذلك . ان المدرس يا حسن ساعة والتريض ساعة .

— بلا شك . ولكن أتعلم كيف توصل ابراهيم يسرى للكتابة فى جريدة كبيرة ؟

— ابتدأ بالكتابة فى جريدة صغيرة وشجعه صاحبها على المتابعة حتى ثبتت أقدامه فى ميدان الكتابة وهو ميدان وعركما تعلم . ووجد فى نفسه الكفاءة لأن يحزر فى جريدة يقرأها سواد الناس فى مصر فكتب فى المؤيد

— ولكن علام تسألنى يا أبا الانشاء هذا السؤال . أفى نفسك ميل للكتابة فى الجرائد ؟

منع الحياء حسن أن يصرح عما يحول فى خاطره فأجاب صديقه قائلاً :
— أنا أكتب فى الجرائد ؟ هذا أمل قل أن يتحقق

— ولم لا ؟ انت اسلوبك يا عزيزى انيق الديباجة مهذب اللفظ ولا أغالى انك فى مدرستنا . نقطع القرين

وعند ما سمع حسن عبارات المدح من فم صديقه قال دفعة واحدة وقد أنساه المدح حياءه الطبيعى

— أظن ان اسلوبى أرق من اسلوب ابراهيم يسرى ؟
وعات وجهه بعد ذلك حمرة الخجل كأنه لم يكن ينتظر من نفسه

ان يتفوه امام احد اخوانه بكلام يشم منه رائحة الغيرة
— ابراهيم كاتب تستعيد الأسماع عبارته ولكنه ذونك يتراحل

— انك تمزح يا عبد العزيز

-- لم أعود المزح متى كنت جاداً. انى ألومك على كسلك وإهمالك
السير في الطريق التي اختطتها لك . وواهبك والكنى أحذر كحياءك فأنت
وان كنت أفصح التلاميذ عبارة فأنت أكثرهم حياءً وأشدهم خجلاً

— هذا حق لا مرية فيه وانى أشكو انفسى حياء نفسى

وسمع حسن تلميذا يناديه من بعيد فاعتذر لصاحبه وفارقه وهو
فرحان جذلاً . واتخذ بعد ذلك عبد العزيز وجهة المدينة وفيها لاقى ابراهيم
يسرى فقابله وهو مهال الوجه وصاخه وهو يقول له :

— لله درك لقد قرأت مقالاتك وما زلت تملأ بخمرة بلاغتك الى الآن

— خمرة بلاغتي ؟ إنك تغالى فى القول .

— أقسم لك بالله وبالشراف انى لا أقول الا الصدق

— وهل قرأت المقالة حتى آخرها ؟

— واستعدتها ثلاث مرات متواليات وقرأتها المرة الرابعة صباح

اليوم وأنا فى الترام

-- وما رأى اخوانى الطلبة فيها ؟

— كلهم يحبذون عملك ويقرون لك بالتفوق فى ضروب الانشاء

ومن بينهم من يحسدك

— من يحسدنى ؟ وعلام هذا الحسد ؟

— لأنهم يودون الصعود بلا تعب الى المسكاة التي وصلت اليها

يحسدك وعملك

— ومن هم هؤلاء ؟
— لم أحداث إلا فرداً منهم
— ومن هو ؟
— انى لا أحب نقل الكلام من أفواه الحاسدين الى آذان
المحسودين

— أنت صديقى وأخى ولم أتعود منك اخفاء الحقيقة عني
— اعذرني يا صديقى اذ كتبت اسمه عندك
— وهل فى ذكر اسمه من بأس ؟
— كلا ولكن علام كثرة الكلام فى مثل ذلك
— لقد عرفته فهو بلا شك أحمد عبد الله . انه نظيرى من يوم
أن أمسكت أنا ملي القلم
— ان الله لا يحب الظالمين يا ابراهيم وحرام أن تعظم الأبرياء
— هو اذا على فؤاد . انه لا يقر لى بفضلى ويهزأ بمقالانى
— ولا هذا أيضا . انك تحتال على لأصرح لك باسم ذلك الذى
أخطأ فى غمطك لا فى حسدك .
— اذا كان هو ممن يعطونى وليس ممن يحسدونى فلماذا
لا تصرح باسمه .

— أخشى أن تكون قد كتبت له الضغينة
— لست خسيس النفس ولا غليظ الطبع لأفعل ذلك .
— حاشا أن تكون كذلك يا ابراهيم ولكنى أبرهن لك على حسن

ظنى فيك أقول لك ان الذى غمطك هو حسن أمين
— أبو الانشاء !!! ...

وضحك ابراهيم يسرى ضحكة طويلة وأردف ضحكه بقوله
— لقد قرأت له موضوعا انشائيا رفع فيه المفعول ونصب الفاعل
وكاد أن يسكن المبتدأ لولا أن تداركته رحمة من ربه . اذا كان هذا الفتى
استغفر الله بل (هذه الفتاة) يحسدنى على ما أنا فيه من نعمة وهناء فبشره
بخذلانه وانحداره لانه لا ينهض وان ينهض من الهاوية التى رماه فيها
حيأوه النسائي .

— ان فى نفسه ميل للكتابة فى الجرائد
— يريد أن يجاربنى ؟
— بل يريد أن يظهر للناس بلاغته
— انه قلق المعانى مضطرب المباني وسيدق كذلك الى ما شاء الله .
ودق الناقوس فأسرع الطالبة للدخول فى الفصول .

...

جاس حسن أمام مكتبه وأخرج من قطره كتاب كلىة ودمنة
وألقاه أمامه غير عابئ به ثم مكث هنيهة يفكر كأنه يسأل نفسه الاقدام
على شئ ثم أخرج من درجه ورقة بيضاء ومن جيبه قلما من الرصاص
وأسند رأسه بيده اليمنى واضعا قلمه بين يديه مستساما لأمانيه العذبة
وأحلامه اللذيذة ودخل فى هذه الساعة أستاذ المطالعة (وكان غير
الصاعقة) فقامت له التلاميذ وقوفاً لتؤدى له التحية ومكث حسن

جالساً كأنه لم يعياً بأستاذه وحسن حفظه لم يلتفت إليه الأستاذ . ابتداء
التلاميذ في المطالعة وكان أول القارئ فتي من أبناء ملوى له لهجة أبناء
الصحيد وهي لهجة تستهجنها آذان أبناء مصر وإن كانت أقرب للعربية
الفصحى من لهجتهم التي لا تنبؤ عن أسمائهم . قرأ التلميذ واسترسل في
قراءته وفسر الالفاظ المغلفة وكان يعارضه الأستاذ في معانيها والاستاذ
من الاساتذة الذين يعتمدون الكلام باللغة الفصحى له . منظار لا يفارق
عينيه الا ساعة نومه ويقال أن أول شيء تمتد اليه يده عند استيقاظه
من نومه هو منظاره الكريم ولذا اعتاد أن يضعه تحت وسادته . وقيل
أنه حل بالمنظار في احدى الليالي حادث جلل وكان الاستاذ مستغرقاً
في النوم فلما استيقظ في الصباح بحث عن منظاره كمعذرة فوجد زجاجه
متهشماً فلم يفارق سريره طول يومه . كل هذا لا شأن له في قيمة الاستاذ
لانه كان وديع الاخلاق لطيف السجايا محبوباً من التلاميذ لتساهله
ورفته .

انتهى التلميذ الاول وابتدأ الثاني وحسن تأثته في بيده افكاره
يكتب في ورقته جملة ويشطب أخرى ولا يسمع الا (قال دبشليم الملك
لبيدبا الفيلسوف) تقطع عليه أحلامه الخيالية . وما مرت الساعة الا
ومقالة حسن كادت أن تتم الا قليلاً . ودق الناقوس فهرعت التلاميذ
للخروج وطوى حسن رسالته ووضعها في جيبه وحمل محفظته تحت
ابطه ووضع يديه في جيبي (بنطلونه) ومشى يترنح بمنة ويسرة وقد
أسكرته خمرة ما خطته يده .

خرج حسن مع من خرجوا من التلاميذ ومر أمام البواب كما دته
فقال له البواب وقد رأه مسروراً

— أسمعيت مساءً يا حسن بك

— أسمعيت مساءً يا عم طه

وابتسم حسن للبواب وأخرج من كيسه قرشاً أعطاه له في يده
فشكره البواب ودعاه له وسار حسن في شارع درب الجمايز إلى أن وصل
إلى قهوة (النادي المصري) وجلس في الركن الذي اختارته نفسه منذ
طرفت قدماه أرض هذا النادي المبارك وطلب من الخادم القهوة كالعادة
وورقة بيضاء وقلمًا وحبراً. وما لبث في مكانه هنيهة إلا وأتاه الخادم بما
طلب وزاد عليه الجرائد الأربع وأتم حسن مقالته في النادي وفيه انتهى
من تبويضها أيضاً. وجلس يقرأها المرة الأخيرة واستوقفه عنوانها ثلاث
دقائق وكيف لا يستوقفه هذا العنوان هذه المدة الطويلة وهو عنوان
غريب وجميل (الأم الشقيقة القاتلة) وما هي تلك الأم التي تشفق على
أبنائها ثم لا تلبث أن ترهق أرواحهم. هي بلا نزاع البورصة وأنه حقا
اسم وافق مسماه. قرأ حسن العنوان للمرة الخامسة والعشرين بعد المائة
وهو يبتسم ويقول لنفسه (ليت شعري أينشر صاحب الجريدة مقالتي
هذه؟ ولم لا ينشرها؟ وهل أنا أقل شأنًا ممن يكتبون في جريدته. لقد
شهد لي القاصي والداني في المدرسة بمتانة الأسلوب وعلو الأفكار. إنها
بلا شك ستنشر ولا نزاع في ذلك)

وقرأ مقالته مرتين وأراد أن يقرأها المرة الثالثة ولكنه سئم من

التكرار فطواها ووضعها في ظرف أتاه به الخادم وكتب على الظرف
بخط واضح :

إدارة جريدة الحقائق بالقاهرة

حضرة الفاضل رئيس التحرير

• مصر

وهم واقفا وهو يتسم ثم سار في شارع محمد علي موسعا الخطا ومر
على أربعة من صناديق البريد ولكنه فضل ان يلقى خطابه في (دار البريد
الكبرى) بالعتبة الخضراء ليكون آمنا عليه ولما وصل الى تلك الدار
ألقى في صندوقها الخطاب ثم أرسل زفرة طويلة تعبر عما يحتاج قلبه
من ألم اليأس وحلاوة الأمل .

الفصل الثالث

- ماذا تفعلين يا لبيبة ،
- ألبس ردائي الجديد يا أماء
- وعلام تلبسينه وأنت لا تغادرين الدار اليوم ؟
- وهل يسوؤك ذلك ؟
- كلا يا بنتي

لم تلبس لبيبة ردائها الجديد الا ليراه حسن . ونعيمة هانم أمها
لأنجهل ذلك واكنها تجاهله لأن الامهات يتغاضين عن هفوات
بناتهن ويسعين سرّاً في اصلاحها . ولذا سكنت نعيمة هانم ولم تناقش
بعد ذلك فئاتها فيما فعلت

وظلت لبيبة تروح وتجي أمام المرأة وهي تصلح من شأنها الى أن
حان ميعاد حبيبها فذهبت الى الغرفة التي تطل من شباكها لتقرأه
السلام وتستقبل قبالاته الحارة يحملها اليها نسيم الغروب .

..

دخل عبد الرؤوف أفندي بيته ونادى زوجته لتساعده على خلع

ملا بسه فلبت نداءه وبعد ان لبس لباس المنزل جالس على مقعد من الخيزران واشعل سيجارة واسترسل في تأملاته . وجالت زوجته بجواره وهي تنظر الدخان المتصاعد من فمه الى سقف الغرفة . ثم التفت اليها بعد قليل وقال !

— سنغادر هذا المنزل آخر الشهر

— ماذا تقول ؟

— أقول إننا سنغادر هذا المنزل آخر الشهر

— والى أين نذهب ؟

— الى حيث يسوقنا القدر

— أنغادر القاهرة ؟

— هذا ما لا ريب فيه

— وأى حادث حدث ؟

حدث ما لم يكن في الحسبان . لقد خافنى رئيسى فى الديوان فسمعت مرارا لجماله على نسيان تلك الهفوة الصغيرة فأبت نفسه الصفع وقرر نقلى فى آخر الشهر . فاعنته الله على الدسائس الذين لا تهدأ نفوسهم الا اذا أوقعوا بين المرء وأخيه

— ومن ثم هؤلاء الدسائس ؟

— قوم فى الديوان عادون فى انشأطى واستقامتى وعز عليهم أن أكون محبوبا من رئيسى فتقربوا اليه بحياهم الشيطانية وانتظروا هفوة صغيرة ارتكبتها . فلما حانت لهم الفرصة أغروه على نقلى فصدع لاغرائهم

— أما من رجا في صفحه ؟

— لقد فعلت المستحيل فلم أنجح فسكلى الأمر لله

سكنت نعيمة وقد هالها ما سمعت ومكثت مدة وهي تفكر في أشياء كثيرة . عزَّ عليها أن تفادر هذه الدار التي تربت فيها ابنتها . عزَّ عليها أن تباعد عن المنزل الذي يسكن فيه أهل زوجها . عزَّ عليها أن تفارق القطعة التي ألفتها . وعزَّ عليها أن ترى الدمع يجول في عيني ابنتها لفراق من وهبته روحها الطاهرة . والأم وإن كانت تكره من ابنتها أن تميل لأحد الشبان فإنها تكره أيضاً أن تراها تبكي وتتجنب لفراق من تميل إليه . وما زالت نعيمة هانم مسترسلة في أفكارها إلى أن قال لها زوجها .

— وما قولك في هذه المصيبة الجديدة ؟

— وما ذا تريد أن أقول ؟

— كنت أظن أنى سأنقل إلى بلدة قريبة كالجزيرة حتى لا أرغم على مفارقة هذا المنزل المحبوب ولكنى سمعت اليوم بل تأكدت إنا سندسافر إلى أسيوط أو إلى دمياط

— يا لله . سنحرم من لقاء أحبائنا أعواماً عديدة

— ربما كان الأمر كذلك . تلك بلاد لا نعرف من أهلها أحداً وسنعيش فيها كالغرباء حينئذ من الدهر . عيشة الغرباء مؤلمة لا تحتملها النفس .

— تلك مشيئة الله يا عبد الرؤوف

بينما كان عبد الرؤوف أفندي يحدث زوجته كانت ابنته لبينة واقفة
أمام الشباك وقد أسندت رأسها بذراعها واستسلمت لأحلام غرامها الى
أن سمعت صوت ابن عمها يقول

— مساء الخير يا عزيزتى

احمر وجه لبينة وقالت

— أسعدت . مساء يا حسن . كيف حالك اليوم ؟

— كما يود لى كل حبيب . ما هذا الثوب الجميل ؟

— أتراه جميلاً ؟

— جداً . ولكنه أقل جمالا من لابسته

— أتظن ذلك

— بلا شك يا فاتننى ، ان ثوبك جميل ويزيده جمالا قدك الأهيف

وشعرك الاسود ومعصمك الجميل وعيونك الساحرة

— لا أطل مديحك يا حسن

— أنت حورية من حور الجنان وأنا عبدك الواله المطيع . ألا

تعرفين يا لبينة فيم أفكر كثيراً ؟

— فى نوالك الشهادة

— أنا لا أنكر انى أفكر فى ذلك ولكنى أفكر فى أمر آخر

تصبوا اليه نفسى كثيراً . احذرى يا لبينة . احذرى فانه يلذ لى أن تحذرى

ما يحول فى فكرك فى كل دقيقة بل فى كل ثانية

سكتت ليبيبة هنيهة لتفكر ثم قالت :

— لا أعلم

— انك اذا لا تخبيننى لآئك لا تفكرين فيما أفكر فيه

احمر وجه ليبيبة ووضعت كفها على وجهها لتخفى احمراره لأنها
أدركت أن حسن لا يفكر الا بزواجه بها وهو ما تفكر فيه أيضاً . ثم
قالت له بعد قليل .

— بأى شىء تفكر يا حسن ؟

— ألم تدركى بعد ، انى أفكر فى زواجنا . فهل تفكرين فيه أيضاً

فقالت وهى مطمئنة الرأس

— فى كل آونة

فابتسم وقد سره سماع هذا الاقرار من ذلك النعم الجليل ثم قال

لها وقد ارتسم السرور على وجهه

— انى سعيد يا ليبيبة اليوم لثلاث أمور ، أولها رؤيتك فى هذا

الثوب الجميل وثانيها اقرارك لى بأنك تفكرين فى زواجنا كل آونة .

وثالثها أمر آخر لم يتحقق بعد

— وما هو ؟

— أنت تعرفين أنى أحب الانشاء كثيراً

— نعم

— وأود أن أصبح يوماً كاتباً عظيماً فى إحدى الجرائد

— نعم

— لقد أقدمت على عمل عظيم اليوم

— وما هو؟

— كتبت مقالة وأرسلتها لتشر في إحدى الجرائد

— ولأى جريدة أرسلتها؟

— لجريدة الحقائق . . .

ولم تبد لي بيبية اهتماماً كبيراً لما أخبرها به حسن لتفكيرها بحجبها وزواجها
وسعادتها فوز على حسن بل ساءد كثيراً أن يرى من لبيبته ذلك . فاجهر
وجهه قليلاً وغص بريقه عند ما حاول متابعة حديثه شأن كل حي يدفعه
الحياة الى ما يقرب من الجبن ثم نظر الى السماء كأنه يسأل الله خلاصه من
خيئته ثم نظر الى الأرض هرباً من نظرات لبيبته وكأنها شعرت بما يدور
في خلده فودت إصلاح خطأها فحادثته بصوت حنون تبرا عند سماعه
القلوب الكريمة قائلة

— أوافق أنت من نشر مقالاتك؟

— لا أعلم

وسكتت خوفاً من الكلام فابتسمت لبيبته ابتسامة تعبر عن هزيمتها

وسكتت ناظرة للنضاء

لبت حسن هنيئة يفكر وكل فتى حتى يحاول التفكير اذ فيه التعزية
الكبرى لحبيبته وقد حدا به فكره الى مغادرة حبيبته ولكنه لم يستصوب
هذا الرأي مخافة أن يسيء لمن بهوى فزادت حيرته ولكنه اهتدى دفعة
واحدة لرأى ظنه صائبا وسرعان ما بهتدى التقي الحى للآراء الجديدة .

فقال لنفسه سأشرح لها شؤون الكتابة والكتاب لتقف عليها. فالتفت إليها فوجدتها تبتهّم كأنها تسأله الصفح والرضى فقال لها بصوت متهدج — انك بلا شك لا تعرفين ما يعاينيه الكاتب عند كتابته مقالته — أود أن أعرف ذلك

وكان هذا الرضى مفتاح استرسال حسن في حديثه فقال — آه يا عزيزتى لو كنت تعرفين ذلك ؟ إن الكاتب إذا جالس أمام مكتبه وأمسك بالقلم في يده استرسل للتفكير أولاً فإذا ما اختتمت الفكرة في رأسه أراد أن يكسو معانيها ألفاظاً أنيقة تلذ القارىء، فإذا وفق لذلك خطها فلمه على الورق الأبيض بالمداد الأسود ويكون هذا شأنه في كل ما يكتب ولا تظنين أن الأفكار تنرى في رأس الكاتب تباعاً ولا أن الألفاظ دانية القطوف . وإذا أراد الكاتب أن يكون ببسوط العبارة متناسب الفقر بعيداً فيما يكتب عن شوائب اللبس فإنه لعمري يحاول المستحيل والدليل أنا لا نجد في مصر عدداً كبيراً من الكتاب — وإذا وفق الكاتب الى كل ذلك ،

— اذا وفق . يدخل جنة الحياة تحمله اليها ملائكة البلاغة — ما أحلى وقع هذا الكلام في أذنى . أستحظى يا حسن بكل ذلك — اذا أراد الله لى الخير

— سأسأله في كل لحظة أن يزيلك هذا المقام الرفيع — أنت اذا تشاطر يبنى فرحى ؟ انك لا تعلمين كم أنا سعيد بذلك . ظننتك لا تهتمين بما تعبوا اليه نفسى ، بتلك الامنية التى أصبح اذا فلها

أسمع إنسان في مصر فإذا بك تسألين الله أن أحظى بها عاجلاً فشكراً
لك ، اللهم شكراً لك .

ورفع حسن يديه للسماء شاكراً فابتسمت حبيبته وقالت له
— ومتى تظهر . مقاتلك ؟

— بعد ثلاثة أيام أو أربع لأنهم سيقدمون عليها . قالات كبار
الكتاب واني أعدك انك ستككونين أول من يسمع بظهورها
— بالسعادة نفسي في ذلك اليوم

ونظر المحبان للسماء فوجدا الظلام بدأ يضرب خيامه فافترقا وهما
يبتسمان . فلما أدار حسن وجهه لغرفته وجد نفسه فيها وحيداً ولم يطق
أن يستأثر بسعادته الكبرى فلم يدرك ما يفعل فابتدأ بالقفز في غرفته فإذا
به يرى كلبه (سحاب) يقفز خلفه كأنه يشا طره هنائه وسعادته .

الفصل الرابع

أتى ناظر المدرسة الخديوية يمشى الهوينى الى أن وصل الى الدرج فوقف عليه ليحيط طلبته قبل انصرفهم . وكانت الطلبة قبل ظهور ناظرهم فى هرج ومرج فلما رأوه قادم اليهم لزموا السكون كأنهم كانوا متأهبين له . حيا الطلبة رئيسهم وحياتهم وانصرفوا الى الخارج والحرية نصب أعينهم ، وليس شئ أحب الى قلب الطالب من تلك الساعة الجميلة ساعة انتهائه من درسه واستنشاقه عبير حريره

مشى ابراهيم يسرى الهوينى الى أن وصل الى الباب الخارجى وهناك قابل عبدالعزيز واقفا يمسح حذاه وهو يطالع جريدة اللواء فابتدعه بقوله

— هل من أخبار جديدة

— لا أرى شيئا يستحق العناية

— وباب المقالات ؟

— أرى فيه ردًا لمن يكتب تحت لقب (عبد ربه) على مقالات

احمد نديم

— لقد صار احمد نديم ذائع الصيت بين كبار الكتاب

— انه يكتب منذ سنين عديدة

— ومن هذا الذي يكتب تحت اسم (عبد ربه) ؟

— يقولون انه موظف باحدى النظارات وآخرون يقولون انه تلميذ

(بالمدرسة السعيدية) وآخرون يقولون انه من كبار قضائنا .

— أصدق انه قاض أو موظف ولكنى لا أظن انه طالب

— ولم لا ؟

— أكتب الطلاب كلامًا كهذا

— وهل تستكثر عليهم ذلك وأنت منهم ؟

— انى ما زلت من الكتاب الحديثين

وابتسم ابتسامة تدل على اعتقاده عكس ما يقول ولا يستغرب

القارىء ذلك من ابراهيم يسرى بعد أن عرف كل اخوانه أنه ممن

يعتقدون في أنفسهم الألوهية في فن الكتابة وزد على ذلك أنه حسود

يكره أن يرى تلميذًا مثله بجاريه في مضمار القلم . أما عبد العزيز فهو من

التمامين الذين تدب عتارهم بين القوم فتقطع بينهم حبس الود والاخاء

ومن يتبعون السيئة حتى يقضوا لبااتهم وينالوا غرضهم .

سمع عبد العزيز جملة ابراهيم وقال له :

— انى لا أعتقد ذلك

— أأساوى (عبد ربه) وهو من جهابذة أهل العلم أصحاب النقد
الصحيح والفكر الثاقب

— لكل منكم طريق لم يسلكه الآخر . أنت تكتب فى الخيال
وهو فى النقد

— وهل تظن أنى عاجز عن انتقاد الكتّاب أجمعين ؟
— أنا لا أقول ذلك وبسرّنى أن أرى فى نقدك إن شاء الله صواب
الفكر ودقة النظر .

— سوف تقرأ عن قريب فى إحدى مجلاتنا الكبيرة عدة مقالات
فى معنى النقد وشروطه

— وأتعلم أن تكون بتوقعك
— ان شاء الله تعالى . ألا ترى ان الكتّاب الذين يكتبون فى النقد
يحيدون كثيراً عن الصراط المستقيم ؟
— لا أرى ذلك .

— هذا لأنك لم تقرأ فى الانكليزية كتب النقد الصحيح وهى
كثيرة يا صديق وان شئت اقرضتك كتاباً منها لتقف على هذه الروح
العالية المتقودة عند كتابنا سامحهم الله

وانتهى عبد العزيز من مسح حذائه ونفح ماسح الأحذية قرشاً
ومشى مع ابراهيم جنباً جنب وهو يقول له

— انى أشكرك يا عزيزى ومتى أحظى منك بهذه المنحة العظيمة
— غداً ان شئت ذلك

— ان نفسى اوراقه لقراءة هذا الكتاب

— غدا تبتيدي في مطالعته في حصه المطالعة الانجليزية لان

ستاذها كما تعلم لا يهيمه كثيرأ ما تفعله التلاميذ

— إنه اذا دخل الفصل جلس على مقعده إلى أن يدق الناقوس

— ولكن نتيجه حسنة دائماً . فما السر في ذلك ؟

— سعادة حظه

عند ما قال عبد العزيز كلمة « سعادة حظه » ضرب بيده على رأسه

كأنه يأسف على نسيانه ذكر أمر كان يوده أن يقوله ليسرى . ثم قال له

— لقد نسيت أن أقول لك أن صديقك أبا الانشاء قد أرسل

مقالة لجريدة الحقائق

— لقد أخطأت يا صديقى في إلصاق لفظ الصداقة بصفاته وكان

الأولى أن تقول (حاسدك لا صديقك)

— انك ما زلت تضمر له الشر

— انى أمزح . معك يا عبد العزيز ولا أخالك تعتقد في غير ذلك

وما موضوع مقالاته ؟

— البورصة

— وما عنوانها ؟

— الأم الشفيقة القتالة

— ومتى أرسلها ؟

— منذ يومين

— ومتى أخبرك بذلك ؟

— صباح اليوم

— عنوان يأخذ بمجامع القلوب . انى أهنىء صاحبك يا صاح على

هذا الذكاء

— اما زلت شهراً به ؟

— ان العنوان أطربنى ولذا ترانى أترنح كالشارب النمل

ومشى وهو يترنح عثة ويسرة مقلداً شارب الحمر وضحك بمد

ذلك متحركة عالية ثم التفت الى صديقه وقال له

— بشر صاحبك بنجاحه فى مسعاه لأن صاحب « الحقائق »

فقير المادة فسوف يرى فى مقال أبى الانشاء عوناً له يستعين به

— أتهزأ بصاحب « الحقائق » وأنت أول من كتب فيها .

— ان للحقائق فضل على ولى عليها أيضاً فضل عظيم وأظنك

لا تنكر ذلك .

ووصل الصاحبان الى ميدان العتبة الخضراء فقال عبد العزيز لصاحبه

— كنت أود أن أتم حديثى معك ولكنى مجبر على مغادرتك

— وأين تقصد ؟

— شارع الموسكى حيث أشتري (نصف دمتة) من الممرابات .

وغادر عبد العزيز صاحبه فوقف ابراهيم هنيهة ينظر طوراً للعباء

وطوراً للسماء وهم الى جهة دار البريد وإذا به يسمع صوتاً يناديه فالتفت

خلفه ليرى المنادى وعندها صاح بلء فيه

— أنت ! أما دار بخلدى أن أراك اليوم . فيا حسن حظى . لقد صدق

المثل العامى (افكرنا القط جانا ينط) واين كنت ؟

كنت جالساً على هذه القهوة (وأشار بيده اقهوة النيل) لأستريح
واذا بى أراك تقاب نظرك فى أديم الأرض طوراً وفى صفحة السماء تارة
أخرى فقلت لنفسى والنفس كما تعلم تحب لقاء الأديب : هاك طابيتك التى
كنت تطمحين اليها منذ حين . فناديتك وأنا آمل أن تشملنى بعطفك
بعد أن رميتنى بهجرتك وصدك

— لا صد ولا هجر فبما فعلت أيها الأخ الكريم ولكن المدرسة . . .

— لا تلجئنى لأن أقول (العذر أقبح من الذنب)

— مغفرة وصفحاً لو كنت أذنبت وتسامحاً لو كانت الظروف
أذنبت .

— هذا كثير يا عزيزى . فلا تجمانى بالله عبد لطفك أبدي الدهر

— لا يسع محدثك الا أن يقر لك بالتفوق فى كل شئ ،

— هل لك أن تجانسنى قليلاً ؟

— ذلك ما تصبو اليه نفسى . انى كنت أنظر لأديم الغبراء تارة

واصفحة السماء طوراً لانى كنت أنبحث عن أخ كريم مثلك يسمعنى من
فيه آيات السحر الحلال .

— بورك فيك يا عزيزى

وذهب الصديقان لقهوة النيل وجلسا أمام خزان صغير وابتدأ

فى الحديث بعد أن صفق صاحبنا الجديد مرتين فلما اتاه خادم القهوة طاب

منه أن يأتي إبراهيم بفنجان قهوة أتى به الخادم بعد قليل .

— كنت منذ حين مع بعض الاخوان وكنا نتحدث بشأن

جريدتك

— اني لأعجب لذلك بعد أن أغضيت الطرف عن جريدة لا أعدها

إلا من بذات فكرك

— لقد اعتذرت لك يا صديقي فلم تقبل عذري وايسر أمامي إلا شيء

واحد أصاح به خطأي . سأكتب في جريدتك من جديد حتى لا تقول

عني اني أهملتها بعد ان كنت من العاملين على نجاحها

— أشكرك يا صديقي

— ولكن كيف حال جريدتك ؟ أفي عزمك أن تجمعها يومية ؟

— لعن الله من يذوق لذة العلم في بلد كمصر . اني أقرأ الجرائد

والمجلات الأوربية وأقتطف منها ما لذ وطاب وأنشره على صفحات

جريدتي ليستفيد منها المعجم والمطربش ولا يكون جزائي على كل ذلك

إلا الصبر والاعراض

— لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

— ولقد طرقت باب السياسة وباب الاجتماع وأردت أن أكتب

في الفلك والرياضيات ولكن خاب فإلى وتلاشت كل آمالي وكرهت

الصحافة بعد ان كنت أتقاني في الزود عن حياضها

— كل هذا يفت في ساعد اهل الأدب ولولا انك ذو همة قصية

المري وعزيمة تفل الحديد لنصحت لك بايقاف جريدتك

— حاشا أن أفعل ذلك ولو قُطعت أرباً أرباً . وسأعمل الى النهاية
وان أفلت صحيفتي عطاءها ولم أنل منها الا النذر اليسير
— ألا تخاف الخراب ؟

— أنا واقع فيه يا صديقي من يوم أن فكرت في انشاء الصحيفة .
أنسيت ان الصحافة لم تنعم على بشىء
— وبعد ؟

— سأجاهد حتى ألفظ النفس الأخير
— همّة شماء فلله درك من رجل
— ألم تقرأ (برق) يوم الجمعة الماضي
— كلا

— لقد كانت (افتتاحيته) ملاءى بالمطاعن
— ومن كان فريسة (البرق) في الأسبوع الماضي ؟
— جريدة الحقائق
— جريدتك أنت

— نعم . وعلام العجب والبرق جريدة لم تنشأ الا لتنهش
أعراض الناس

— وما الذى ذكره صاحبها في مقالته هذه
— قال انى أسب الناس لاستدر أموالهم
— حاشا ان تكون ذلك الرجل
— لقد كتبت عدة مقالات أستحث بها اغنياءنا على مساعدة اهل

العلم والأدب ولمت بعضهم على توانيه وتناعده عن خدمة رجال الصحافة
— وهل ذكرت أسماء الأشخاص؟

— لم أذكر أسماءهم ولكنني وصفت صفات بعضهم وصفاً دقيقاً
يعرف به القارئ اسم الموصوف
— أفعلت ذلك؟

— وكيف لا أعمل ذلك وقد أصبحت في هذا البلد الأجنبي كالمشتريدين
لا نجد لقمة بها

— وما الذي دفعك لارتكاب هذا الزلل؟

— لأزال فيما فعلت أيها الصديق القديم . ذهبت عند أحد
البشوات لأسأله بدل الاشتراك فاعتذر بمرضه أولاً وتغيبه عن قصره
ثانياً ثم بطردى من القصر ثلثاً ٠٠٠ وذهبت عند أحد البيكوات فقال
لي بسماحته المروفة (لقد أخطأت يا صاح في العنوان) وذهبت عند
أحد الكبراء فقفر فاه عند ملاقاتي وسبني أمام خدمه ولولا ما أظهرته
من الشمم والاباء لضربني بيده ورفضني بقدمه فماذا تقول في كل ذلك ؟
— جنایات فظیعة على رجال الصحافة

— أليس كذلك؟

— لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . لقد أصبحت الصحافة
محتقرة في أعين العظماء والكبراء والاعنياء فمن يعولها في كنفانة الله
بعدهم؟

— كنفانة الله ! أتسمى مصر بهذا الاسم ! قل جعیم الله . قل

غضب الله . قل صواعق السماء . قل قاذورة البلاد قل . ما شئت فقد
أجأتنا الحاجة في هذه البلاد لنصير كالذئاب الجائعة تأكل بعضها بعضا
ولكن يظهر لي أنك لا تتقرأ « الحقائق » منذ مدة طويلة لأنك تجهل
ما يكتب فيها

وابتدأ ابراهيم في خلق اعتذاراته وشرحها بما أتاه الله من فصاحة
اللسان وبلاغة الكلام حتى صرف . في ذهن صاحب الحقائق نحوه .
وما صاحب الحقائق هذا إلا تلميذ حاز شهادة الكفاءة ثم الجأته الضرورة
لأن يتخذ الصحافة . هنة فابتدأ عمله شريفا ثم ختمه بسب الناس وشتمهم
كما تفعل أصحاب الجرائد الأسبوعية التي لم تنشأ إلا لهذا الغرض .
وهو صديق قديم لابراهيم يسرى و ابراهيم هذا كان من أكابر معضدى
الحقائق وعلى صفحاتها نشر مقالاته الاولى ولما وجدها تدهور من هاوية
الى هاوية صدعنها وابتدأ بالكتابة في الجرائد الكبيرة الى أن حاز الشهرة
التي رفعتة الى مقامه الكبير بين اخوانه الطلبة . ولقد اراد حسن امين
ان يقلده فيما يفعل اينال في الحياة حظا اكبر من حظه واعظم فأرسل
مقاتله الأولى لجريدة الحقائق

مكث ابراهيم يتجادث مع صاحب « الحقائق » مدة طويلة الى
أن قال له

— ومن ذا الذى يعاونك على التحرير ؟

— رأسى ويدي

— الا ترد إليك رسائل من كبار الكتاب ؟

- بل من صغارهم
وأخرج من جيبه خطاباً أعطاه لإبراهيم وهو يقول له :
— هاك مقالة وصلتني أمس من كاتب مجهول يسألني فيها ان لا
اذكر اسمه الحقيقي
— وأى اسم اختاره لنفسه ؟
— رعمسيس الثانى . خذ واقرأ لتقف على المقالة
قرأ إبراهيم المقالة ثم ردها لصاحبه وقال :
— انى أعرف هذا الصرصور الصغير . انه معنا فى المدرسة
— فى السنة الرابعة معك
— فى السنة الاولى وله كلف عظيم بالانشاء حتى لقبه الطلبة بأبى
الانشاء . أعازم أنت على نشر هذه السخافات ؟
— لم يقر رأى بعد على شىء
— انى اربأ بـجريدتك الراقية ان تتلوث بهذه القاذورات النجسه
— اترأى فى مقال صاحبك ذلك ؟
— انى لا أعد هزوة المدرسة صاحبلى
— أتهزأ الطلبة بهذا التلميذ ؟
— هو موضوع سخريتهم أجمعين
— انك اذاً اعلى حق . مزق المقالة والقها على الارض لتدوسها المارة
وكفى جريدتنا . احل بها . من المصائب حتى ازيدها بكلام هذا التلميذ
المهزأ مصيبة على مصيبة

— أنا لا أمزق كلام الناس يا صديقي

— هاتها

وأخذها من يد إبراهيم ومزقها وألقى بها على الأرض وهو لا يعلم
أنه يمزق بذلك غشاء ذلك القلب المسكين قلب حسن أمين وقد دفعه على
ذلك ما كان قائماً في قلبه من الحقد على أعدائه وعلى الأغنياء والعظماء
وقام يتبعه إبراهيم وقد ارتسمت على شفقي هذا الخبيث ابتسامة
الغلبة والظفر

الفصل الخامس

دخل حسن قهوة « النادى المصرى » وطالب جريدة الحقائق فأجابه الخادم قائلاً (اننا لا نشترى هذه الجريدة ياسيدى) فأخرج حسن من جيبه قرشا وقال للخادم (اذهب واشترها لى) فصعد الخادم لأمره واتاه بها بعد حين

أمسك حسن جريدة الحقائق بيده وبحث فى الفهرست عن عنوان مقالته فلم يجده فكذب الفهرست وبحث فى جميع الصفحات فلم يجد من مقالته حرفا واحداً فأظلمت الدنيا فى عينيه وأقبل الجريدة وألقى بها على الخوان وعافت نفسه قراءة الجرائد الأخرى فأطاق لفكره العنان .

سكت حيناً يفكر فى أشياء كثيرة الى ان سمم التفكير فقام يتمشى وهو مطرق برأسه . ثم أطاق من بين جوانحه زفرة ألفت اليه انظار المارة ومشى غير عابئ بأحد .

لم يسلك حسن سبيله الى المنزل لأنه كان سائراً على غير هدى
ولكنه كان يأمل الخير في الغد مع أن شواهد الحال كانت تنطق بغير
ذلك . لقد مرت على . قائلته ثلاثة أيام والأقدام تدوسها في الشارع ولكنه
كان يحمل ذلك فكان يقول لنفسه « إن لم تنشر . قائلتي في الغد فعلى آمالي
السلام » . وباليته كان عالماً بما حل بها حتى لا يفاجأ في الغد بالم بهجس في
ضمره قبل ثلاثة أيام

ليس شيء أصعب على نفس الناشئ من حبوط أول أمل له ، كما
أن هذا الحبوط هو أكبر باعث له على إعادة الكرة لنيل أمنيته وتحقيق
غرضه . وتكبر صعوبة حبوط المسعى على الناشئ إذا كان من خلقه
الحياء وضعف الإرادة وحسن أعظم . مثال لهذا النوع من الناشئين . ولذا
كان الله عظيماً ، ولم يمت في قلبه داعي التأسى إلا أمله في الغد وكان الغد
آخر موعد لنشر . قائلته ، ففي الغد يفتح حسن صدره للبؤس أو للسعادة
مشي حسن من شارع الى شارع وهو لا يلوي على أحد الى أن
وصل الى منزله بعد الغروب فأبناها أمه فلم يجب عابها وانتظرت حبيبته
لتقرؤه السلام كالمادة فذهب انتظارها سدى ولم يعز به على مصابه في
ذلك اليوم الا كلبه « سحاب » .

...

اشرقت الشمس في الصباح وخرجت الناس من منازلها والطيور
من أعشاشها وتكلمت السنة المدينة بعد أن سكنت طول الليل ومشى
حسن من بيته الى المدرسة وهو غير عابئ بما حوله ولما وصل إليها وقضى

بها ساعتين وقف في الفناء مع اخوانه الثلاثة. يذيتجاذب أطراف الحديث
واذا ابراهيم يسرى يقرئه السلام ويقول له

— مالك تفكر يا حسن . أحلت بك مصيبة ؟

— أيتبتك حالي بذلك ؟

— نعم .

— انك واهم يا عزيزي . لم نحل بي مصيبة كبرى ولكن حياة
الانسان لا تخلو من المسكدرات

— صدقت . أقرأت أمس جريدة الحقائق ؟

— وهل « الحقائق » جريدة تستحق المطالعة ؟

— لقد أخبرني صديقي عبد العزيز أنك أرسلت لمديرها مقالة نفيسة .

ارتج على حسن في هذه الساعة ولم يعلم ما يقول واهر وجهه خجلا
وسكت هنيهة وهو ينظر لأقدام من كان حوله ثم رفع بصره لبراهيم
يسرى وقال له

— أخبرك عبد العزيز بذلك ؟

— وهل في ذلك بأس ؟

— لقد كذب عليك عبد العزيز يا صديقي لأنني لم أغتر بعد بخدع

الآمال حتى أكتب بالجرائد

— أنت أبو الانشاء

— هذه نعمة من يهزأ بي يا ابراهيم فان كنت من هؤلاء فاني

أسامحك .

— أنا لا أعزأ بك يا صديقي ولا أرى داعياً يدعوك لاختفاء الحقيقة عني .

— وأي حقيقة أخفيت بها عنك ؟

— وما الذي يدعو عبد العزيز للكذب . إنك بلا شك ممن لا يحبون التغني بما ترهم .

— وأي مائرة يحق لي أن أفتخر بها أيها الصديق

— ومن ذا الذي ينكر فضلك ؟

سكت حسن ولكن لم ينظر للأرض خجلاً كمادته بل نظر الى ابراهيم نظرة تجسست فيها الأنفة من هزوه والاحتقار لشخصه ولوى ظهره له وابتعد عنه وهو يسمع ابراهيم يناديه قائلاً لا تغضب يا (رعمسيس الثاني) فقال لنفسه (انه يعرف أيضاً انى كتبته تحت اسم مستعار فان لم تنشر المقالة اليوم صغرت في عينه وهو ممن يتطاولون لذلك . فأف منك يا عبد العزيز لقد أخبرتك بأمر هذه المقالة ورجوتك كل الرجاء أن تخفى أمرها عن كل التلاميذ ولكنك أخبرت به القاصي والداني فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

تجسست في رأس حسن فكرة عدم نشر المقالة وكان خوفه من فضيحته أمام ابراهيم يسرى أكبر من خوفه من عدم نشر المقالة وكل ذلك أناه من حيائه وضعف ارادته

فضى حسن في المدرسة يوماً عصبياً لم يفقه فيه لاقوال أساتذته

الى أن دق ناقوس الانصراف في عصر ذلك اليوم خرج مع من خرج من التلاميذ ومشى مسرعاً الى الترام وركب فيه وود أن يسوقه بنفسه فلما وصل الترام الى باب الخلق ازداد اضطراب قلبه وتعددت أنفاسه وظهر على وجهه القلق وهم واقفاً ثم جالس ثم وقف ثم جلس وأعاد ذلك مراراً وفقر منه دفعة واحدة وإذا به يسمع بائع الجرائد يقولون (اللواء . اللواء . المؤيد والاهرام) فأخرج من كيسه قرشاً ومد يده لأحدهم صائحاً (الحقائق . على بالحقائق) فبحث البائع هنيهة في أعداد الجرائد التي كانت تحت أبطاء وقال له (لم تظهر بعد) . فهم حسن بضرب البائع ولم يستوقفه إلا الترام الذي كان يسير بجواره الى العتبة الخضراء والعتبة الخضراء محط رحال كل الجرائد فقفر فيه كمن به جنة .

وصل به الترام الى العتبة الخضراء واشترى حسن (الحقائق) وفتحها ليرى مقالته الشائقة فاستلفت نظره لاول وهلة لفظة (أم) وكانت عنواناً لأحدى المقالات فظنها مقالته فشعر بالدم يعلو الى رأسه وتلثم لسانه وغص ريقه ولكنه قرأ العنوان بامعان فوجده (الأم العادلة) وكانت المقالة غير مقالته . فشرع في البحث عنها في كل جزء من أجزاء الجريدة في باب الوفيات ، في باب الاعلانات ، في باب أخبار البورصة ، حتى وفي العنوان نفسه ولكنه رجع بخفي حنين وكاد أن يصعق امام الناس فألقى بالجريدة على الأرض ولكنه لم يلبث هنيهة حتى عاوده الامل فالتقطها مرة ثانية وابتدأ في مطالعة مقالة « الأم العادلة » ثم حول بصره مرة ثانية لكل كلمة في الجريدة وأخيراً انقطع رجاؤه منها فرمى بها

على الأرض وداسها بقدمه فاعلا بها ما فعل رئيس التحرير بقفاله ومشي
الى بيته مستمسكا من الامل بخيط باطل .

...

في تلك الغرفة التي سمعت آذانها كل ماجرى بين حسن وليبية ،
وامام هذا الشباك الذى استقبل الذسيم يحمل للعاشقة قبلات حبيبها
جاست ليبية تبكى وهى تنظر للفضاء . وما ليبية الا فتاة وديمة هادئة
طيبة السيرة والسريرة لا تستحق من الحياة سهمها القاتل ولا من الوجود
سلاحه القاطع . لقد وقع على قلبها خبر السفر وقوع الصاعقة فوضعت
يدها على قلبها الخافق كأنها تبحث عنه بل كأنها تبحث عن آمالها فيه
وما هى آمال الفتاة السجينة فى الحياة بعد أن يتقلص ظل أمانها فيمن
تحب ، فيمن عليه تعتمد وبه تسعد وبغيره لا تعرف غير الشقاء

تعيش الفتاة المصرية فى بيتها وهى لا تعرف عن الحياة إلا ما يقع
فى ذلك البيت ولا تسمع من الاصوات الا صوت أهلها ولا ترى من
الاشياء إلا جدران هذا البيت الضيق وإذا لاح لها برق آمالها فى
طلعة شاب تراه عفواً ويكون من أقر بانها تحكم عليها الظروف بالابتعاد
عنه فلا تجد عزية إلا فى الاستسلام للأسى والدواع .

تلك حال فتاتنا ليبية وهى كما قلنا فتاة لا تستحق ذلك .

ذهبت للنافذة لتقص على حبيبها ذلك الخبر المؤلم فوجدته بعد
قايل داخل غرفته هو وكلبه ثم وقف هنيئة يمسح دموعه تساقطت

على خده ثم أقفل باب الغرفة وأحكم إقفاله وخلع معطفه وارتدى على سريره ليبيكى وينتحب فنادته بصوت يسمع السامع منه رنة الحزن والأسى فهم واقفاً وذهب للنافذة وهو يبكى واندھش لما رأى حبيبته تبكى مثله .

ظننت لبيبة أن حسناً واقفاً على جليلة الامر فقالت له

— سنسافر بعد أسبوع يا حسن

— تسافرين ! وإلى أين ؟

— إلى اسويط

— وهل تحقق ذلك .

وكف عن البكاء لاندھاشه العظيم فوقف واجماً لا يعرف ما يقول .
فقالت له لبيبة

— ظننتك واقفاً على الحقيقة . لقد نقل أبى الى اسويط وسأفارقك

بالرغم منى . ولكن ما الذى كان يبكيك ؟

فأجهش حسن بالبكاء دفعة واحدة وقال بعد قليل

— تلك كبرى المصائب . لقد أراد الحظ الاسود أن لا تنشر مقالتي

وأن تسافر حبيبتي فوداعاً أيتها الآمال الكاذبة ووداعاً يا أحاديث المنى فما أنت إلا وساوس الاطماع وأضغاث الاحلام . واسترسل فى البكاء واسترسلت معه حبيبته وظل العاشقان ردىحاً من الوقت يتناجيان ويشكوان مصيبة أظلمتهما على غير حساب ولا انتظار .

واقترق العاشقان بعد أن تساقطت نفسيهما غمًا وتقطعت أحشاؤهما
حزنًا ولهفًا .

...

ورجع حسن الى مقعده وارتمى عليه وهو كاسف البال وقد ألتبس
بوحده وانفراده ليطلق لدمعه العنان وانكب على البكاء انكباب من
انفطرت مبريته . وتساقط دموعه على الارض فكان يلتقطها كلبه
الامين سحاب وكان سحاب في عرفة أوفى من الانسان .

الفصل السادس

أحلم المبل وخيم السكون على أنجاء المدينة وحسن هتفي على مقبلة
يكنى وينحب وقد لده البكة ، والبكة أكبر ثمرة الأقسام الحرة
أنت أمه وطرفت الباب تسأله الخروج للمشهد فأصبح من شأنه وفتح
الباب فقال لها وهو يصنع الثبات في القبول والميل .

- لست بحرة يا أمه هذه البينة وأود الخبرة لحفظ درس
التاريخ لأني أوقع أن يكون غداً خمس المتحدين .

- عبت تحاول يا ولدي أختاه ما في نفسك . لأن شعور الأم بها
على حفايا قلب ولدها . أنت بلا شك حزين وتشهد بقايا دمعتك بالهك .
فما الذي أحزنك اليوم . أتساءلت مع أحد أقرانك ، أم حاصمتك
أستاذك . تكلم يا ولدي وضح لي بالحقيقة حتى أشاطرك ما في نفسك من
الاشجون .

- أنت واهمة يا أمه ...

وأتم جهته والدموع نحتته وارتمى على صدر أمه بسكب في

أحضنها دموعه الحارة ، وما أحسن صدر الام على فؤاد الولد الحزين ،
ففي هذا الصدر ينشأ الرضيع ومنه يتغذى وفي هذا الصدر يلعب الطفل
هازئاً بالحياة وآلامها . وفي هذا الصدر تستدرف جفون الشاب آلام
الحياة واليأس . صدر الام هو العروة الدافئة الصغيرة التي بناتها يد الحب
والحنان ففيها يتلاقى السرور بالسعادة وفيها يلتطم الاسى بالمصائب .

حات الام ابنها ووضعت في سريرها وجلست بجوارده تلاعب
شعوره الجميلة وتقبله من آونة لاخرى وهي تحاول الصبر حابسة دمعها
وواضحة يدها على قلبها كأنها تود أن لا يخفق فيسمع منه ولدها صوت
الهم .

سألت الام ابنها عن سبب أشجانه فذكره لها . فأكبرت عليه أن
يبكى لأجل مقالة أخطأ رئيس التحرير في قلمها وسألته أن يهون عليه
وينسى ما مضى ويهين للغسد . فقالا آخر يرسله « للفاروق » وهو
أكبر جريدة مصرية كانت تظهر في ذلك العهد . وما رامت من كل
ذلك إلا إزالة الهم عن فلذة كبدها . ولقد فازت بأمنيتهما وسرعان
ما ينسى ضعيف الارادة الماضي إذا وجد من المستقبل بارقة أمل وإن
كانت خالصة . تسيطر فكرة الكتابة في « الفاروق » في فكره وقام
يتبع أمه ليتناول العشاء . وأكل هنيئاً وشرب ريثاً ورجع الى غرفته لينام
بعد أن أقسم لأنه لا يعود للبكاء .

دخل غرفته وأوصد الباب وأشعل مصباحه وجلس أمام خوائمه

ليكتب . أمسك في يده القلم وهياً الدواة والورقة قبل أن يهتدى
للموضوع ولكنه ما لبث قليلا على هذه الحالة المضحكة المبكية حتى
اعتراه اليأس فألقى بالقلم وكاد أن يهشم الدواة ومزق الورقة وألقى
بنفسه على الأرض يلطم وجهه بكفيه . وتلك هي حال عصي المزاج
إذا كان ضعيف الإرادة لا يشكوهم إلا لنفسه ولا ينتقم إلا من نفسه
أيضا .

سكن قليلا فقام الى سريره وارتمى عليه مستهزئا بكل ما وافاه
بل بالعالم أجمع . فسكنت نائرة نفسه وحاول النوم متناسيا نكباته
الشديدة والنوم لا يزور من في قلبه كمد باطن وحزن دفين . وتذكر
فراق حبيبته في هذه الساعة التي أحس فيها بالراحة قليلا وجسم له
مزاجه العصبي وضعف ارادته أن هذا الفراق أبديا فهم من نومه جالسا
ونظر الى النافذة وكانت مقفلة كأنه يسألها جلية الخبر ثم قام اليها وفتحها
ونظر لبيت حبيبته وتناسى في تلك الساعة مقالته وما جرت عليه من
الاصاب والسكراب . ومد يديه للسماء وما أقسى قلب السماء على من
تخالجه الهموم . ولبت هنيهة ساكنا لا يتحرك وكان لا بسا لباسا أبيض
اللون أصبح فيه كالتمثال في جوف الليل البهيم .

عشا حاول نسيان أشجانه فأقفل النافذة ورجع الى سريره يمد به
شجوه وارتمى عليه لينام بعد أن يثس من كل شيء حتى مرت استرساله
في الهموم . وأقفل جفونه فكانت فكرة الكتابة في « الفاروق » وفكرة

فراق حبيبته تنبادلان إزعاج رأسه المسكين وأخيراً استسلم للنوم فنام
الى الصباح .

انقضت الحصة الرابعة فنزل التلاميذ الى فناء المدرسة وخلت كل
جماعة منهم بركن من أركان الفناء تتجاذب فيه أطراف الحديث . ومنهم
من آثر اللعب والجري ومنهم من ذهب الى فناء الكرة ليربض نفسه .
ولزمت جماعة ابراهيم يسرى المقعد المجاور لسلم الفناء وكان من بينهم عبد
العزبز ومحمود وقد سلف لنا ذكرهم وابتدأوا بذكر حسنات الأساتذة
وسبائهم ولا يلد للطلبة الا التكلم في ذلك . ثم انتقلوا من ذلك الحديث
الى السخرية من بعض الطلبة الذين كانوا موضعاً لهزئهم وسخريتهم
ولذا لبراهيم يسرى أن يقص على جماعته خبر مقالة حسن أمين وأغرب
في الضحك لما حل بها وشاركه اخوانه في ذلك ولعبوا ذلك المسكين بلقب
« رعمسيس الثانى » ورأوه بعد آونة يسير الهوينى على السلم وهو . طروق
للأرض فنادوه بصوت واحد « يا رعمسيس الثانى » فالتفت بالرغم منه
فرآهم يضحكون ويسرون اليه بأصابعهم فسار في طريقه وقد علت
وجهه حمرة الخجل وود أن يصعق في ساعته وذهب بعد ذلك الى الحديقة
ليخفى نفسه خاف أشبارها الكثنة . وهناك جاس على مقعد خشبي
ينظر للتلاميذ ولا يراه أحد واستسلم لأشجانه فرت امام فكره صور
أحزانه تباعاً فكأنه كان يستعرض شريطاً من شرائط الصور
المتحركة وهم من مكانه ليمشى في الحديقة راجياً أن يخفف من حزنه

فاذا به يرى أمامه عبد العزيز فابتسم له ابتسامة الحزين وقال له والد مع
يكاد ينطق بآلامه

— أ كنت تشاركهم في ضحكهم يا عبد العزيز ؟

— بل كنت ألومهم على فعلتهم الشنعاء .

— أشكرك يا أخى على رفيق احساسك

وسكت الاثنان دفعة واحدة فلم يجد أحدهما سبيلا للتكلم والتفت
عبد العزيز بعد قليل الى يمينه ثم الى خلقه كأنه كان يخشى أن يسمع أحد
ما أراد ذكره لحسن ثم قال له وهو يتلثم .

— أود أن أسر اليك شيئاً وأريد أن تصدقه

— قل ماشئت

— عدنى أولاً أن تصدق ما أقوله لك .

— انى أثق بك أيها الأخ ثقة عمياء فحدثنى بما تريد .

— أتعلم السر فى ضرب رئيس التحرير بمقاتلتك عرض الحائط ؟

— وأنتى لى أن أعرف سر ذلك . أظن أنها لم ترق فى عينيه .

— حاشا أن يكون ذلك سر المسألة وانى أخالك أكبر من أن

تظن ذلك .

— وهل أنت واقف على الحقيقة ؟

— كان يقصها علينا ابراهيم يسرى بصوته الجهورى .

— وماذا قال لكم ؟

— قال لنا أنه قبَّح لرئيس التحرير أن ينشر مقاتلتك بل وعده

بالتخاصم إن هو فعل ذلك . فألقى رئيس التحرير مقالاتك على أديم الثرى
بعد أن رزقها .

— ألقى مقالاتي على الأرض ؟ رزق مقالاتي ؟ أندوس المارة كلاماً
تعبت في انشائه ؟ يا للعار ! وما الذي دفع ابراهيم لفعل ذلك ؟ ولكنني
نسيت أن ألومك على خطأ فعلته ساءني فعله كثيراً .
— أنا ؟ وأي خطأ فعلت ؟

— لقد استحلفتك أن لا تذكر لأحد خبر كتابتي تلك المقالة
فلماذا أسررت له بخبرها ؟

— اني لم أفعل ذلك وأشهد الله والنبي والأخاء والود على ذلك .
ولكنني أعلم أن ابراهيم قابل رئيس التحرير عفواً في العتبة الخضراء
فقرأ عليه مقالاتك ففعل ابراهيم بها ما ذكرته لك .

وكذب عبد العزيز على الله والنبي والأخاء والود لانه وإن
صدق في مقابلة ابراهيم لرئيس التحرير فقد كذب في تنصله من أخباره
بشأن مقالة حسن . وعبد العزيز هذا كما قلنا يحب الايقاع بين التلاميذ
لا لمال يكتسبه ولا لنصر يفوز به ولكن لمرض في نفسه ابتلاه به
المجتمع الانساني .

نظر حسن اميد العزيز نظرة الحائر ثم قال له .

— أعيد عليك سؤالي هذا (ما الذي دفع ابراهيم لفعل ذلك ؟)

— انك ما زلت صبيها صغيراً لا تعرف من شؤون الناس شيئاً . ان

ابراهيم يخشاك كما يخشى الفأر القط . أتجهل ما يحل باسمه لو ظهر

اسمك بين الكتاب مكملاً بزهور الفصاحة والبلاغة ؟ واعلم أن نفسه
لاتود لك الخير لأنه يخشى أن تكون كاتباً عظيماً .

— ولكن الوسيلة التي اتخذها انمى عن ذلك المقصد الشريف
وسيلة تدل على دناؤه وضعة نفسه وما كان عهدي به كذلك .

— انه عرّة قومه . وهل ظننته قبل اليوم من ذوى الشرف والحسب
والنسب . أعوذ بالله من ذكر السوء عن الاخوان ولكنى مجبر على
ذلك وما دعانى الى ذكر حقيقة هذا الشاب الاحب لك وشغفى بما
يخطه بنانك .

— انى أشكرك يا عبد العزيز ،

— لى كلمة أخرى .

— تكلم

— أود أن تكتب مقالا آخر تنشره فى جريدة كبرى كالوئيد
أو الفاروق لتكيد به هذا الوعد .

سكت حسن ونظر للأرض هنيهة ثم للسماء وقال :

— لقد طلقت الانشاء ثلاثا وحاشا لمثلى أن ينعمر فى حماة
الكتاب بعد اليوم .

— ماذا تقول : أظن بك جنة يا عزيزى .

— أنا سليم العقل وأكره أن تناقشنى فى ذلك ولا يغضبك قولى

هذا

— انى أسمع الناقوس يدق فهيّا بنا نتناول الغداء .
وسار الاثنان جنباً جنب الى غرفة الطعام

غادر حسن المدرسة قاصدا منزله فلما وصل سأل عن أمه فقيل له
أنها ذهبت لبيت أخيها لتعد مع زوجته معدات السفر فقصد منزل خاله
وفيه قابل والدته وزوجة خاله وجلس معهما يتكلم فى شؤون السفر
ويتأسف على الفراق وكانت تسمعه لبيبة من وراء السجف وهى تبكى
لكلامه وتتوجع لآلامه . ودخل عليهم خاله فقام حسن من كرسيه
وقبل يده وقال له

— كيف حال خالى اليوم ؟ عسى أن تكون فى خير وسلام
— لا يؤلمنى يا ولدى الا فراقكم ولقد حكم به القضاء فعبثنا نحاول

دفعه .

— هل من حيلة لرد هذا القدر ؟
— انى أجد فى السفر ما منا يقينى شر رئيسى
— وهل ينوى لك الشر ؟
— انه يعمل على النكاية بى لظنه أنى أرميه فى كل ناد بالرغوة
والطيش والجهل التام .

— ومن صاحب هذه الوشاية ؟
— كثيرون يا ولدى ولقد صفحت عنهم ولله الأمر .
ثم التفت عبد الرؤوف أفندى لزوجته وقال لها :

— سندسافر بعد با کر فہاں اُعددت کل شیء ؟

فأجابته أخته قائلة

— کدنا أن اتم کل شیء ولم یبق الی عدة حقائب سنجہزها غذا .

وأتت القطعة (دلال) وتمسحت فی أذیال سیدها فأخذها علی

رکبتیه ولاعبها قليلا وقال .

— وكيف نأخذ دلال معنا؟ هل أعددت لها قفصا جميلا؟ أود ان

تضعوا فيه قطعه من القماش حتى لا يؤلم جريد القفص عظام هذا الحيوان
الجميل .

فأجابته زوجته

— لقد هیأت لبیبة لها القفص قبل أن تهیء حقائبنا فلا يشغل

بالك أمرها

— انی واثق من حب ابنتی لهذا الحيوان الصامت .

ثم التفت لابن أخته وقال

— كيف حال کلبک سحاب ؟

— لقد وجدته اليوم فی ساحة محمد علی ولا أدري ماذا کان يصنع .

فرافقنی الی الدار ولقد ترکته هناك .

— ان سحاب کلب أمين .

فقالت أخته

— ولكنه نجس .

— يتهم الانسان الكلب بالانجاسة لأنه يغار من وفائه .

ثم قام الى غرفته ليخلع ملابسه . ولما فارقه الى الفسحة وجد
الطعام مهياً جالس مع زوجته واخته وابن اخته يتناولون المشاء سوياً .
أما ليديه فأكلت بعض ما تبقى منهم وكانت تشعر بالسعادة والحزن
في ساعة واحدة . سعادة قرب حبيبها منها وحزن فراقها عنه بعد يومين .
فرغ القوم من المشاء وودعت الأخت أخيها وخرجت مع ابنها
الى منزلها ومكثت معه هنيهة يتجاذبان أطراف الحديث ثم قام حسن
وقبل يدها وأغلق باب غرفته بعد أن أشعل مصباحه وجلس أمام مكتبه
يفكر . ثم أخذ القلم في يده ونغمسه في الدواة وكتب في وسط السطر
(الحاسد والمحسود) ولبت بعدها عشر دقائق وهو بين عاملين يتجاذبان
عامل الاقدام وعامل الاحجام الى أن تغلب العامل الأول على الثاني
فابتدأ في الكتابة وهو ممتقع اللون خافق القلب وما زال يكتب سطرًا
ويشطب آخر الى أن أتم مقالته ثم قرأها لنفسه مرتين وهو يتمنى في
غرفته بعد أن أعاد كتابتها على ورق جيد ثم طواها ووضعها في ظرف
أعدّه لذلك وكتب عليه بالثلاث

ادارة جريدة الفاروق

بشارع خيرت مصر

حاضرة رئيس التحرير

ورمى بها على مكتبه ووقف يتمطى في الغرفة ثم هدّد الفضاء بيده
كأنه يكلم شخصاً خيالياً وقال بصوت خافت (ستنشر هذه المقالة في
الفاروق فيسمع المحسود ويشقى الحاسد) ودخل الى سريره وقد وثق
بنفسه واستغرق في نومه الى أن أشرقت الشمس .

الفصل السابع

كان اليوم الثلاثاء فخرجت طلبة المدرسة الخديوية الى ملعب الكرة لمشاهدة فرقة مدرستها تالعب فرقة انكليزية تفوقت على فرق كثيرة . وكان حسن ممن يميلون لرؤية لعب الكرة فرافق اخوانه الى الملعب وفي عزمه أن يشتري الفاروق من ميدان الحامية . فلما وصل الى الميدان تناول الجريدة من يد أحد البائعين وأجال بصره في الصفحة الأولى فوجد مقالته الثانية فقرأها مرتين وهو لم يبرح مكانه وقد ارتعشت يداه واصططكت أسنانه وارتجف ساقيه . وبينما هو يقرأ مقالته اذ به يرى عبد العزيز ماراً بجوارده فاستوقفه بنظرة دلت عما يخالج قلبه المسكين من السرور . فلما رآه عبد العزيز بارق الثغر لامع الصفحة وقف يسأله السبب فقال

— لعلك غير ما كان ...

ولكن حسناً لم يمهله ليتم جملة وقال له وهو يسحب أذيال العبطة

— لقد نشر (الفاروق) مقالتي بعد أن مزقت (الحقائق) أختها .
خذ واقرأ ثم أعط الجريدة لصاحبك ابراهيم لتقوم عنده قيامة الاحزان
وتضيئه الهموم والاشجان . اقرأ يا عبد العزيز وثق بعد ذلك بأخيك
حسن أمين فقد أضاء نجم سعده وأصبح ممن لا تُفُتَحُ العين على مثلهم في
الناس .

اصفر وجه عبد العزيز وارتجفت شفتاه لأنه كان ممن لا يريدون
الخير لاحد وتناول الجريدة من يد صاحبه وأجال نظره في مقالته وقد
أظلمت الدنيا في عينيه فتعسر عليه أن يفهم منها كلمة واحدة فأمسك
بالجريدة مدة وهو كالصنم لا يتحرك ولا يتكلم الى أن قال له حسن وهو
ضاحك السن

— هيا بنا الى الملعب لنصله قبل ابتداء اللعب .

وسار الصديقان الى الملعب وفي صدر أحدهما جنة البشر والسرور
وفي صدر الثاني جحيم الحقد والبغضاء .

اشترى حسن نسخة أخرى من الفاروق ودخل بها الملعب وأراها
لكل من توسم فيه الصداقة والاخلاص فطاف بها الملعب خمس مرات
متواليات استوقفه فيها إخوانه كثيراً . وأخيراً وقف بجوار الكشك
يقرأ مقاله على فئة من إخوانه .

...

اقترب عبد العزيز من حسن عند باب الملعب لانه لم يشأ أن يطوف
معه الملعب ووقف في ركن من الاركان يقرأ المقالة وهو يعرض شفتيه من

الغيظ والكمد وبعد أن أنهما سمع صوت إبراهيم يسرى يطن في آذانه . . .

- أي مقال تقرأ يا عبد العزيز ؟

- أقرأ مقال من . زقت . مقالته ورويت بها على الأرض .

- أنجراً حسن على الكتابة في الفاروق ؟

- خذ واقرأ

أخذ إبراهيم الجريدة وقرأ المقالة الى النهاية . وضحك ضحكة

غير طبيعية ثم رد الجريدة لعبد العزيز وقال له :

- لقد كان هزأة القوم وأضحوكتهم فأصبح واسمه يكتب على

صفحات الجرائد الكبيرة .

- هذا ما يدهشني يا أخى .

و.ر.أ. ما هما حسن في هذه الساعة فالتفت لإبراهيم وقال له :

- (سلام من رعمسيس الثانى الى إبراهيم يسرى سيد الكتاب

في مصر) .

ومشى في طريقه دون أن يزيد حرفاً أو يسمع من إبراهيم كلمة

فالتفت إبراهيم لعبد العزيز وقال له :

- ما الذى يقصده من قوله ؟

فلم يحب عبد العزيز ولكن نظراته كانت توحى لإبراهيم ما معناه

(كما بدى الفتى يدان) .

. . .

انتهى لعب الكرة فخرج حسن مع من خرجوا وهو يميد سروراً

وفرحاً وقد أنسته مقالاته العالم أجمع . نسي أمه الحنون ، وحيبته الوفية ،
وبيته وكلبه ، وكل من يعرف من الاصحاب ولم يفكر الا في مقالاته التي
نشرها الفاروق والفاروق شيخ الجرائد في مصر . لقد نال حسن ما كانت
تصبو اليه نفسه ولقد أثبتت له مقالاته الجديدة أن البلاغة أنزلت على
فؤاده وأن الالفاظ السلسة سخرت لقلمه وأنه غدا بين الكتاب سيدهم
وأمرهم بعد أن يتس من الفوز في مضارهم ، وقف حسن في وسط
الطريق ينظر للسماء رافعاً يديه يشكر الله على هذه النعمة ويسأله أن
يديمها عليه ثم سار في طريقه ينتحى جهة منزله . فلما وصل صعد السلم
وهو يجري الى أن لاقى أمه في ردهة البيت فألقى بنفسه في أحضانها
يسكب دموع الفرح والهناء وقال لها وقد تهدج صوته .

— لقد نشرت مقالاتي يا أماه . اني سعيد الحظ .

— أنشرت الحقائق مقالاتك ؟

— لقد نشرها الفاروق .

— وهل أرسلت له مقالة جديدة ؟

— كتبته ليلة أول أمس وأرسلتها له صباح أمس فنشرها اليوم .

فقبته أمه وهي محزونة الصدر فسأه ذلك لأنه لم يعهد منها الا الفرح
لفرحه والحزن لحزنه فنظر اليها نظرة العاتب كأنه يسألها الافصاح عن
حزنها وكدها . وحانت منه في هذه اللحظة التفاتة الى نوافذ بيت خاله
فوجدتها مقفلة فالتفت لأمه وقال .

— وهل سافروا صباح اليوم ؟

— كان في عزمهم السفر غداً كما تعلم ولكنهم سافروا فجأة صباح اليوم .

لم يحب حسن على كلام أمه ودخل غرفته ليتف هنيهة أمام النافذة يندب الهوى ويبكي الفراق . لقد انقضت أحلامه اللذيذة . تحطم سراج حبه الوهاج وغداً يسكن بيت حبيبته قوم لا صلة بينه وبينهم . لقد كتب له القضاء البؤس حتى في يوم سعادته ففارقته حبيبته يوم نشرت مقالاته فلم يتيسر لها أن تشاركه هذا الفرح العظيم .

والقضاء أحكام تحار فيها العقول .

جلس حسن على كرسي كان بجوار النافذة وأرسل دمة تحدرت على خديه تخط عليهما ما قدرته له الأيام .

القسم الثاني

الفصل الأول

بعد عامين

رجلان قطعا من الحياة نصف مرحلتها. الاول معمم والثاني مطربش. الاول له حية كثة وأنف كبير وعينان لهما إطار أحمر وضعته يد الأحمر والسهرة وجبة سوداء يصح لنا أن نطلق عليها كلمة نظيفة ولو أنها لا تخلو من بعض بقع لا تظهر إلا لعين الفاحص المدقق. والثاني حليق ذو أنف أفطس وعينان براقتان يلمع فيهما نور الذكاء وبدلة كلح لونها وعذره في ذلك أنها بدلة عمل. الأول مصري مسلم والثاني سوري مسيحي. هذا يشتمل في الفاروق ليحرر باب الاخبار ويصحح ما يكتبه كتاب الاقاليم، وذلك ليترجم النبذ السياسية عن الجرائد الفرنسية. والغرفة التي كانا بها مساحتها أربعة أمتار في خمسة وليس بها إلا مكتبتان وعدة كراسي من الخيزران ولوحة معلقة فوق مكتب الاستاذ ومكتوب عليها بالثلث « الفاروق ».

جاس الاستاذ أمام مكتبه وخلع عمامته ثم وضعها فوق كتاب
المصباح المنير وابتدأ يداعبها بيده اليسرى ويشرب لقاقة تبغ بيده اليمنى
بعد أن انتهى من شرب فنجان القهوة . أما الاقلام والاوراق فكانت
ملقاة فوق المكتب بعضها فوق بعض . ووقف الافندى أمامه واضعاً
يسراه على كرسى من الخيزران وممسكاً بيمنه جريدة الماتان . يقرأ فيها
فصولها الهامة . فابتدر الاستاذ صاحبه قائلاً .

— تفضل سيجارة .

— أشكرك . لقد انتهيت من أختها منذ قليل .

واستمر الافندى في المطالعة والاستاذ في أفكاره الخيالية حتى
أعياده التفكير فنظر لصاحبه فوجده قد طوى جريدته وهم بالذهاب
لمكتبه فاستوقفه قائلاً .

— هل من جديد ؟

— أكاد لا أجد شيئاً يستوقف النظر اللهم إلا مقالة عن الزواج
في أمريكا ربما اشتغلت بعد حين بترجمتها

— وما قولك في مقال أمين خربوش

— أحسده على سمو خياله ورقة أسلوبه وأسف لفقر مادته

— صدقت . لو كان مثلك له دراية باللغات الافرنكية لزهيجو

وشكبير

— يا صديقى اللغات تفتح الاعين طريقاً مغلقة ولكن لانكساب

النفس واهب جديدة

- وهل تظن أن خربوشاً محروم من مواهب الفز؟
- من مواهب الابتكار فقط والابتكار أساس الكتابة
- وهل قرأت قصيدة على بدر. لقد دفع الى بهارثيسنا لتتشر في

صدر الجريدة

- أظنها لا تخلو من المدح
- كعادته
- أف لشعرائنا الكرام. فقد قل من يعتنى منهم بالخيال والمعنى
- وما تقصد بذلك.
- أقصد أن الشعر لا يستعذبه القارئ إلا اذا كان اشاعره وحي

من السماء

- الشعر يا صاحبي هو اللفظ الحسن والديباجة الأنيقة.
- سكت الافندي هنيئة وهو مطرق الارض ثم رفع رأسه وحنق في وجه الاستاذ وقال (ربما) وذهب نواً الى مكتبه وهم بالترجمة فاذا بالاستاذ يقول له

- اعمل لك رأى آخر؟

- فابتدأ الافندي في الكتابة وقال وهو ينظر في الجريدة (ربما) فمر على شيخنا ذلك فقال

- أتهزأ يا بحري أفندي بالكلام المنسجم واللفظ الأنيق
- حاشا أن أكون ذلك الرجل ولكنى أ كبر على شعرائنا
- المفلقين أن يصرفوا همهم للغزل والمدح والثناء والهجو وينتقون لذلك

الديباجة المليحة واللفظ الشائق ويغفلون عن تلك الروح العالية التي اذا
قرأها القارئ جرت في نفسه مجرى الماء المتلوج في صدر الظامئ
وسكت عن الكلام مشتغلا بالكتابة . فنظر له الأستاذ نظرة
عتاب واستمجان وأمسك بقلمه ليكتب وخط على الورقة في السطر الأول
(داس قطار المطرية . مساء أمس بجوار محطة . نشية الصدر غلاماً يبلغ
العاشرة فأسال دماء وهشم عظامه ونحن نستلفت انظار اصحاب ..)
وإذا به يسمع من النافذة صوتاً رقيقاً يناديه قائلاً

— عم صباحاً يا شيخ عبد الله

فرفع رأسه لاتجاه الصوت ولما عرف صاحبه ابتسم وقال
صباح الخير يا حسن افندى . تفضل .

وإذا بصاحب الصوت يقرئ السلام بحرى افندى فردده بما هو
أحسن منه ودخل حسن امين عابها وجلس على كرسي بعد ان صاحبا
ثم التفت يمناً ويسرة ورفع رأسه للسقف ثم قال

— انى أتيتكم اليوم بالمقال الأول من مقالات (خواطر)
فقال الأستاذ .

— وكم عدد هذه المقالات الشائقة ؟

— ربما أريت على العشرين .

— ما شاء الله .

— وأود أن تظهر المقالة الاولى في الفاروق اليوم

— وهل اطالع عابها البيك ؟

(وكان البيك صاحب الجريدة) .

— سأطامعه عليها بعد حين .

— جرى هذا الحديث الصغير وبحرى افندى مشغول بالترجمة

كأنه فى واد والآخرون فى واد آخر . فالتفت حسن له وقال :

— وما رأى بحرى افندى ؟

— وعن أى شىء يريد سيدى الكريم أن أبدي رأى ؟

— عن الخواطر .

— المقالات التى وعدت الفاروق بها ؟

— نعم .

— إنى أرحب بها كما أرحب بك الآن .

— شكرا لك . وهل فى عزيمتك ترجمة مقالات الفيجارو عن

المرأة المصرية ؟

— ربما صح منى العزم .

— يا حبذا لو أقدمت على ذلك وأخرجت تلك المقالات ذات

التخيل اللطيف والمنهج الواضح .

— أخشى أن تذهب الترجمة بحسبها الرائع .

— هذا تواضع أجل صاحبه عنه

ثم التفت حسن للشيخ عبد الله وقال :

— وما ذاك الخبر الذى نشرته أمس ؟

أى خبر ؟

— خبر استقالة مدير مصاحبة البريد . أصبح ذلك ؟
— الفاروق لا ينشر غير الاخبار الصادقة وإن نشرها قبل
أن تتحقق ،
— لله دكر .

وإذا بأحد الخدم داخلا وفي يديه ورقتان دفع بهما للشيخ عبد الله
وهو يقول

— بريد زفتي وميت غمر يرجو اليك أن تصالح ما به من خطأ .
فتناول الأستاذ الورقتين وهو يقول (الأولى بك أن تقول اليك
يرجوك في كتابته من جديد) وخرج الخادم وكأنه لم يسمع ما قاله
الأستاذ .

فالتفت حسن لشيخنا المسكين وقال :

— أيسرك اصلاح بريد الاقاليم ؟

— مرة في كل شهر

— بل قل مرة في كل عام . وهل عزم الفاروق على زيادة صفحاته

الى اثنتي عشر

— هذا ما لا علم لي به ولا اظن مذيع هذا الخبر صادقا

— ولم ؟

— يصعب علينا ان نملأ ثمانى صفحات طويلة عريضة فأنى لنا ان

نحرر اثنتي عشر صفحة . ومن من المصريين يقدم على مطالعتها .

— المصريون . تشوقون المطالعة .

— إذا كان ما نكتبه في جرائدنا من نوع مقالاتك . وامثالك
كما نعلم جميعاً قليلون في هذا البلد الامين .
— إنك تطرينى يا شيخ عبد الله .
— أنا لا أقول إلا الصدق فان ظننت فيه الاطراء فشأنك
وما تظن .

— أشكرك . ولو انى أظننى أقل كفاءة من ذلك .

وهم واقفاً فقال له بحرى .

— وإلى أين ؟

— أود أن أرى البك .

وخرج مسرعاً لا يلبى على أحد .

..

كان محمود بك عبد اللطيف صاحب الفاروق ورئيس تحريره جالساً
أمام مكتبه يحرق المقالة الافتتاحية . وكانت الغرفة التى كان جالساً بها
مزدانة بأفخر الرياش وبها لوحة كبيرة مكتوب عليها بالثلث (بسم الله
الرحمن الرحيم . إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) وصورة متقنة للبك مرسومة
بالزيت صممها له أحد ماهرى الرسامين بمصر .

جلس البك جلسة الكاتب المفكر ينظر للنافذة تارة ليستجمع
أفكاره وللورقة تارة أخرى ليخط ما يلبى عليه قلبه . فلما انتهى من
مقالته سمع خادمه الخصوصى يقول له :

— احمد بك أبو شناق ينتظر في غرفة الاستقبال .

— أدخله .

ودخل البك الجديد . مهرولاً يتعثر في أذيال جبته وقفطانه وصاح
بعل فيه .

— السلام عليكم

— وعايكم السلام ورحمة الله .

وهم البك واقفاً وصافح زائرهم بيده وأجاسه في صدر المكان وقدم
له سيجارة بعد أن أمر الخادم أن يأتيه بفنجان قهوة وابتدأ يحادثه وهو
يتسم .

— لقد تكرم البك بزيارة الفاروق فمرحى له وأهلاً وسهلاً به .

— لقد تشرفت بهذه الزيارة التي كانت تطمح اليها نفسي منذ عام .
إني مشترك بالفاروق وأقرأه كل يوم ويلذلي مطالعته كثيراً ولولا
إقامتي في الريف لكنت أول من يكثر التردد على صاحبه . فعذراً
يا سيدي عذراً والسكريم من يقبل العذر .

— إن عذر سيدي البك مقبول على العين والرأس أما زيارته
لإدارة الفاروق فهي مئة كبرى لا أنساها أبداً الدهر .
— ولقد أتيت بالاشتراك فأرجو قبوله .

فأظهر صاحب الجريدة امتعاضاً ولكنه قرع الجرس وأمر الخادم
أن يناديه بأحد رجال الإدارة وما غاب الخادم دقيقة حتى عاد ومعه محمود
افندي المنوفى محصل الاشتراكات واليه دفع البك قيمة الاشتراك فلما
قدم إليه الوصل لمضيه اعتذر البك لألم في يده وسأله أن يعضيه عنه .

وكان البك من العمدة الذين لم يتعلموا القراءة ولا الكتابة . وانصرف محمود افندي حاملاً في يده الدراهم بعد أن أعطى لابي شقيق الوصل ممضى عليه .

وتحدث صاحب الجريدة مع البك عن أحوال بلدته وعن الامن العام فيها وعن رأيه في النفي الاداري وأبدى له الزائر آراءً لولا كرم الضيافة لقمقه اسماعها صاحب الجريدة هازناً ساخرأ . وانصرف البك بعد أن شرب القهوة وهو يتعثر بأذيال جبته وقفطانه . ويصيح بملء فيه « السلام عليكم » .

ولما خلا صاحب الجريدة بنفسه قرع الجرس ودفع للخادم بالمقالة الافتتاحية لينذهب بها لتشر . ومكث هنيهة يضرب أخماساً في أسداس . ثم دخل عليه الخادم ليعلم قدوم زائر جديد .

دخل الزائر فلم يقم له عبد اللطيف بك لما بينهما من الود والاخاء فصاحه الزائر ثم جاس بعد أن سأل صاحب الجريدة أن يعطيه سيجارة اعطاها له عن طيب خاطر وهو يتنسم . وابتدأ الحديث قائلاً .

— كيف حالك اليوم ؟

— على ما يرام . لقد أتيت مبكراً . أليس في عزمك الذهاب المحكمة .

— ليس عندي من القضايا ما يبعثنى على زيارة المحكمة اليوم . وعندى من المحامين كما تعلم من يقوم بأداء الواجب بالنيابة عني . — حسناً فعلت .

— أتيت لأحدثك بشأن المقالة التي تعرضت لك فيها إحدى
جرائد أمس . أتسكت عن هذه الوقاحة ؟

— السكوت خير وأولى .

— ليست هذه الجريدة . من الجرائد الساقطة التي تباع شرفها في
سبيل المال وليست المقالة مقالة مدح ولا ذم والسكوت يسئ من سمعة
الفاروق فأولى لك أن تكتب رداً يكبح جماح أعدائك ويرد كيدهم
في نحرهم

— أتستصوب ذلك ؟

— بلا شك . إن الفاروق هو الجريدة الإسلامية الوحيدة المنشورة
في جميع أنحاء العالم الإسلامي نخذ لنفسك الحيلة يا صديقي واعمل أن الله
مع العاملين .

مكث صاحب الفاروق هنيهة يفكر ثم نظر لصديقه نظرة
طويلة وقال :

— ستظهر المقالة غدا .

— بل اليوم .

— محال لقد أزف الوقت وليس عندي . اتسع للكتابة .

— إذا فلنرجعها للغد . وما الذي أنت عازم على فعله مع المحرر

السوري ؟

— قررت فصله .

— وهل هو عليم به ؟

— كلا . سأعلمه به بعد اتفاقى مع من سأستعيض به عنه .

— وهل وفقت لشاب حسن السيرة والسريرة ؟

— نعم . ولا ينقصنى إلا الاتفاق معه .

ودخل عليهما فى هذه الساعة حسن أمين وهو باسم الثغر فالتفت
عبد اللطيف بك لصاحبه المحامى وأسره هذه الجملة (افتكرونا القط جانا
ينط) . وصافح حسن أمين المحامى بعد أن قدمه له صاحب الفاروق
وجلس الثلاثة يتجاذبون أطراف الحديث . فقال المحامى .

— لقد حادثنى عبد اللطيف بك عن حضر تكم كثيراً ومدح لى
غير تكم على تقدم الصحافة .

فاحمر وجه حسن وقال بصوت متهدج .

— إنى لا أستحق كل هذا المدح .

— إنك لا تحب أن تذكر الناس حسناتك وهذا شأن كل

نابعة عظيم .

— حاشا لله أن أكون نابعة لانى . ما زلت تلميذاً أتلقى العلم فى

المدارس الثانوية .

— وفى أى مدرسة أنت ؟

فأجاب صاحب الجريدة .

— فى السنة الرابعة بالمدرسة الخديوية .

فأجاب المحامى .

— ما شاء الله .

وقال صاحب الجريدة .

— ولم يمنعه اشتغاله بالعلم من مساعدة جريدة كجريدة انفاروق

— هذه خصلة حميدة تثبت لنا تعلقك الشديد بالصحافة وكافك بها

فأجاب حسن وهو يتردد فى القول .

— هذا من حسن أفضالكم وجميل سجاياكم .

فقال المحامى .

— وأى المواضيع يطرقها حسن افندى ؟

— أكتب فى مواضيع خيالية وأحب المقالات الاخلاقية ولى

كلف بترجمة ما يكتب فى الجرائد الانكليزية .

— شئ جميل . انى أبشرك بمستقبل عظيم . ستغدو يوماً ما

صاحب جريدة .

— هذا حلم جميل .

— الاحلام تتحقق يا صديقى إذا ارتكن الانسان على نفسه .

فقال صاحب انفاروق مخاطباً حسناً .

— وهل أتيتنا بشئ جديد ؟

— بالمقال الاول من مقالات خواطر .

وأخرج من جيبه رزمة أوراق دفعها لصاحب الجريدة . فمدق

عبد اللطيف بك الجرس وأعطى المقالة للخادم آمراً بإياد أن يدفع بها
لتنشر . فقال لعبد اللطيف بك .

— كنت أود أن يقرأ البك المقالة ليصححها .

— نحن لا نصحح ما تجود به قرائح رصفائنا . ولكن قل لي متى

ينتهي امتحانك ؟

— بعد خمسة عشر يوماً .

— أود أن تمر على بعد انتهائك منه لأحدثك في مسألة هامة .

— إني رهن إشارتك .

وهم المحامي وافقاً واستأذن في الخروج وهو يقول لحسن .

— أعيد عليك جماتي السالفة (الأحلام يا ولدي تتحقق إذا ارتكن

الإنسان على نفسه) .

ثم خرج بعد أن صافح صديقيه .

وحسن لا يعوزه في الدنيا إلا ارتكابه على نفسه فهل يفلح في مسعاه .

ثم جلس صاحب الجريدة ليفاوض حسناً في اشتغاله بالفاروق

رئيساً لقلم الترجمة .

(ملحوظة : الى هنا ينتهي ما كتبه المؤلف من رواية الشباب الضائع)

ملحوظات ختامية^(١)

(يُعرف منها موضوع الرواية الختامية)

- ١ حسن يرسل حبيبته خطاباً باسم صاحبة لها . مُدرسة
- ٢ امتحان البكالوريا — سقوط حسن
- ٣ خطاب من حبيبته
- ٤ مشاجرة مع أمه . لا يريد دخول الامتحان مرة أخرى .
أول مرة أهان أمه فيها
- ٥ رد على خطاب حبيبته ويمنذر اليها
- ٦ دخوله الفاروق كمحرر
- ٧ أصبح محرراً وأصبحت حياته كما يأتي : يقضى عصر يومه
في القهاوى وإيله في محال الخمر
- ٨ يتعرف بشبان أغنياء يغرونه على القمار
- ٩ أصبح حسن مقامراً
- ١٠ مشاجرة مع والدته من أجل القمار .
أنه في احتياج شديد للدراهم . تقرضه والدته
- ١١ الوالدة تباع حلبيها

(١) كتب المؤلف هذه الملحوظات الختامية ليستعين بها على اتمام فصول
الرواية فنشرناها ليُعرف القارى منها . موضوع الرواية الختامية باختصار

- ١٢ يتعمد الذهاب متأخراً لدار الفاروق ويبدأ أن يهمل أعماله
١٣ يذهب الى إحدى الحانات ليلا فيتقضى فيها ليلته للصباح
ثم يقصد دار الفاروق ثملاً وترنحاً
١٤ يطرد نهائياً من دار الفاروق
١٥ أصبح حسن محرراً صعلوكاً يعيش عيشة الأدياء الساقطين .

تم

الكتاب المختار

خوارزمي

فقطع معبرية ضمنها موطأ عن الحياة

ريان يا فجل

قضيت صباح أمس ساعة في قهوة بميدان الاوبرا قرأت فيها الجرائد
وشربت فنجانا من القهوة ثم همت واقفا وعزمت على العودة لداري
للغداء فقصدت ميدان الدتية الخضراء لاركب الترام . وبينما كنت ماراً
أمام دار البريد استوقفني شاب أسمر الوجه وضاح الطامة قوى العضلات
رشيق الحركات يدل بريق عينيه على ما في قلبه من عزم ونشاط : وكان
لابسا معطفاً جديداً يخفى بدلة ما شككت في أنها من عمل دلياً أوريو .
استوقفني الشاب بقوله :

— صباح الخير

فرددت السلام ونظرت اليه نظرة عبرت له عن استغرابي وحيرتي
وقلت لنفسى « ماذا يريد الشاب مني وليس لي به معرفة ولم أصادفه في
طريقي قبل اليوم . لعله صديق أحد أصدقائي يود محادثتي في أمر يخص
ذلك الصديق أو لعل له قصد آخر » ومشى الشاب بجانبى وهو يتبسم
ويقول :

— البك بلا شك على موعد لأنه يسرع في سيره .

— كلا يا سيدي أنا عائد لداري .

— أيسمح لي البك بخمس دقائق .

— بلا شك .

— البيك يعرف ما يلقاه الأديب من الضيم في مصر، والبيك يعرف
كساد سوق الأدب في مصر، والبيك يهمه أمر الأدباء في مصر، والبيك
يساعد الأدباء في مصر .

فأجبهته بابتسامة صفراء قائلا .

— والبيك ليس في جيبه إلا ثمن تذكرة الترام .

فضحك الشاب وقال .

— أنا أطلب مبالغاً لا يزيد عن شان ولا ينقص عن نصف فرنك

والبيك كريم .

فأخرجت من جيبى قرشين أعطيتهم له وسرت في طريقى

لأركب الترام .

...

نزات من الترام عند باب الحامية واتخذت وجهة دارى وأنا أسير
الهوينا وعند وصولى للمنزل وجدت شيخاً يبلغ الستين ضخماً الجثة محنى
الظهر له لحية بيضاء تمتدلى على صدره يدفع بيده عربة صغيرة عليها جمل
يبيعه للناس . يسير هنيئة ويستريح أخرى ويصرخ من أعماق قلبه
(ريان يا جمل) والناس تسير مجواره دون أن تهز قلوبهم الشفقة فيجودون
له بثمان كناس من الجمعة اعتادوا شربه كل مساء .

سار الرجل في طريقه الى أن وصل الى نهاية الشارع وحانت منى
التفاتة له فوجدته يصرخ (ريان يا جمل) ثم وقف هنيئة ليستريح وإذا به
يهوى على الارض فأسرعت مع الخدم اليه فوجدناه ملقى على الترى

وهو يلهث من التعب وقد عجز عن الكلام خملناه الى الدار ليستريح
ويأكل ويشرب .

سبحان ربى ، الفرق كبير بين الاثنين . الاول شاب اتخذ الكسل
حرفة والادب ذريعة . والكسل سبيل التدهور الى الدنيا التى تموت فيها
العواطف أو بالحرق الى الموت الأدبى . والثانى شيخ أقعده الكبر ونال
منه الضعف ولكنه أبى أن يرجع القهقرى فى المعركة الكبيرة . معركة
الحياة وعزَّ عليه أن يمد يده للسؤال فعمد للعمل . ففضلا الموت على الجبن .
والعمل سبيل الارتقاء الى الدنيا التى يسود فيها الانسان لندوة الشرف
أو يموت فيها ميتة الابطال .

(مايو سنة ١٩١٨)

للفقراء مجاناً

بينما كان الظلام . لمتيا رداءه الأسود على المدينة والسكون صار باً خياله والناس رقوداً في منازلهم كان الدكتور (. . . بك) جالساً أمام مكتبه يخط بيده الكريمة ما يحليه عليه وجدانه الحى . وكيف لا يكتب الدكتور في تلك الساعة وغداً ستقام حفلة كبرى لأول مجمع طبي . مصرى يخطب فيها الدكتور خطبة شائقة تمتلك على الناس نفوسهم وتستهوئ أفئدتهم . أجل يكتب الدكتور ثم يفكر ثم يكتب وهو ممسك بالقلم في يده كأنه رمز الجد والعمل والحنو والشفقة ، وما لبث الدكتور في مكانه قليلاً حتى سمع صوت الساعة تدق الثانية عشرة فوضع يده على رأسه وقال (حان ميعاد النوم ولكن الخطبة لم تتم بعد) وأمسك بيده القلم مرة ثانية وكتب الجملة الآتية : (الطب أيها السادة هو النبع الفيض الذى يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التى يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحاً معافى ، بل الطب فى نظرى أيها السادة كبيوت الله تجمع بين الفقير والغنى والبائس والسعيد فى مستو واحد ، بل ربما كان الطب أوسع صدرًا للفقراء وأحنى قلباً على الضعفاء البائسين ، الطب . .) ثم تمهل الطيب قليلاً وفكر كثيراً وهو جالس أمام مكتبه بمنه عن النوم والراحة ضميره الطاهر ذلك الباعث القوى باعث الخير والاحسان والشفقة على الفقراء من بنى جنسه .

وكان الدكتور يسكن حياً وطنياً يضم في أحشائه جماعة ممن
يبيتون على الخسف ويشربون على غير نميلة ، قوم فقراء أضربهم المرض
وشفهم الحزن . وعلق الدكتور على باب داره لوحة كبيرة كتب
عليها بالثلث « للفقراء مجاناً » . ما أجل هاتين الكلمتين (للفقراء مجاناً)
إذا مر الفقير وقراها دخل دار الدكتور وهو يقول : (سأدخل
مريضاً وأخرج صحيحاً دون أن أدفع للدكتور عن عشاء الاطفال في
البيت) أجل إذا قرأها الفقير تهلل وجهه وبرقت أسرته وابتهج ابتسامة
تعبّر عما في قلبه من الشكر والرضى وما رضى الفقير إلا حسنة من
حسنات الله على بنى الانسان .

قلنا أن الساعة كانت تدق الثانية عشرة وأن الدكتور كان يكتب
ونسينا أن أحد الفقراء في تلك الساعة كان جالساً القرفصاء بجوار فراش
ابنته الحامل التي كانت تصرخ من الألم وهي ترتعد من البرد وقد
اصطكت أسنانها وتقلعت شفتاها وسالت دموعها على خدها تكتب
سطور البؤس والألم . ابنة في الثامنة عشرة من عمرها مات زوجها بعد
أن تركها حاملاً وهي الليلة تلد وقد تمسرت ولادتها فأصيبت على قيد
شهرين من الموت . جلس الرجل الفقير القرفصاء واضعاً رأسه بين
يديه وهو كاسف البال غائر العينين لا يعرف ماذا يفعل ولا يهتدى
لوسيلة يخفف بها آلام ابنته . وإذا بزوجته العمياء التي كانت تبكي
وتضرب رأسها في الحائط تقول له : (أنسيت أن الدكتور . . . بك
يعالج الفقراء مجاناً . اذهب اليه واعط رق بابه فربما رق قلبه وافقد ابنتنا من

مخالب الموت) فقام الرجل دون أن يفوه ببنت شفاه واتخذ وجهة الباب
وخرج للشارع ليأتى بالطبيب ومشى الرجل في الشارع وهو يترنح
كالشارب النمل الى أن وصل لباب الطبيب ودقه ثلاثا فخرج خادم أسود
وهو يهيم ويترنح وقال له (ماذا تريد ؟)

— ابنتي تموت . أريد أن أحادث الدكتور .

— الدكتور مشغول جداً وقد نبه على أن لا أجيب سائلا .

— ولكن ابنتي تموت .

فأقبل الخادم الباب ورجع الفقير من حيث أتى وهو خافق القلب
ولكنه وقف هنيهة قبل أن يصل لمنزله وقال لنفسه (أجل سأفعل ذلك
وماضرتني لوفعته) وإذا به يرى رجلا يسير الهوينى في الطريق فمد له يده
وقال (حسنة يا سيدي) فانتهره الرجل وسار في طريقه . ومر رجل ثان
وثالث ورابع وكان نصيب الفقير الخيبة في كل مرة . وإذا بالشرطي
يقول له : (ما هذا الفعل يا رجل ؟ متسول في الطريق . هيا الى القسم)
ولم يكن مع الفقير ما يسد به فم ذلك الشرطي فقال له : (لم أتعود التسول
يا سيدي ولكن ابنتي تموت فأردت أن أجمع أجرة الطبيب فلم أجد غير
هذه الوسيلة) ولكن الشرطي قاده للقسم وهناك قضى أيلته .

وفي الصباح عاد الفقير لمنزله بعد أن أطاق سراحه وكانت الساعة
تدق العاشرة وإذا به يسمع صراخا وولولة فهزول لداره فوجد زوجته
تبكي وتصرخ وابنته قد فارقت الحياة فانكب عليها وقد فقد الرشد .
وفي هذه الساعة . الساعة العاشرة كان الطبيب « الدكتور... بك »

واقفاً يخطب في المجمع ويصبح بل، فيه (الطب أيها السادة هو النبع
الفياض الذي يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التي
يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحاً . ما في ،
بل الطب في نظري أيها السادة كبيوت الله تجمع بين الفقير والغني
والبائس والسميد في مستو واحد . بل ربما كان الطب أوسع صدراً للفقراء
وأحن قلباً على الضعفاء والبائسين ، الطب . . .)

٤ إبريل سنة ١٩٢٨

درس في كتاب

يطلق سكان باب الخلق والجزاوى والسكة الجديدة على حارة
درب سعادة اسم (شارع) ولا أدري لماذا يفعلون ذلك وحارة درب
سعادة ضيقة تسكد تلتطم العربات بجدرانها إذا مرت فيها وهي مملأة
بالقاذورات والالواح صيفاً وشتاء . وقد عززت الحكومة رأى السكان
فلم تضن عليهم بلوحة مكتوب عليها بخط جميل (شارع درب سعادة)
وان كانت ضنت عليهم بمصاييح الانارة . وفي هذه الحارة ، أستغفر الله
بل في هذا الشارع ، جامع يقصده عباد الله للصلاة ويجوار هذا الجامع
كتاب صغير يطلق عليه كتاب (سينو اغا). كنت أسكن هذه الناحية
وأنا صغير بل في هذه الناحية ولدت وفيها ربيت ولم أتركها إلا وأنا يافع
بعد أن بعنا دارنا الكبيرة التي لم يبق منها إلا دمن تبعث الذكري في
القلوب ، ذكرى الطفولة المذبة الجميلة . أذكر انى وددت وأنا صغير أن
أزور الكتاب لأقارن بينه وبين المدرسة التي كنت أذهب اليها كل
يوم فدخلت مع خادى وصعدت للطابق الاعلى ورأيت الاطفال جلوساً
كلاً أمام قطره وهم يرددون آيات القرآن الكريم بنغمة حلوة شجية
وكان (الفتى) غائباً ذلك اليوم أما (الريف) فكان واقفاً في وسط
الغرفة ويده عصا (جريدة) تنظر اليها الاطفال نظرات ينبعث من
بريقها الخوف والوجل . رآنى الريف وحيانى أجهل تحية وأجلسنى على

كرسيه وصرخ في الاطفال صرخة أراد بها اظهار مقامه بينهم ولكني
لا أنكر اني ارتعدت عند سماعها كما يرتعد العصفور أمام الباشق . ثم
التفت يميناً وشمالاً فرأيت طفلاً يتسل من مكانه لركن الغرفة وهو يخفي
في يده شيئاً وإذا بالعريف يصيح .

— إلى أين ؟ وكيف تجرأ على مخالفة النظام ؟ أmaal هنا
فأتى الطفل وهو يتمتر في مشيته وصاح العريف مرة ثانية .
— على (بالفاقة) .

فأتاه بها أكبر الاطفال سناً وشدوا وثاق الطفل وأقسم العريف
بأغلق الأيمان أنه سيضرب الطفل ضرباً مبرحاً لانه خالف النظام
والاوامر الجديدة وهم بضربه وهو يقول .

— أقسم بالله والنبي والرسول والعصابة والاولياء والأتقياء الاحياء
منهم والاموات إنك لا تفات من يدي . سوف ترى . سأحل بك
أشد عقاب رأتة العيون وسمعت عنه الآذان من عهد آدم ونوح .
ما الذي تخفيه في يدك ؟ تكلم . ماذا غادرت مكانك خفية . ما الذي بيدك ؟
فصاح الطفل وقد رأى العريف يهم بأن يهوى بمصاه على
جسده الناعم .

— حلاوة . حلاوة . والنبي ياسيدنا حلاوة .

فأقسم العريف وقال

— صفحت عنك لأنك قت الحديقة .

وأمر بجل وثاقه وأخذه على ناحية وهمس في أذنه وهو يتلمظ وقد
سال اللعاب من فيه .

— ما الذي معك . حلاوة . هيه حلاوة .

— نعم حلاوة .

— هات حته

فأعطاه الطفل الحلاوة واتهمها العريف وهو يبتسم وعاد الطفل
لمكانه . وخرجت من السكتاب بعد أن شاهدت فيه درساً من أخلاق
السوقة لا أظن أني أراه في مكان آخر

٢٣ مايو سنة ١٩١٨

عرس وماتم

شارع (الـ .) شارع قديم جداً أنشأ في عهد أمير مصر سعيد
باشا وبقي على حاله الأول الى يومنا هذا ولعل السر في ذلك وجوده في
حي قديم بعيد عن الاحياء الاوربية . وهو كالشوارع القديمة يجمع بين
القصور الكبيرة تحوطها الاسوار العالية والبيوت الصغيرة الحظيرة التي
لا تأوى تحت سقفها إلا المساكين . في هذا الشارع قصر كبير لأحد
باشوات مصر المعروفين بالجاه والحسب والثروة ولهذا الباشا أربعة من
الاولاد الذكور واثنان من الاناث يعيشون عيشة هادئة مرضية
وينعمون بلذات الحياة ومسرراتها

أراد الباشا أن يزوج ابنته الاكبر فخطب له ابنة تساويه مقاماً
ومالاً وأقام الأفراح في قصره أربعين ليلة متواليه حتى ملئت النفوس
سماع النغمات ورؤية التماثيل والانوار

عرس يجمع أربعين عرساً !!! تلك لعمري مسألة عريضة طويلة
حوت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . شئ، كانت له ضجة هائلة في
ذلك الحى بل كان حديث الناس في كل مكان

وفي ذلك الشارع أيضاً بيت حقير لحوذى من أصحاب العربات
الكارولة ولد مريض أربى على الثامنة عشر لازم الفراش أربعين ليلة

وافقت لىالى العرس . كان الباشا يضحك وكان الخوذى يبكي . كان الباشا يعد معدات العرس ويصرف من أجل ذلك عن سعة وكان الخوذى يبيع أثاث بيته ليشتري الدواء لابنه المسكين . كانت النغمات تطن في آذان الباشا فينشرح لها صدره وتنبسط نفسه وكانت أنفاس الابن تقع في قلب الوالد فتقطع البقية الباقية منه .

وفي صبيحة اليوم الواحد والاربعين زاد على أهل القصر الكبير شخص وهو زوجة الابن الاكبر ونقص من أهل البيت الحفير شخص هو ابن الخوذى البائس .

أصبح الزوج ينعم مع زوجته بما لذ وطاب وأصبح الشاب الفقير جثة هامدة تبللها دموع أبيه المسكين

ذهب الخوذى اقصر الباشا باكي العين كاسف البال خاوى الوطاب وسأله أن يعطيه ما ينفقه في سبيل دفن ولده فامتنع الباشا معتذراً بأنه أنفق المال الكثير أربعين ليلة متوالية لزواج ولده . إن ذلك شديد هائل على كل نفس حرة أبية .

(٦ يونيو سنة ١٩١٨)

رمضان في قهوة ماتاتيا

خلف المحكمة المختلطة وأمام بنك الكريدى وفي كتف دكان
مذكور وقفت قهوة ماتاتيا وقفة الرجل الديقراطى . تهللة الوجه باسمه
القم تجمع من الناس الغنى والفقير والرفيع والوضيع والمتكبر والوديع :
ما أجل قهوة ماتاتيا وهى تنظر لحديقة الازبكية نظرة الهازى
تقول لها وهى تبسم « أنت شاسعة الارجاء كثيرة الاشجار طويلة
الطرق والدروب وأنا صغيرة وحقيرة وإن شئت فأنا أيضا غير نظيفة
ولكنى أضحم تحت لوأى عددا من الناس لم يطأ أرضك بمدرية ولا خمسة
فأنا أكبر منك مكانة وأرفع مقاما .

ما أجل قهوة ماتاتيا وقد وقف على كل باب من أبوابها رجل
اسرائيلى أمام خوانه الصغير بعد أن وضع عليه قدرة الفول المدمس يحف
بها البصل والخيار والقوطه الحمراء والفجل والكرات .

ما أجل قهوة ماتاتيا وقد جلس فيها الشاب ذو الوجه الجميل
والشعر المسدلة والقند النحيف واللباس النظيف ينتظر مرور الناس
ليسرق من جيوبهم باسم (حرفة) الادب والشعر أو باسم (الاحرفه)
الدراهم التى أعدوها للفقراء والمساكين . بل ما أجل قهوة ماتاتيا وقد
جلس فيها أيضا الصحفي صاحب الجريدة الأسبوعية الشهيرة التى تصدر
لسبب الناس وانتقادهم بلا ذنب ولا جريرة .

بل ما أجمل النغمات الموسيقية في قهوة ماتاتيا نغمات (أحجار الطاولة) ممتزجة بصوات بائعي أوراق اليانصيب . ما أجمل قهوة ماتاتيا إذا جلست فيها وأتاك أحد السماسرة يعرض عليك شراء منزل أو بيع قطعة من الأرض الخ . بل ما أجملها أيضاً وقد جالس فيها كتاب المحامين يناقشون أصحاب الدعاوى وصغار الممثلين يتحدثون في شتم اخوانهم ورؤسائهم . والاجمل من كل ذلك أن ترى قهوة ماتاتيا وهي تنظر بعين العطرسة والعجرفة للخيم الصغيرة والكراسي المشبعة التي أعدها كتابو العرضجات لانفسهم ولزبائنهم على رصيف المحكمة المختلطة . كل هذا جميل . هذه مناظر من مناظر الحياة تسترعى نظر الكاتب الذي يكره الجلوس في سولت وجروبي والكويتيننتال والذي يحب أن يرى بعينه من غرائب الحياة ما يجري في أمثال قهوة ماتاتيا . كل هذه المناظر الحيوية يراها الرائي كل يوم ولا يعبأ بها ولكنه إذا رعى القهوة في شهر رمضان رأى مناظر أخرى تستوقف نظره : أربعة مناظر جديدة من مناظر التمثيل ليست أجمل من المناظر الاولى ولكنها أكثر منها غرابة .

المنظر الاول منظر رجل من لابسى الجبة والقفطان ناعس الجفون جهم الحيا ممسكاً بمسبحة طويلة عريضة يقتل بها الوقت ، هذا هو منظر الشيخ الصائم الذي ضاق في عينه منزله فألقى ليقضى وقته في القهوة بلا أجر ولا ثمن .

والمنظر الثالث منظر رجل مثله أقل منه عبوسة ونوماً يظهر أمام

الناس بتظهر الصائم حتى إذا جاع دخل القهوة سرّاً ودخل في ركن من أركانها يشرب البيرة ويأكل الفول . هذا هو منظر الرجل الصائم جهاراً والفاطر سرّاً .

والمنظر الثالث . منظر الرجل الفقير الضعيف المريض الذي أتى القهوة ليستنشق هواء حديقة الازبكية ويشرب فنجان قهوة وكوب ماء وكل هذا بقرش تعريفة فقط .

هذا الرجل أجبرته ظروف الحياة على الافطار فلم يخش الناس وشرب القهوة والماء أماءهم وهو يقول لنفسه (الله يعلم اني مفطر فلتعلم أيضاً الناس لانى لم أفعل ما يغضب الله) .

والمنظر الرابع . منظر شاب مصرى لا يتكلم إلا بالفرنسية أو الانكليزية مملوءة بالانحلاط المضحكة ولا يلبس إلا اللباس الجميل ولا يمشى إلا مشية الاعجاب والتبخر وإذ ضحك كانت ضحكته نسائية تستلثمت أنظار الرجال قبل النساء وإن تكلم سالت من فيه الرقة وادعى أنه ممن تتفانى النساء في محبتهم . يجلس هذا الشاب على قهوة . ماتاتيا ولامعاً رجله اليمنى على رجله اليسرى خالماً طربوشه وممسكاً بيمنه كأس الوسكى أو الكونياك يحسبه جرعة جرعة . هذا هو منظر من لا يخشى الله ولا اللس منظر المتفرنج ، منظر العضو الأشل في جسم الامة المصرية

ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء

في مصر

ما أجمل الصيف في رمل الاسكندرية وما أجمل رمل الاسكندرية في عين المصطفى . الأرض صفراء والحدائق خضراء ومياه البحر زرقاء والامواج زئير تألفه النفوس كأنه موسيقى الصيف والقمر في منتصف كل شهر أشعته زاهرة تدمكس على وجه الماء فتبدو للعين فضية اللون . والاستحمام في ماء البحر كل صباح يعيد للنفس نشاطها وللقلب طمأنينته وراحته . كل هذا جميل وأجل منه أن نخرج من منزلك عصر كل يوم للتنزه فتصادف في طريقك صديقاً تأنس لحديثه فتسيران الهويناء معا تنظران لجمال الطبيعة وتناجيان قدرة الخالق وعظمته تبدو في صغائر الامور وكبارها فوق هذه الرمال

أخرج في العصر للتنزه ساعة ثم أعود لمنزلي قبيل المغرب . ففي ذات يوم خرجت للترويض كما دتني وبينما أنا سائر في طريقى لحقت رجلاً يقرب منى من بعيد وشعرت برجل آخر يسير خلفي ثم اقترب الرجلان وسالما على بعض وهما يتسلمان ووقفاه هنيهة يتحدثان ثم سارا معا أمامى وهما يعتبان على بعضهما لطول غيبة الواحد عن الثانى فما شككت في أنهما صديقان التقيا في هذا الطريق بعد فراق طويل . ثم دلفت لمنزلى وتركتهما معا ولم أعلم عن أمرهما شيئاً إلا عصر اليوم التالى .

خرجت في اليوم التالى للتنزه كالعادة وسرت في الطريق التى

وطفتها أقدامى بالأمس فإذا نى أرى رجل الأمس يقترب منى وكانت تسير بجواره عادة ما شككت فى أنها زوجته . وشمرت خافى أيضاً بالرجل الثانى يسير مع سيدة ما شككت أيضاً فى أنها زوجته . ولما تلاقى الجمعان انفصل كل من الرجلين عن زوجته ووقفا من بعيد ينظران الارض دون أن يحسرا أحدهما على رؤية الآخر . أما الزوجتان فقد كانتا على ضد ذلك . وقفت كل واحدة منهما تحدث الأخرى وهى لامعة الصفحة باسمه الفم ثم انفصلتا عن بعضهما وسارت كل واحدة بجانب زوجها متخذة وجهها لمنزلها .

يالله حجب . بالأمس وقف الرجلان يعتب الواحد منهما على الآخر لطول غيبته ثم سارا جنباً لجنب يتحدثان ويضحكان واليوم وقف كل واحد منهما بعيداً كالصم لا يتكلم ولا يتحرك كأنه لم يكن بين الأول والثانى ود وصداقة . كل هذا لا نفعله احتراماً للنسائنا بل احتراماً لتلك الخرقه التى نضعها على وجوههن ، والتى نسميها بالبرقع . حرام أن يكلم الصديق صديقه إذا قابله مع زوجته ظناً منه أن فى ذلك ما يحبط من قدر الزوجية إذ للرجال عالم منفصل عن النساء . ألم يكن أحسن من ذلك وأولى أن يقف الأربعة ليتحدوا معاً ويتنزهوا معاً وعلى الأخص إذا كان الرجل صديق الرجل والزوجة صديقة الزوجة . أى حائل يحول بينهم وإلى متى تبقى تلك الحال السيئة ونحن فى غنى عنها .

ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء فى مصر

(٤ يوليو سنة ١٩١٨)

لبن بقهوة ولبن بالتراب

صباح اليوم ، بعد أن صحت من نومي ولبست ملابسى ، أتتني الخادمة بالفطور لآكل ثم أخرج . أقيمت نظرى على الطعام فوجدته مختلف الالوان من جبن وزيتون وبيض وابن وقهوة وكانت لى شهية لآكل فأكلت من الجبن والزيتون والبيض حتى شبعتم ثم نظرت لللبن والقهوة وقلت لى نفسى (لنى أشرب اللبن مع القهوة صباح كل يوم ولقد شبعتم من غيره اليوم وليس فى متمدورى أن أضيف لى ما فى مصادنى من اللبن شيئاً) وقت لآرتدى ملابسى وإذا بى أرى كلبى يبصبص لى بذبذبه فأفرغت ما كان فى فنجانى من اللبن فى وعاء الكاب وتركته والوعاء .

ركبت ركاب الرمل حتى الاسكندرية وقضيت بعض حوائجى ثم أردت الرجوع فانتظرت فى المحطة قليلا مترقبا وصول القطار الذى يقلىنى حتى المحطة التى أسكن فيها وإذا بى أرى رجلا يباغ الحسین يسير وراءه طفل ما شككت فى أنه ولده يحمل معه قدراً مملوءاً بسائل لا أعرفه وحاولا ركوب قطار كان قد غادر المحطة وابتعد عنها قليلا وإذا بالولد يهوى على الارض والاب يهوى فوقه وحسن حفظهما لم يصابا بسوء ولكن القدر انكسر وسال ما فيه على الارض وكان لبنا ناصع البياض فنظر اليه الرجل نظرة ملؤها الاسف وكادت الدموع تسيل من

عينه ثم سار في طريقه مع ابنه وكأنه تفاعل شراً مما حدث فعاد من حيث أتى .

لم ألبث في طريقى قليلاً حتى رأيت طُغُلين من أطفال شوارع الاسكندرية يتسابقان لمكان الحادثة وكانا لا يسين من الملابس ، ما لا يحجب من جسدتهما إلا القليل ، عاري الرأس حافي الاقدام تتراكم على جبهتهما وولابسهما القاذورات والوساخ - تسابقا لمكان الحادثة ونا وصلا اليه ركما على الارض ولبثا يا احسان اللبث وكان لبنا بالتراب لا بالقهوة .

يا لله أترفض نفسى في هذا الصباح فنجان ابن بقهوة وترضى نفسا هذين الفقيرين لبنا ممزوجا بالتراب

(٢٥ يوليو سنة ١٩١٨)

س من أسرار تأخر المصبيين

يسكن بجوار منزلنا رجل أشيب معمم ذو ثروة كبيرة ، إذا مشى في طريقه ينبعث من وجهه جلال ووقار ، وإذا نظر إليك نظرة اختبار واستفسار قرأت في عينيه الطيبة ولا أغالى إذا قلت السذاجة : هذا هو جارنا الجديد المحبوب صاحب المال والبنين والبنات والثروة والجاه والفضل الكبير .

مضى عليه في الحى الذى نسكن فيه أربعة أشهر ثم جاء شهر رمضان فإذا بي أراه من نافذة غرفتي يجلس مع أولاده في غرفة من غرف داره ليقرأ البخارى وإذا بي أرى شيخاً آخر من الذين يطرقون بيوت الناس كل يوم جالساً بجواره يسمع أحاديث النبي ويهز رأسه استحساناً حتى إذا تعب صاحب الدار من القراءة أمسك شيخنا الجديد بالكتاب وابتدأ في تلاوة الاحاديث .

جميل ذلك المنظر ، منظر الشيخين والاولاد الصغار يتلون ويرددون أحاديث النبي وفي ذلك عبرة لمن يعتبر وذكر لمن يتذكر . ثم زارنا الشيخ الآخر ذلك الذى اعتاد الدخول في بيوت الناس كل يوم فجلست معه ساعة من الزمن وسقت معه الحديث في مواضع شتى الى أن تكلمنا عن قراءة البخارى فقلت له .

— أرى سيدي الفاضل يجلس كل يوم مع جارنا لتلاوة
أحاديث النبي .

— نعم يا ولدي وعلى بركة الله .

— قراءة أحاديث النبي ذات فوائد عظيمة لعلكم وجدتم فيها شيئاً
يعزز بعض آراء النحويين .

— نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

— ألم تجدوا في معاني أحاديثه نظريات تتفق أو تختلف بعض
نظريات عالم الاجتماع .

— نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

— ألم تجدوا فيها شيئاً من سياسة الأمم .

فنظر الرجل نظرة حيرة واستغراب وأمسك بإحيمته وتردد قليلاً
ثم قال .

— نحن نقرأها يا ولدي على بركة الله .

ثم ودعنا وانصرف .

...

وانتضى شهر رمضان وكدت أن أنسى ذلك اللقاء إلى أن سافت
الظروف لدارنا مستشرقاً من مستشرق في أوروبا شيخاً أشيب وقوراً حليم
الطبع لأمع الصفحة ، قدم إلى مصر للبحث عن كتاب عربي قديم في
أمراض العيون بحث عنه في جميع مكاتب العالم فلم يجده في غير مكتبتنا
جلست مع الرجل وحادثته ملياً وقلت له :

— شكرالك ياسيدى لانك بطبع هذا الكتاب تخدم الشرق أجمع
— بل إنى أشكركم بالمباح لى بطبعه .
— إنك تظهر ماثر العرب وتنشر علومهم الدفينة .
— أجل ولكنى أيضا أظهر للعالم الانسانى كيف كان حال الطب
فى ذلك العهد ولهذا أخدم تاريخ هذا العلم وللى أوفق لذلك .
وودعنا الرجل وانصرف حاملا الكتاب وأتانا به بعد أشهر معدودة
مطبوعا متقنا جميلا .
لعل بكتابة هذه الخطارة أشرح لابناء وطنى سرّاً من أسرار
تأخر المصريين .

• (١٩ سبتمبر ١٩١٨)

سارق وسارق

الشيخ احمد يافع أصفر الوجه نحيل الجسم إذا مشى سار الهويته
لضعفه وانحلال قواه وإذا نظر اليك إنبت من عينه بريق يهز أوتار
قلبك ويبعث فيه الشفقة والحنان. تراه في صبيحة كل يوم يحمل على ظهره
المقوس الواح الثلج يسير بها في شوارع الرمل ليودعها في البيوت
والقصور وما ساقته لذلك غير الحاجة ولا قاذته غير البلوى فهو من
الفقراء البائسين الذين لا حول لهم ولا طول. ولقد أطلق عليه أطفال
الرمل اسم الشيخ احمد لسداجة طبعه وضعف قوته فهو في نظرم العوبة
يقتلون به الوقت والوقت في نظر الاطفال لا قيمة له. بيد أن اسم الشيخ
احمد التصق بشخصية ذلك العامل المسكين فردده الكبير والصغير
والغنى والفقر والشريف والحقير وأصبح حامل الثلج لا يعرف في حى
الرمل بغير ذلك الاسم.

اعتدنا أن نرى وجه ذلك المسكين فى كل رصيف عند مجيئنا
للاسكندرية وكأننا نرى برؤيته جزءاً من رمال الرمل وغياضها وبحرها
الهائج غير أننا فى هذا العام حرماناً رؤيته وجهه البائس شهراً من
الزمن شعرنا باختفاء شئ. اعتدنا رؤيته كل رصيف. ثم ظهر الشيخ احمد
فى ربوع الرمل يحمل على ظهره الواح الثلج ورأيناه فى صبيحة يوم من
الايام يطرق بابنا ويدخل فناءنا وهو يتسم كأنه يقرئ أرض الدار

وجدرانها وكل شئ فيها سلامه ويبيتها أشواقه ولو كان للارض والجدران
لسان يتكلم لسمعنا حديث الشوق وتحيات اللقاء بعد الفراق . ناديته
فأبى ندائى ووافانى يتعتر فى مشيته فسألته عن سر غيبته فقال :
— كنت رهين السجن ياسيدى .

— الشيخ احمد يزج فى أعماق السجون ؟

— إنى والله برى .

— وكيف كان ذلك ؟

— سيدى لا يعرف الرجل الذى يشتري الملابس الرثة ثم يبيعها فى
الطرق بعد اصلاحها .

— أعرفه يا شيخ احمد وأسمع صوته كل يوم فما هو إلا حانوت متنقل
— بورك فيك يا سيدى فقد عرفت الرجل . لقد سألته يوماً شراء
ثوب كان فى يده وسأولته على الثمن فأبى أن يبيع الثوب بعشرة قروش
وغادرنى وسار فى طريقه ولكنه التفت الى بعد حين ونادانى قائلاً هات
الثنم وخذ الثوب فاعطيته ما كان فى جيبى وكنت لأملك سوى عشرة
قروش فوضع الدراهم فى جيبه وسار فى طريقه فجريت وراءه لآخذ
الثوب ولكنه نهزنى ثم ضربنى ورمى الصفقة منى فالتفت بمنة ويسرة لعلى
أجد فى الطريق رجلاً ذا شهامة ومروءة يرد الى مالى فلم تقع عينى على
غير آكام الرمل فعدت أدراجى صفر اليدين لا أملك أبيض ولا أسود
ولكننى أقسمت أن أنتقم من ذلك الوحش بل من ذلك الجبان الذى
وجد ضعفى وبؤسى وسيلة يبرر بها جريمته . وقابلته بعد أيام ثلاثة وكان

قد وضع حمله أمام بيت دخل فيه يساوم بعض الخدم على شراء ثوب عتيق
فأخذت من بين بضاعته الثوب الذي دفعت ثمنه وما دفعني لذلك غير
الانتقام وإذا بالرجل خرج من البيت وجرى ورائي وأمسك بي ثم أخذ
الثوب مني وما زلت بين يديه يصفعني تارة ويهزني طوراً إلى أن سلموني
ليد البوليس وحكم على بشيرين قضيتهما بين جدران السجن . ثم تبسم
الشيخ احمد وقال ولكني لا أكذب القول لقد كنت على أحسن حال
في سجنى فما شكوت ضيقاً ولا جوعاً . وغادرني الشيخ احمد وهو يتسم
حاملًا الواح الثلج كماداته فقلت في نفسي حرام أن يعاقب الأبرياء أما
المجرمون فما زالوا يعمشون في الأرض فساداً ثم القيت نظرة أخرى على
الشيخ احمد وهو يتوارى عن نظري فرأيت فيه صورة البائس الذي
يخرجه المجتمع الانساني من حيز الأبرياء الى حيز المجرمين وكيف لا
يكون الامر كذلك والشيخ احمد لم يشك في سجنه ضيقاً ولا جوعاً .

(٣ أكتوبر ١٩١٨)

هنا وهناك

ما أجمل جبل السمسير بضواحي ليون ، جبل أخضر اللون تكتنفه
 تلال تكسوها الأشجار ومروج تقطعها الطرق ، وعلى قمته بنيت يد ناسك
 متقشف بيتا صغيرا يقضى فيه حياته تحوطه حديقة غرس أشجارها بيده .
 هناك تشرق عليه الشمس وهناك يعم الظلام بيته . وهناك اعتزل العالم
 وهناك سيموت . وبين هذه الجبال نزلت منذ ثمان سنوات في أسرة
 افرنسية لأقضى بينهم ثلاثة أشهر أدرس فيها اللغة الافرنسية ، وكان
 بينهم غير بعيد عن الجبل وكنت أشرف منه على مدينة ليون فتراءى
 لى فى ظلام الليل بمصايحها اللامعة . أيام جميلة تعيدها الذكرى لنفسى
 وما أجمل الذكرى والانسان بعيد عن هذه البلاد التى قضى فيها جزءا
 من عمره لاقى فيه السعادة والصفاء . قلت إنى كنت نزيل أسرة
 افرنسية مكونة من رجل وزوجته وشقيقته وولدين له يذهبان صباحا
 إلى المدرسة ويعودان منها قبيل الغروب فيلبان ويعرجان فى الحديقة الى
 أن يدنو الليل فيدخلان غرفة المطالمة ويقضيان مع عمتهم ساعة من
 الزمن قبل العشاء يعيدان فيها درس اليوم ويدرسان درس الغد . وأبيح
 لى أن أشهد هذه الدروس لاعتاد أذننى سماع النغمة الافرنسية ، فى ذات
 ليلة رأيت فى يد الطفل الصغير ، وكان لا يبلغ من العمر إلا ثمان سنوات ،
 قطعا من الحجارة يدرس أسماءها مع عمته ورأيت الطفل الكبير ، وكان

يبالغ الثانية عشر من عمره ، بمسك بكتاب في يده مكتوب عليه هذا
العنوان (مبادئ علم الفلسفة) ولبنا يتناقشان مع عمتهما ثم قننا سوريا
للعشاء ومكثنا تسامر بعد ذلك ثم دخل كل الى غرفته لينام .
سبحان ربى لقد كنت أبالغ التاسعة عشرة بل كنت على أبواب
العشرين وكنت من حملة الشهادة الثانوية ولكنى كنت جاهلا بعلم طبقات
الارض ومبادئ الفلسفة .

أما الطفل الافرنسى البالغ من العمر ثمان سنوات أو اثنتى عشرة
سنة فهو خبير بعلم طبقات الارض وبعلم الحيوان والنبات والمنطق وعلم
النفس . لقد كنت أمام هذا الطفل الصغير كالتلميذ الجاهل أمام
الاستاذ المتعلم .

يحمل الشاب منا الشهادة الثانوية فأن كان من القسم العلمى جهل
علمى التاريخ والجغرافيا وإن كان من القسم الادبى جهل الرياضيات
والكيمياء والطبيعة . أما علم طبقات الارض والحيوان والنبات والفلسفة
فلم تقرر بعد فى برنامج المدارس الثانوية ولا تدرى السبب فى ذلك .
نكتب هذا لوزارة المعارف ونحن نأمل أن تصالح فى الغد ما
أهمته بالامس .

(٣١ اكتوبر ١٩١٨)

خواطر

- ١ لا يهدم المشروع الكبير غير الحياء .
- ٢ الجبن هو سر تأخر الشرقيين لأنهم لا يخاطرون بكل ما
عندهم في سبيل نجاحهم .
- ٣ رأى الجديد يؤلم لأنه يفاجئ الانسان قبل أن يأخذله عدته .
- ٤ لا خوف على الأمة من رأى الجديد لأنه يفيد إن كان
صائباً ويموت إن كان واهناً .
- ٥ الرجل ذو الإرادة القوية إذا كان سيئ النية يكون أقل خطراً
على الأمة من الرجل ذى الارادة الضعيفة إن كان
خالص النية .
- ٦ يستحيل على من وُلد فقيراً أن يعتنى في سبيل الصدقة والخداع
أن يصبح يوماً صديقاً يعول عليه .
- ٧ من الناس قوم يستحيل عليهم أن لا يخلطوا الجسد بالهزل .
هؤلاء والبهائم في مستوا واحد .
- ٨ الصداقة كالحب تحمل في نفسها مهادها ولحدها .
- ٩ ليست التعاسة في أن تحب وأن لا تكون محبوباً ولكن
التعاسة في أن تكون محباً محبوباً وتجرى الظروف على
مفارقة من تحب .
- ١٠ الحب يحمل تحت ابطه رداء الفضيلة ليرتديه كل انسان
وضيعاً كان أو رفيعاً .

الكتاب السادس

هذا كتاب في بيان



مذكراتي عن باريس

أكتب اليوم مذكراتي عن باريس ، أكتبها كما تملأها على نفسي ،
لا أريد تنميق العبارة ولا المغالاة في الوصف شأن فطاحل الكتاب
والشعراء ولكنني أريد كتابة ما شعرت به نفسي وتصوير ما رأيته عيني
في غضون عدة سنوات قضيتها في بلد العواطف والجمال والعلم والعرفان
والحقيقة والخيال .

(١)

اليوم الاول

ركبنا القطار من برلين ظهراً قاصدين باريس فوصلناها صبيحة اليوم
التالي . قضينا الليل في تلك الغرفة الخشبية وحاولنا النوم مراراً فلم نقاح
فمكثنا نتجاذب أطراف الحديث الى أن لاح الصباح وما أجل إنشاق
النور على تلك الاراضي الخضراء . أما السماء فكانت متلبدة بالغيوم ثم
بكت عين السماء قليلاً فشعرنا بوحشة وانقباض ولبثنا واجمين لا ننطق
بينت شفة ننظر لتلك القصور القديمة التي كنا نراها من نافذة القطار ،
قصور شاهقة قائمة فوق تلال خضراء عليها مسحة من القدم دعنا لأن

نذكر العيد القديم أيام كانت فرنسا مقر الأرستقراطية وتهيط الملكية .
ثم أمطرنا السماء مدرراً فأینا باريس من بعيد كأنها تستقبلنا ولم
استقبلت باريس الغرباء من قبل ، ثم وصل بنا القطار الى محطة الشمال
ففرزنا منه بعد أن نادينا جمالا أتاننا وهو يتروح في مشيته غير عابئ بنا ثم
قال لنا وهو ينظر إلینا نظرة الند الى نده .

(أى فندق تقصدون) فقلنا (فندق الكونتیننتال شارع جراند
بلفراد) فبرز رأسه وابتسم ابتسامة الساخر وقال (ليس فندق —
الكونتیننتال فى شارع جراند بلفراد يا صديق) وحمل أمتعنا فسرنا
خلفه الى أن وصلنا الى سيارة وضعنا فيها أحمالنا وركبناها الى فندق
الكونتیننتال .

جال بخاطرى وأنا جالس فى السيارة مع والدى خواطر ثلاث :
الاول إنی رأیت فى الباريسيين وجوها ليست بالغريبة عن وجوه الشعوب
اللاتينية التى يعيش كثير من أفرادها تحت سماء بلادنا . والثانى إنی
شعرت بالفرق الهائل بين الشعب الالماني والفرنسى فالاول شعب
أرستقراطى والثانى شعب ديموقراطى فى المانيا ترى الخدم يلبون إشارة
السيد طائعين كالعبيد وفى فرنسا تجد الجمالین يعاملونك معاملة النظير
وما أجمل أن يشعر جميع أفراد الشعب بكرامة أنفسهم . والثالث إنی
لم أجد باريس تستهوى الافئدة وتأسر القلوب فأین جمالها الذى كانت
تتوق نفسى لرؤيته . لقد كنت أظنها بلدة أديمها من فضة وحجارتها من
ذهب فاذا بها بلدة من البلاد بل هى كالقاهرة إذا نظرت إليها من فوق

جبل المقطم بمنظار معظم ولكنى لا أكتفى القارىء أنى بعد أن وقفت على جمال باريس الحقيقى وعرفت كيف تقضى الحياة فيها أحبيت تلك البلدة كثيراً وعرفت ما بينها وبين بلادنا الشرقية من الفرق الكبير . لهذا أنصح لكل سائح أن لا ينفد الى باريس فى الصباح فى ساعة تسيل فيها دموع السماء .

سارت بنا السيارة الى أن وصلنا الى الفندق ثم صعدنا الى غرفتنا وأخذنا فى اصلاح شؤوننا ثم نزلنا بعد ذلك الى غرفة الطعام لتناول غذائنا ونحن لا بسون طرايدشنا فكنا موضع أنظار الآكلين . وفى عصر ذلك اليوم خرجنا للتنزه فى غاب بولونيا فركبنا سيارة أخرى وجلس خادمنا المصرى بجوار السائق ثم ما لبثنا قليلا حتى تحدثنا وطال حديثهما فأخذ منا العجب كل . أخذ سائق باريسى لا يعرف العربية يتحدث خادما مصرىا بجهل الافرنسية ؟ ألا يدعو ذلك للدهشة والعجب ؟ وعند عودتنا سألنا الخادم عن حقيقة الامر فقال لنا إن السائق قضى فى مصر عدة سنوات وأنه يتقن المصرية فقامت لنفسى وقد أخذتني هزة الطرب (بلادنا يؤمها الباريزيون أيضا) ولكنى ما لبثت أن انقلب سرورى الى حزن وحم بعد أن أدركت أن من يؤم بلادنا يشاهد جمال أثارها ويتمتع بصفاء سمائها أقل عدداً ممن يفد اليها سعيًا وراء الرزق يتراحم أهلها فيما هو حق لهم . ثم تناولنا عشاءنا وصعدنا لغرفتنا وثنا . لا جفوتنا وفى الصباح استيقظنا مبكرين وأخذنا وجهتنا الى محطة ليون وهناك ودعنى والدى وركب القطار الى رسليا وتركى فى باريس وحيداً فريداً .

رجعت من المحطة الى الفندق وأنا شارداً للرب ، رأيت نفسي غريقاً
في بحر يهوج بالناس فدخلت الى غرفتي ونظرت من النافذة ومرت
بتخيلاتي صور مصرية عديدة . تذكرت سريري الذي لا يحاو النوم ليعني
في غيره وتذكرت دارنا التي فيها نشأت وشارعنا الذي كنت ألعب فيه
مع الاطفال وأنا طفل صغير . وتذكرت أهلي واخواني وما حدث لي
في مصر من الحوادث صغيرة كانت أو كبيرة . كل هذا رأيته بعين
الخيال وأنا أنظر من نافذة الفندق الى تلك السماء السوداء ، وذلك الخضم
المائج بالناس والمركبات والسيارات . ثم أطلقت زفرة من بين الجوانح
وأرسلت دمة خست على الخد ما في القاب من هم وألم . ولكنني نشطت
من عقالى دفعة واحدة وقلت لنفسى (علام هذا الضعف . لقد جئت
لهذا البلد لأتعلم ففي هذا البلد تثبتت أقدامى) ثم نظرت الى ساعتي
فرايت أنى قضيت في باريس أربعاً وعشرين ساعة فقلت (لقد مضى
اليوم الأول دون أن أفعل شيئاً يذكر) وغادرت الفندق لأبحث لى عن
أسرة أعيش معها

(١٣ فبراير سنة ١٩١٩)

حول المرأة

— كلا يا صديقي كلا . إنني لا أساير أهواءك فببرلوتي كاتب ماهر
يصور لك ما تراه عينه وما تشعر به نفسه أمام تلك الصور العجيبة التي
رآها في الشرق .

فأجابها المسيو جاردنيه وهو يتسم
— أجل يا مدمه وازيل جان ولكنه يسير على وتيرة واحدة في كل
ما يكتب وفي ذلك ما يدعو الملل والسأم .

فامسكت المدمه وازيل جان بخصلة من شعرها الأسود كانت قد
انحدرت على جبينها الجميل وأعادتھا الى مكانها ثم قالت :

— يسير على وتيرة واحدة ! وما ضره لو فعل ذلك . أتدسى سهولة
ألفاظه ورقة أسلوبه وسمو خياله ؟ أترى بين كتابنا من يدانيه في ذلك ؟
فقال لها المسيو جاردنيه بعد أن شرب كوبه من الماء :

— نحن لا نتفق يا مادمه وازيل . ببرلوتي كاتب شهير طبقت
شهرته الخافقين وتحدث الناس باسمه في أوروبا وأمريكا ولكني أفضل
عليه الكثير من كتابنا . . .

فقاطعت المدمه وازيل جان وهي تمضغ قطعة من اللحم قائلة :

- أنت من أنصار بول بورجيه .
- أجل يا مدعو الزيل أنا من أنصاره وبنا حبذا لو اقتدى بي جميع
الافرنسيين .
- لو فعلوا ذلك قل على الحرية السلام .
- بل لو فعلوا ذلك لما نفشت بينهم تلك الامراض الاجتماعية
التي تسببها عن عيونهم كلمة حرية .
- عبتا أحاول اقتناعك يا صديقي فنحن على طرفي نقيض .
- والنفث المدعو الزيل جان الى فتاة روسية كانت تدرس معها الآداب
في المربون وقالت !
- وما رأى المدعو الزيل لينا ؟
- فأجابها قائلة :
- رأي ! أختي أن يدهشكم رأيي ، إلى أحب الكاتيبين من
صميم قبي فصرخ السيور كارنوف من طرف المائدة .
- تحبب الزيلين (التجمعين بين الماء والنار ؟
- فقلت له الفتاة الروسية .
- علام هذا التعجب يا سيدى ؟ أحب بيير اشاعريته وإن كان لم
ينظم الشعر بعد وأحب بورجيه لدقه في تحليل خفايا النفوس . الاول
شاعر يقبض خياله في نثره والثاني بخالة لا يخطئ في بحثه . بيد اني أرى
كتب الاول خالية من كل رأى اجتماعي أو فلسفي وأرى نظريات
الثاني لا تنفق مع روح التقدم .

فقال المسيو جاردية : هذا عجيب .

فأجابته المدم وازريل لينا وقد آلمتها جلته :

— والاعجب منه يا سيدى انتصارك لنظريات بورجيه .

فأحنى المسيو جاردية رأسه وقال :

— عفوآ يا مدم وازريل عفوآ .

وكنا قد فرغنا من تناول الغذاء فقمنا الى الصالون وأشعلنا سجاثرنا
وجلسنا نتحدث وما أجمل المحادثة بين قوم غرباء لا نجمهم صلة الوطن
ولا القومية .

الغريب في مصر يحن للغريب والافرنسى يحن للغريب والنزل الذى
آوانا جميعا جمع بين الروسى والاكابرزى والافرنسى والبولونى والصينى
وكانت المناقشات تتجدد فيه كل يوم حول المائدة وبمد الفراغ من الطعام
ثم يذهب كل الى غرفه أو يقادر النزل لعمل بعمله . وكنت أجد فى
هذه المناقشات عالما جديدا لم تره عينى فى مصر .

قلت أننا دخلنا الصالون وأخذنا مقاعدنا ثم ابتدأت المناقشة من جديد
بين المدم وازريل لينا والمدم وازريل جان والمسيو جاردية والمسيو كازنوف
والمسيو يوان الصينى عن سياسة الاوربيين فى الشرق الاقصى أما البولونى
فقد ظل ساكنا ينظر الى سماء الغرفة كأنه يبحث عن أمل له . ثم تغير
الحديث من السياسة الى الفلسفة فتناقشوا فى فلسفة شوبنهاور ورأيت
جماعة الرجال تحبذ الفلاسوف وتشد أزره وطائفة النساء تحب عليه باللائمة .
رأيتهم يدافعن عن آرائهن وحريرتهن كما تدافع المرأة عن صغارها . لم

أجد في حركاتهم وسكناتهم ذلك الدلال النسائي ولا تلك الرقة وذلك اللطف . رأيتهن قد ساوين الرجال عزماً وقوة وبرهاناً ثم علت كفتهم في ميزان البحث والمناقشة وما أجمل انتصارهن بعد أن جاهدن جهاد المستعيت . فنظرت الى صديقي البولوني وقلت له :

— لقد انتصر حزب النساء .

فالتفت الى وقال :

— آد لو كانت شقيقتي هنا تسمع هذه المناقشة .

فقلت : وما آراؤها ؟

— تدافع عن حرية المرأة وتسمى جهدها في بث الآراء الديمقراطية

في بنات جنسها . ستراها بعد ثلاثة أيام لتحكم عليها بنفسك

فقلت له وقد زاد إعجابي بنساء أوروبا .

— سأتشرف بمعرفة شقيقتك يا صديقي .

وتفرقت جماعة النزلاء فدخلت الى غرفتي وجلست أمام مكتبي

وأطلقت لنفسى العنان في التفكير . قارنت بين نساؤنا ونسائهم أستغفر

الله بل بين رجالنا ونسائهم فرأيت الفرق كبيراً والبون شاسعاً .

نساء أوروبا يناقشن الرجال في الادب والسياسة والفلسفة ورجال

مصر يتناقشون في أنواع الاوتومبيلات وجمال الملابس وإذا قلت بهم

الصدفة أمام موضوع جدى مزجوه بالنكات المصرية المستملحة التي تطير

الموضوع في جوف الفضاء أما نساؤنا ؟؟؟؟

فبراير سنة ١٩١٩

ليلة في الاديون

صورة خطاب أرسلته لأخي الصغير عام ١٩١٢ .

أخي محمود:

وصاني خطابك صباح الأُمس بعد أن أقض على مضجعي طول الليل . ففهمت من فرائشي في الصباح ونظرت من النافذة راجياً أن ينكشف عني ذلك الهم القاتل الذي كنت أحس به يدب في قلبي ديباً فاذا بالسماء سوداء اللون وإذا بالغيوم تتكاثف في الجوارخ فخشيت أن تسيل المعصرات وتسقي أرض باريس ماءً ثجاجاً وما كان أخرجني في تلك الساعة الى شيء جميل يطلق عن وثاقي ويدخل السرور الى قلبي وإذا بي أسمع الخادمة تدق على الباب ففتحته وتناولت خطابك من يدها وقرأته عسراً ووضعته صدراً وكأنني عثرت فيه على من يسكن قلبي ويغسل فؤادي مما عاق به من الهم والألم . تسألني في خطابك عن التمثيل في باريس فها أنا مجيبك لعلني بحبك لهذا الفن ولست أنسى أيام كنا نتخذ من سريرنا مسرحاً ومن كاتبه ستائراً ومن غرفة نومنا داراً تمثيلية تمثل

فيها أمام من كنا نجتمعهم من رفقاءنا الصغار . تلك أيام عذبة جميلة .
أجل ما أجل أيام طفولتنا التي تعبت بها اليوم أيام شبابتنا ولكن ذكرها
حية لا يفيض منها نوالى السنين والايام .

قلت إنى تناولت خطابك صباح أمس ثم ارتديت ملابسى بعد
تلاوته وشربت فنجانا من اللبن ممزوجاً بالقهوة وخرجت الى الطريق
أخذاً سمتى الى حديقة الاسكسنبورج ودعوت الله أن لا تمطر السماء
وكان الله أجاب دعائى فانقشمت ديم السحاب الاسود ولكن الشمس
ظلت محتجبة تحت سحاب آخر أقل سواداً فلما وصلت الى الحديقة
وجدت نفسى أمام دار الاديبون فقرأت اعلانه الكبير فاذا بهم يمثلون
فى الليل رواية (السيد) ايير كورنيل التى يمثلها الشيخ سلامه حجازى
فى مصر ويمزجها بألحانه الجميلة وقرأت فى ذيل الاعلان سطرأً ينهى أن
الممثل الكبير ما كس ديجاردان سياتى بين الفصل الثالث والرابع قصيدة
تيوفيل جوتييه عن لويس الرابع عشر ويير كورنيل مؤلف الرواية
فاشترت تذكرة ثم ركبت سيارة الى الجراندى بلقارد .

أنت فى غنى عن أن أسرد لك ما حدث لى منذ اشتريت التذكرة
الى أن دخلت دار التمثيل ولا يهيك إلا أن أرسم لك صورة تلجأج فى
نفسى عن تلك الدار التمثيلية وعما حدث فيها تلك الليلة .

ليست دار الاديبون يا محمود بدار نخبة كدار الاوبرا أو كدار
الكوميدى فرانسيز ولكنها جميلة لما تراه العين على جدرانها من آثار

القدم وللقدم كما تعلم جمال يؤثر في كل نفس خيالية ، وما الاديون إلا مدرسة يؤمها خريجو مدرسة التمثيل في باريس مع غيرهم من الممثلين فإذا قضوا فيها حيناً من الدهر وظهرت مواهبهم انتقلوا الى دار الكوميدي فرانسيز وحطوا فيها رحالهم . ألم يأتك خبر بول مونييه والبرت لمبرت فيس وساره برنارد وما نالود من الشهرة بين مواطنيهم هؤلاء قد أنفقوا جزءاً من عمرهم في دار الاديون لاجتياز ساحتها فلبوا دعوتها طائعين . ومن مزايا الاديون تلك المكتبة التي سمح لبعضهم باقلامها على جوانبه من الخارج فأذا مررت بتلك الدار وأنت سائر في طريقك وقفت هنيئة تقلب نظرك في صفحات الكتب لتشتري منها ما يروق لناظرك ، فما أجمل هذه الدار التي تجمع بين الكتب والتمثيل .

دخات دار الاديون في تلك الليلة وصعدت على سلمه الكبير ثم وصات الى كرسي وجلست أنظر تارة للناس ونوراً المكان . فإذا بالناس لا تسمع منهم ذلك اللغط الذي يصمى أذاننا في دار التمثيل العربي ورأيت جماعة المدرج (أعلا التياترو) لا ينطقون بيئت شفه كأن على رؤوسهم الطير أو كأنهم في حضرة ملك من الملوك . فأين قزقة اللب وابن دخان السجائر المصرية وابن صهيل جماعة المدرج في دار التمثيل العربي . كل هذا لا أثر له في دار الاديون . ترى الرجال قد ارتدوا . لابسهم السوداء أو ما يقرب منها لوناً وترى النساء في حال بهيجة اللون جميلة الشكل . هذا لعمرى مظهر من مظاهر المدنية والجمال لا نراه في مصر . بيد أني لا أود تحطيم آمالك بسرد هذه الوقائع فلا يكبرن عليك أمر التمثيل في

بلادنا فقد عزم الله لنا أن نسير الى الامام ولننتظر مايفعله جورج أبيض
عن قريب في دار الاوبرا المصرية فربما بدّل من حال التمثيل فينقلب
العسر يسراً . أما المكان فهو قرة العين ومسكة النفس يجمع بين الجمال
والنظام . نرى جماعة المدرج يرون المسرح كما يراه صاحب المقصورة
(البنوار) ويسمعون كلمات الممثل كما يسمعونها . به الصور الجميلة التي
ترزين السقف والجدران .

ثم دق رئيس المسرح دقاته الثلاثة وارتفع الستار ومثل الفصل الاول .
شاهدت يا محمود من دقة التمثيل ما أعجز عن كتابته اما المناظر فقد أراد
أنطوان « مدير الاديون » أن يخرجها للناس كما كانت عليه في القرن
السابع عشر ليعيد للبصريين صورة من صور التمثيل في ذلك العهد
صورة تاريخية جلية واضحة فانظر الى أى سماء ارتقى الفن في هذا
البلد الامين .

أسدلت الستار في ختام الفصل الاول فسرت من مكاني الى صالون
الاستراحة حيث تتشى النساء وقد تأبطن أذرع الرجال . في هذه
الغرفة التي زينت جدرانها بصور كبار المؤلفين والممثلين جالست على
كرسى ونظرت الى جماعات النساء والرجال وقات متى أرى روح التسامح
تدب في قلوب المصريين فتري الرجال تخاطب النساء في دار واحدة
دون أن تهتم بنفوسهم نزعات الصبوة أوفتن الهوى . هنا نرى الزوج
يخاطب زوجة صديقه والخطيب يخاطب خطيبته ويبتسم لها وهو يقرأ

في عينها آيات الطهر والحب ودلائل الوفاء . ثم دق الجرس فرجعنا جميعاً
الى كراسيتنا دون أن نسمع لنا جلبة أو صراخ .
وشاهدنا الفصل الثاني والثالث ولكني لا أكتف عنك اني شمرت عنديما
ألقى ممثل دور رودريج مونولوجه في الفصل الثالث بفتقدان شيء لم
أحرم منه في مصر إلا وهو سماع هذا المنولوج يغنيه الشيخ سلامه
حجازي ولعل هذا أثر المادة في النفوس ، ثم ظهر لنا ديجاردان وهم باللقاء
قصيدة تيوفيل جوتييه التي أنحى فيها باللائمة على لويس الرابع عشر
لانحرافه عن كورنيل في أخريات أيام الشاعر . صور لنا جوتييه كورنيل
يسير في الطريق وفي قدمه حذاء ممزق ليس في مقدوره أن يستبدله
بآخر لصيق ذات يده . وفي ختامها يقول الشاعر (لقد كبر اسم
كورنيل وتضاءل اسم لويس) فلما بدأ ديجاردان باللقاء القصيدة صرخ
رجل من أصحاب المقاصير (البنوارات) يالك من ممثل حقير . ولكن
الممثل لم يلتفت اليه . وأتم القاء القصيدة فدوى هتاف الجمهور وهليله
في الدار كأنه الرعد القاصف . ثم قامت الفتنة ورأيت الناس قد هبوا
من مكانهم وصرخوا (فليطرد . فليطرد . فليطرد الملكي) فقامت من
مكانتي ودانيت الرجل فرأيتيه ممتقع اللون وسمعتيه يقول (لا أريد أن
أشتم أب التمنون وما كانت صرختي إلا فائسة غضب) ولكني رأيت
الجمهور قد ازداد صراخه وفي ذلك ما لا تحمد معه المغبة وأجبر الرجل على
مغادرة الدار وفي صدره غصة . وعاد الجمهور لسكونه وانتهى التمثيل
وعدت الى داري وأنا أفكر في هذه الروح الديمقراطية التي شاهدها

تجسم أمام عيني في دار الادبون والتي أود من صميم فؤادي أن تنتشر
في مصر بلادنا المحبوبة .

هذا يا محمود وصف مقتضب لدار الادبون لليلة التي قضيتها فيه ،
كتبته لك لتقف على بعض من أمور التمثيل في باريس .
(٦ مارس ١٩١٩)

صديق من أمريكا

اليوم أكتب للقارئ ما وقع مع صديقي هـ ذلك الطالب الأمريكي الذي وفد الى باريس ليدرس الطب .

رأيت له لأول مرة في بانفاردسان ، ميشيل يجد في سيره ثم عرج يسره الى باب فندق (السلكت) بجوار السربون وكنت أسكن ذلك الفندق ثم ركبنا المصعد (أسنسير) سويا وتفرست في معارف وجهه فرأيتها تنطق بما يكنه ضميره من صراحة وشهامة واقدام . ونزل المستر هـ في الطابق الثاني وصعدت الى الطابق الثالث دون أن نتحدث . ثم أصاحبت من شأنى في غرفتى ونزات الى الصالون في الطابق الاول لاستريح قليلا قبل الذهاب الى النزل الذى كنت أتناول فيه طعام الغداء والعشاء فاذا به يدخن سيجارة وقد جالس على متكأ بجوار النافذة فلما رآنى تم واقفا وجاء الى وهو يقول :

— معذرة يا سيدى إذا حادثتك قبل أن أتعرف بمعرفتك . أنا

طالب جئت من بوستون لباريس لادرس الطب وقد قضيت في هذا البلد شهرا من الزمن دون أن أتعرف على نزل يجيئون فيه الطبي . فهل لك أن ترشدنى الى نزل يجمع بين النظافة وجودة الطعام .

فقلت له وقد أدعشتني صراحتي — حباً وكرامة لو شاء السيد أن يرافقتي الساعة الى نزل مدام ميلون أكون له من الشاكرين .
فنظر الى نظرة تعبر عن شكره وقال — أشكرك يا سيدي .
وسرنا جنباً الى جنب الى نزل مدام ميلون وتحادثنا في الطريق بعد أن تعارفنا وسرد كثيراً أن يصادق مصرياً من أبناء النيل وأعجبه طعام النزل فتردد عليه كل يوم وأصبحنا صديقين نساكن فندقاً واحداً وتأكل كل في نزل واحد .

...

المستر ه . . . و . أخلاق اختص بها هو ومن يسكن أمريكا اخلاق تجمع بين الاخلاص والصراحة والاقدام والمحافظة على الوقت والتفاني في فعل الغرائب والمعجائب . ذهبت معه مرة الى النزل وجلسنا حول المائدة وإذا بربة الدار تقدم لنا رجلاً زويجياً فوقفنا وأحنينا رؤوسنا وأكرمنا وفادة القادم الجديد وجلس الرجل أمام صديقي ه . . . و . فتغير نظام الجالسين وتحول المستر ه . و . عن طرف المائدة وأخذله مكاناً بيني وبين الآنسة ديجنسكي الفتاة الرومانية ذات الوجه الجميل والقد الممشوق . وتناولنا طعامنا وتحادثنا في شؤون مختلفة وكنت أنظر المستر ه . و . راجياً أن تلفته نظرتي الى الآنسة ديجنسكي ليحادثها ولكنه ظل ساكناً لا يفرد ببنت شفة فقلت له دون أن يسمعنا أحد — هل لك أن تحدث جارتك .

فالتفت الى وابتم وظل ساكناً الى أن فرغنا من الطعام .

فلما دخلنا الصالون قلت له — لماذا لم تحدث الآنسة ديخيسكى أخشى
أن يكون قد آلمها ذلك .

— ولماذا ؟

— لأن النساء يؤلمهن أن تغض عنهن أنظارنا .

— لم أغض عنها نظري يا صديقي ولقد بحثت عن موضوع يخلق
بي وبها أن تحدث فيه فلم أجده . فاحياي إذا .

— الموضوعات كثيرة يا صديقي . حادثها عن الطقس . عن جمال
باريس . عن . . .

— أتريد أن أحيل عن الجدل إلى السفسطة ؟ إنى أفضل السكوت
فى مثل هذا الحال .

وتحدثنا فى شئ آخر بعد أن تأقيت عنه درساً جديداً .

..

وفى ذات ليلة كنت عائداً معه من النزل إلى الفندق فقال لى :

— هل لك أن تذهب معى إلى الكوميدي فرانسيز .

— معذرة يا صديقي فأنا تعب هذه الليلة .

فودعتى وذهب منفرداً وصعدت إلى غرفتى وآويت إلى فراشى
ونمت نوماً هادئاً لا تزعجه الأحلام وإذا بى أسمع فى الساعة الواحدة
بعد منتصف الليل دقاً عتيقاً على الباب فتفتحت من القرائش مذعوراً فرأيت
المستر ه . و . يقول

— ما كان يخطر ببالى أنك من محبي النوم .

— وما تقصد بذلك ؟

— سمعت وأنا عائد من دار التمثيل أن الطالبة يقيمون في هذه الليلة حفلة في قهوة بلزار احتفالاً بنجاة أخ لهم من الانتحار . فلم أشأ أن أستأثر بهذه الحفلة دونك . لهذا قرعت بابك وأيقظتك راجياً أن ترتدى ملابسك وتنزل معي .

خاوات الاعتذار فاذا به قد حمل ملابسى وأتاني بها لأرتديها فأطعته وغادرنا الفندق سوياً لنشاهد حفلة النجاة من الانتحار . اليس هذا من غرائب الاخلاق الامريكية .

...

وفي صبيحة يوم من الايام قرعت بابه ليرافقنى الى النزل فاذا به لم يرتد ملابسى بعد فقال لى .

— انتظرنى خمس دقائق فقط .

— وإذا لم تنته من إرتداء ملابسك بعد خمس دقائق .

— تذهب للنزل وحيداً .

وغادرته على هذا الوعد ووقفت أمام الفندق انتظر والساعة فى يدى فلما مرت الدقائق الخمس فتح ه . و . نافذة غرفته وأشار الى يده قائلاً .
— لقد أبطأت . إذهب يا صديقى فالوقت من ذهب .

...

ورأيت يوماً فى النزل يحمل فى يده صورة (كارت بوستال) عن زنوج أفريقيا فقال لى مازحاً :

— هؤلاء من القاهرة .

فألمتني جملته وقلت له وأنا أحرق الأرم .

— بل هؤلاء من بوسطن .

فأدرك لساعته اتى غضبت فأخذني الى ركن من أركان الصالون

وقال لي .

— انه من الواجب أن يعترف المخطئ بخطئه . لقد أخطأت وإني

أعتذر لك عما بدر مني فهل لك أن تصفح . فأعجبني اعترافه بخطئه

وهزرت يده علامة الصفح .

...

ثم تطاولت المدة ودبت الأيام ودرجت الليالي فرأيت صديقي

ه . و . يميل للوحدة والانفراد والتفكير فلم أهتمد لسر ذلك وخشيت

أن أسأله مخافة أن يغضبه سؤالي ثم رأيت يميل النظر الى الأنسة ا . ب

ساعة تناولنا الطعام في المنزل فقلت لقد بدأت العاصفة تم . سهرى ما

سيكون من أمر غرام الاميركي . ومكثت مدة وأنا اتعافل عن حبه

وهيامه فاذا بي أراه في صبيحة يوم من الايام يقرع باب غرفتي ففتحت

له الباب فبادرنى بقوله

— لي معك حديث يا صديقي .

— وما هو ؟

— إني أحب .

— محب محبوب ؟؟

— أجل . ومن أجل هذا أغادر باريس اليوم . فهل لك أن
تساعدنى فى إعداد حقائى ؟

— تغادر باريس من أجل فتاة !

— بل من أجل الواجب يا صديقى . فالآنسة ا . ب تحببى حباً
طاهراً وأنا أيضاً أحمل لها فى قلبى مثل ذلك الحب ولكن أريد
الاحتفاظ بعهدى .

— وماذا تقصد بذلك ؟

— لقد عاهدت والدتى أن لا أتزوج إلا فتاة من بنات جنسى
والرجل لا ينقض عهده .

فرجوته أن يؤخر سفره عدة أيام فقال .

— لقد أصبحت ثمرة الحب رطباً جنياً . هل لك أن تساعدنى فى
إعداد حقائى .

فنزلت معه الى غرفته وبعد أن انتهينا من إعداد الحقائق ذهب
سويًا الى المحطة وودعته مودعاً معه الاخلاص والشهامة والاقدام

خرطوش وسكر

هناك على شاطئ نهر المارن ، فوق تلك البقعة الخضراء التي تفصلها
عن باريس غابة فنسين أقاموا ضيعة أطلقوا عليها اسم (توجان سيرمارن)
وفي هذه الضيعة الجميلة التي يحجبها ملتف الغياض ويحفظها ذلك النهر
الهادي قضيت شهرين من حياتي الباريسية ، شهرين كاملين مرا كما يمر
الحلم العذب برأس النائم شهرين كدت أنسى فيهما نفسي وأ كذب حسي ،
شهرين عاشرت فيهما الطبيعة الساكنة المنعشة بعيداً عن ضوضاء باريس
ولباريس الشناء واضواحيها الصيف ، ما أجمل تلك الايام العذبة وما أجمل
تلك الغابة التي كنت أرتاد خلالها مع صديقي المصري يتبعنا كلبه
(خرطوش) . وما أجمل ذلك الفضاء الشاسع وتلك الحقول الخضراء
والزهور الياض والخضرة الصافية وما أجمل المنزل الصغير الذي كنا نساكنه
ونرى من نافذته نهر المارن تحف شاطئيه تلك الأشجار الباسقة
والرني المنخفضة .

كما نخرج من المنزل بعد الفطور ونسير على غير هدى ثم نعود
لتناول الغذاء وفي العصر نعيد الكرة ثم نعود لدارنا الصغيرة وقد دجا
جنح الظلام فنجلس في غرفة الاستقبال مع ربة الدار وربها تتجاذب
أطراف الحديث فاذا دنا وقت العشاء أكلنا ثم ناوى الى غرفة النوم .

وكان لربة الدار كلب أطلقت عليه اسم (سكر) ، كلب قبيح الشكل
مقيت الطعمة لا أعلم لماذا تحبه وتعطف عليه . كنت كلما نظرت اليه
كرهت أن أعيد نظري لوجهه ولم أر فيه تلك الشهامة التي يدفع بها عن
صاحبه أذى اللصوص ولم يكن من فصيلة معروفة من فصائل الكلاب
إذ للكلاب فصائل عديدة يعرفها الخيرون فسبحان ربى لماذا تحبه مدام
بار ؟ ربما كان ذلك لوداعته . أما كلبنا خرطوش فكان جميلا وشجاعا
وقد أجمع الخيرون على أنه من فصيلة (البينتر) Pointer وتلك الفصيلة
مشهورة بما أتى به من المدهشات فى الصيد والقنص .

وكم من مرة استهوانا السمر فكنا نجلس فى الحديقة بعد العشاء
نحدث عن أشياء شتى فاذا سقنا حديثنا الى أنواع الكلاب هزئنا
(سكر) وضحكنا ضحكة تجسم فيها السخرية فكانت تجميننا ربة الدار .

— علام تضحكون ؟ سكر هذا كلب أمين طيب الاخلاق لم
نسمع عنه أنه أذى طفلا أو تعدى على كلب آخر . إذا رأى أحداً منكم
أقبل عليه يصبص بذيبه ويمسح رأسه فى يده . تكفيه منكم إشارة الرضى
ليأتى بنفسه على الارض فرحاً مسروراً ، أما خرطوش هذا الذى تحبونه
فهو أقرب لالشر منه للخير . أنا لا أنكر شجاعته ولكنى لا أحب شرارته
التي تمول له ايذاء كل كلب ضعيف يلقاه فى طريقه . حرام عليكم
يا ساداتى أن تغضوا أنظاركم عن الكلب الوديع ذى القلب النقى وتقبلوا
بكليةكم على الكلب القوى المدغل . فكنا نسمع أقوالها ونحن نبتم
ومرت الايام فى هذه الدار الصغيرة ونحن عائشون فى عيش خصل

مستسامون للراحة والسكون لا نسمع غير موسيقى الطيور ولا نرى غير جمال الطبيعة ففي ذات يوم رأيت صديقي المصري مكفهر الوجه فسألته عن السبب فقال .

— أين خرطوش . ألم تره اليوم ؟

— كلا يا صديقي .

— أف لهذا الكلب الشقي . إنه حقاً أظلم من حية لا أدري

أين ذهب ؟

— لعله يجوب في طرقات الغابة .

— وإذا ضل الطريق ؟

فقممت معه الى الباب وسرنا في طريق الغابة نبحث عن خرطوش حتى كدنا المطاف وتملكنا الانضاء فرجعنا أدراجنا الى المنزل وجلسنا أسفين وإذا بخرطوش قد عاد الينا فقام صديقي اليه وهوى عليه بسوط كان في يده وهوى يقول — « وإياك وترك المنزل أيها الكلب الشقي ألا تخشى أن يسرقك سارق ؟ »

وانتهت هذه الحادثة وقضينا بقية اليوم كالعادة فلما روق الليل البهيم جلسنا في الحديقة نتسامر فاذا بخرطوش قد هبَّ الى ناحية الباب يريد الهروب الى الغابة فقام صاحبي وراءه ولحق به في الطريق وتبعته صاحبي فرأته يهوى بسوطه على جسد الكلب وهوى يقول « تريد إعادة السكر يا خرطوش ؟ هاك عقابك » وإذا بسكر قد جاء على مهل ليرى ما حدث فلما بصر بصديقه خرطوش يئن تحت السوط اقترب منه

مبصبجاً بذنبه وهاله مصاب صديقه فأخرج لسانه ومسح به دموع
خرطوش ولكن خرطوش أملتسه شفقة صديقه الضعيف فهجم عليه
وصرعه على الارض ، وما زال يدق عنقه الى أن قضى عليه وعبثاً حاولنا
فصله عن سكر .

لقد مات سكر . مات شهيد طيبته ووداعته . مات شهيد غدر
صاحبه القوى . ذهب ضحية القوة والحق للقوة في كل زمان ومكان .
وإذا بي أرى ربة الدار تمسح بيدها لك الجنة الهامدة وهي تبكي
وتقول « لقد كان سكر طيب القلب . من فاتحة أمره الى خاتمة عمره »
وفي الصباح دفنا سكر في الحديقة تحت شجرة كبيرة كان من عادته أن
يتفياً ظلالها في الظهيرة ونقشنا على ساق الشجرة هذه الكلمات .

« هنا يرقد سكر الكلب الطيب شهيد المروءة والاخلاص »

لقد كنا نكره سكر في حياته فاذا بنا نحبه ونحله بعد مماته . لقد
كنا نتغافل عن وداعته وطيبته ونهزأ بذله وضعفه ونقول ليس هذا
الكلب من فصيلة معروفة فهو عديم الاصل ولكننا نعتقد اليوم بعد
أن قضى ذلك الشهيد أن الاصل لا دخل له في الطيبة وأن مخلوقات الله
سواء . ويا ليت شعري اليس الحال كذلك بين الناس .

فعلام يكون الحق للقوة وعلام تكون الطيبة والوداعة ضحية الظلم
ومتى يتشع عن العالم الانساني ذلك السحاب الاسود .

(١٠ أبريل ١٩١٩)

هو وهي

جاس بجوار النافذة ونظر الى السماء القائمة كأنه يرى فيها صورة نفسه ثم أطلق زفرة من بين جوارحه وقام يتمشى في الغرفة ذهاباً وإياباً ثم أمسك بكتاب قرأ على صفحته الأولى هذا العنوان (مبادئ القانون المدني) وما لبث أن ألقى به على الخوان وهو يقول ساخراً (مبادئ القانون المدني . مبادئ القانون المدني) . وكان قد وفد الى باريس منذ أشهر عديدة وسكن في الطابق الثالث من دار شاهقة في شارع السربون واقتنع بغرفته الصغيرة وتلك النافذة التي كان يرى منها مهد السربون فقد اليه الطلاب في كل صباح ، وبينهم الغايات ذوات العيون الناعسة والقذود الممشوقة . جاء الى باريس ليدرس الحقوق وما كان بنفسه ميل لعلوم الشرائع ولكن والده لم يسمح له بمغادرة القاهرة إلا ليلقى بنفسه في أحضان تلك العلوم . فسافر وفي قلبه غصة ولكنّه وطد النفس على الدأب والعمل جامعا بين علوم الحقوق التي كانت تجشم نفسه مالا تستطيع احتماله وبين علوم الآداب التي يرى فيها مسكاة الأمل وقرّة العين . وأحب الأسرة التي كان يعيش معها حباً جماً وامنزج بهم امتزاج الماء بالراح بعد أن وجد فيهم قروماً من أكرم أرومة ولكنه كان اذا فكر في علوم الحقوق يربد وجهه وتختلج أعضاؤه ويهيم في سماء التفكير

ولقد كان هذا شأنه في ذلك اليوم . فلما ألقى بكتاب مبادئ القانون المدنى على الخوان لبث هنيهة يفكر ثم حدث نفسه قائلا (نسيت انى على موعد مع صديقى البير ديباس لنذهب سويا الى دار مدام ماريون حيث تقام حفلة راقصة) وهب الى خزانة ملابسه وأخرج منها بدلة سوداء وقيصا أبيض اللون وحذاء أسود لامعا وبعد أن ارتدى هذه الملابس سمع دقا على باب غرفته فأذن للطارق بالدخول واذا به يرى خادمة المنزل تقول له

— لقد أعد طعام العشاء يا مولاي

— ها أنا قادم

وخرج من غرفته قاصدا غرفة الطعام والتقى فيها برفقائه النزلاء وجلسوا جميعا حول المائدة يأكلون ويتسامرون فلما فرغوا من تناول الطعام أشعلوا انقافات التبغ وقامت المدموازيل مارى الى البيانو وعزفت عليه دوراً لينهوفين فصفق الجميع اعجابا ببراعتها ونبرغها ودق باب المنزل ففتحه الخادم واذا بشاب وضئ الطامة نحيف القوام طويل القامة أبيض اللون تدل حركاته وسكناته على طيبة قلبه قد دخل عليهم وهو يسم وحيا الجميع تحية جميلة ثم التفت لصديقه المصرى وقال .

— لقد أن الوقت يا حسن . هيا بنا

— هيا بنا يا البير

وخرجا من الغرفة فلما وصلا الى الشارع قال البير :

— أتركب عربة أم تسير على الاقدام ؟

— بل ندير على الافدام وعلام نعدد للكسل والمسافة بيننا
وبينهم قصيرة .

وسارا في شارع راسين على مهل فقال حسن :

— إني لا أعرف غير مدام ماريون وابنها وابنتها وأنت تعلم اني
كثير الخجل لهذا أخشى أن أكون عبثاً ثقيلاً على من لا يعرفني .

فتمقه البير وقال — أتخشى لقاء النساء ؟ لقد عهدت لك قوى القاب
ثابت القدم فعلام هذا الخياء . لم تدع مدام ماريون غير أسرة (همرى)
وما تلك الاسرة إلا مجموعة من النساء الام وبنتها الثلاث وصديقة لهن
جاوزت الأربعين فالحفلة عائلية وستكون فيها بين قوم قليل العدد
يجولونك ويحترمونك فلا تخش بأساً . اليك يا صديقي نصيحة غالية الثمن
إذا اتبعتمها كان لك بين النساء شأن عظيم . لا تركز للنساء كثيراً ، داول
لهن بين اللين والشدّة وأمزج لهن بين الرأفة والقوة ولا تنس الاعتناء
بشاربك فهو من الرجولة وله في قلوب النساء حظ كبير وقسط وافر
وابحث عن مجموعة من الجمّل المذبة والنكات المستماحة تجعلها بضاعة لك
تبيدها للنساء لتقبض الثمن غالياً والثمن في هذا السوق لا يخرج عن حد
القبالات المذبة والعناق الطويل الخ ...

فضحك حسن وعلم أن صديقه يمزح معه وكانا قد وصلا الى
تيارو الاديون فوقها هنيهة ينظران للناس تصعد سلم هذه الدار زرافت
ووجدانا ثم اتما سيرهما في شارع فوجيرار فقال حسن :

لقد قرأت شيئاً عن هذا الشارع في رواية الفرسان الثلاثة
لديماس الكبير .

— إنى أكره هذا الرجل وأربأ بك أن تقرأ رواياته فاست من
السوقه أيها الصديق لتنزل بنفسك الى دركهم .

— إنى أرتأى رأيك يا البير ولم أقرأ هذه الرواية إلا لأعرف
شيئاً عن شخصية الكاتب فأنا اليوم من شيعة من يضرب بروايته
عرض الحائط وعلى الاخص بعد أن قرأت شيئاً من روايات ابنه
اسكندر ديماس الصغير .

— الفرق كبير بين الوالد وابنه فالاول يشوه التاريخ أما الثانى
فيحال خبايا النفوس ويتنصر فيما يكتب لنظريات إجتماعية يرى فيها
الصراط المستقيم لاصلاح ما فسد من الاسرة .

— ولكنى أبرر عمل الاول لفقره وضيق ذات يده . وكنا قد وصالا
لدار مدام ماريون فوقفنا أمام الباب ودق البير الجرس ففتحه البواب
وصعدا سلم الدار الى أن وصالا الى الطابق الرابع فدقا الجرس أيضاً
وأحس حسن بخفقان قلبه ولم يلم لذلك سبباً ثم انفتح الباب وسارا فى
الدهليز قاصدين غرفة الاستقبال .

(١٥ مايو ١٩١٩)

هو وهى

— ٢ —

دخل الصالون مع صاحبه فقابلتهما مدام ماريون وواخفهما ولدها
ماكس وأقبلت ترحب بهما ابنتها جيزيل . أما الام فامرأة فى الحسين
من عمرها قصيرة القامة ذات وجه كثرات فيه التجاعيد وشعر دب فيه
الشيب وعينين براقتين ينبئان عن نشاط وذكاء . وأما الابن فشاب فى
السابعة والعشرين من عمره جميل الوجه قصير القامة كثير الحركات
خفيف الروح فهو المثال الحى لما يسمونه (الباريزيانزم) وأما الابنة ففتاة
أطول من أخيها قامة ولكنها أقل منه جمالا كثيرة الحركات والكلام اذا
أصغى لها السامع ساعة يناله منها ما يصدع الرأس . ثم أمسكت مدام
ماريون بيده وقدمته للحاضرين قائلة (أقدم لكم شابا مصرى وقد إلى
باريس منذ خمسة أشهر طالبا للعلم ، شابا زكى الفؤاد كريم الأخلاق . . .)
فقطع عليها حديثها شاكرا وقد مدت اليه الحاضرين وكانوا ثمانية : مدام
همرى وهى امرأة تناهر الخامسة والاربعين طويلا القامة بدينة الجسم
بيضاء الوجه اذا تفرست فى وجهها نطقت . عارفه بما اتصفت به هذه
السيدة من الخصال كشراسة الخلق وعدم المبالاة بالتأنيخ الوخيمة والاقدام

على كل وسيلة تنياها غايتها وعدم الاكثر بالشرف والطهارة ، وابنتها الكبرى ماري وهي أشبه الناس بأمها وجهاً وأخلاقاً ، وابنتها الوسطى مارجريت وهي فتاة نحيفة القوام طويلة القامة سوداء الشعر ذات وجه تقرأ فيه آيات الجمال والألم وعينين جميلتين يفعل سحرهما بالقلب ما تفعله الكهرباء بالأجسام ، تراها كثيرة التفكير تنفر من الناس إذا دنا منها أحد فكأنها قصيدة من الشعر الوجداني وصورة للجمال الطاهر رسمتها يد الحزن والآلام ، وابنتها الثالثة ايفون كانت دون الحلم ترقص مع الراقصين وتضحك مع الضاحكين وهي لا تعرف شيئاً بعد من أسرار المجتمع الانساني أما صديقتهم مدام لوشيا فامرأة في الاربعين من عمرها تمشي على آثار صديقتها مدام همري في كل ما تفعل وتحذو حذوها سرّاً وعلانية . أما الرجال فتلاثة من بولندا ، الاول مسيو روسيسكي نزيل مدام ماريون والاثنان الآخران مسيو كرينسكي ومسيو يفلوفسكي صديقاها .

ما أجل هذه الحفلة التي لا يزيد عدد رجالها ونسائها عن اثني عشر ، حفلة عائلية يتآخى فيها الرجال والنساء وترفع الكلفة وأمثال هذه الحفلات كثير في باريس تكاد لا تخلو منها دار أو نزل .

جلس حسن مع الجالسين وضحك مع الضاحكين ورقص مع الراقصين ثم جلس ليستريح قليلاً وكان قد رقص مع المدموازيل جيزيل والمدموازيل ماري والمدموازيل ايفون وأوقعه سوء حظه بين يدي مدام همري ودام لوشيا فرقص معهما ثم نال منه التعب فجلس في ركن من

أركان الغرفة واذبه يرى مدموازيل مرجريت في ركن آخر تقاب
بين يديها صفحات كتاب صغير فنظر اليها طويلا وود أن يغادر مكانه
ليدانيها ويحادثها ويعلم تلك الجاذبية التي كانت تدفعه لتلك الفتاة .
رآها تقرأ ثم تطيل التفكير فعلم أنها لم تمسك بالكتاب في يدها إلا
لتفكر أو لتعمد للسكون والوحدة حتى لا يمكن صفاءها من يود الرقص
معهما وكان الجميع يتهافتون على ذلك . أما حسن فقد احترم إرادتها وظل
ساكنا في مكانه ينظر اليها وقد اكتفى بنظراته الطويلة وود من صميم
فؤاده أن يطول جلوسها ليمتع عينيه بجملها الطاهر وتلك الصورة الحديثة
التي رسمتها يد الألم على وجهها الجميل وإذا بمدام ماريون قد اقتربت
منه وقالت .

- يالك من كسلان . ألا ترى الجميع يرقصون .

ثم التفتت الى مرجريت وقالت لها :

(وأنت أيضا ما هذا الكتاب الذي تقرأين) وانزع الكتاب
من يدها وهي تضحك ثم خاطبت الاثنين قائلة (الى الرقص . الى
الرقص . حالا) فقام حسن وقامت مرجريت ومشى اليها وهو يتعثر في
مشيته ورقص معها رقصة (الفالس) . ثم جالس بجوارها وتحاذيا سويا
فقال لها .

- يظهر لي أن المدموازيل تحب آداب اللغة الفرنسية . لقد

شاهدتها منذ حين تقرأ رواية أنديانا للكاتبة الشهيرة جورج صاند .

— لا تقل يا سيدى إني أحب آداب اللغة الافرنسية بل قل إني أحب منها ما يسير أهوائى . لقد كنت أقرأ أنديانا منذ حين ولقد قرأتها قبل ذلك كثيراً ولقد وجدت فيها ما طوعت لى النفس قراءته وفى ذلك ما يبعثنى على تلاوتها مراراً .

— وأنا أيضاً أحب تلك الرواية حباً جماً . لقد قرأتها منذ شهرين ولا أخفى عليك انى معجب بأخلاق أنديانة .

— معذرة إذا خالفت رأيك لأننى لا أعجب إلا بأخلاق السير رالف و كنت أود أن تسمى جورج صاند روايتها (السير رالف)
وإذا بالمدى وازيل مارى قد أقبلت عليهما وهى تقول :

— أنباتنى جيزيل يا مسيو حسن أنك تملك آلة فوتوغرافية ذات عدسة من نوع (زيس) فهل هذا صحيح .

— هذا صحيح يا مدى وازيل .

فصفت بيديها فرحاً وقالت لأختها :

— ما رأيك يا مرجريت . ما رأيك فى ذلك ؟

فابتسمت مرجريت ولم تجب ونادت مارى أمها قائلة .

— ماما . ماما . إني أقترح عليك شيئاً . المسيو حسن يملك آلة

فوتوغرافية فهل يجود علينا بزيارته غداً أو بعد غد ليصورنا .

فأجابها أمها .

— يا حبذا لو صحت عزمته على ذلك . اليوم يوم الاحد وغداً

سندھب جیماً لزیارة أسرة تبری . وبعد غد سأذهب لزیارة أصدقاء
آخرین فهل يتكرم علينا المسیو حسن بزیارتنا یوم الثلاثاء .

فاجابها حسن وهو یبسم .

— هذا جل ما أتمناه یا مدام .

فصفقت الصغيرة أیفون بیديها وطافت أركان الغرفة وهی
ترقص وتقول .

— سیصورنا بعد یومین . سیصورنا بعد یومین .

وعزفت الموسیقی فهب الجميع للرقص وكانت الانسة ماری من
نصیب حسن فلم اخصرها قالت له فی أذنه (ما أجمل عینیک) فأدهشته تلك
الجملة فنظر إليها نظرة الحائر ولم یجب بحرف واحد فسكتت أيضاً ولكنها
كانت تبسم له كلما وقع بصره علی عینيها . ثم انتهت تلك الرقصة
وتفرقوا فی أنحاء الغرفة لیستريحوا ومكثوا هنيهة وهم لا ینطقون بینت
شفة وطال سکوتهم فهم البولندی کرنسکی من مكانه واقترح علیهم
أن یلعبوا لعبة تكون ختام الخفاة فأقر الجميع لعبة تشبه لعبة (استغماية)
التي یلعبها الاطفال فی مصر واتخبوا من بینهم ملكا جالس علی كرسي
وكان الانتخاب من نصیب روسییسکی أما کرنسکی فكان من
نصیبه أن یجالس بین یدی الملك وهو مغضض العینین ثم یمد یده فیصاخه
الجميع فیسأله الملك (ماذا تريد أن تفعل بمن صاخک) فیجیب بما یرأيه
دون أن یعرف الشخص الذی صاخه . فلما صاخته مدام ماریون سأله
الملك سؤاله فأجاب (یقبل هذا الشخص جدران الغرفة) وما زال

يصدر كرينسكى أحكامه الى أن أتى دور بفلوفسكى فاذا به يحدث
كرينسكى بالبولونية قبل أن يصاحفه ولم يلاحظ ذلك غير حسن ثم
صاحفه فقال الملك (ماذا تريد أن تفعل بهذا الشخص ؟) فأجاب
كرينسكى (يقبل المدم وازيل مرجريت) ففهم حسن سر ذلك
وسكت وهو يكتم غيظه وقام الجميع لتنفيذ الاحكام وقبل بفلوفسكى
مرجريت فأزاحت عنه رأسها قليلا فوقعت القبلة على شعرها واكفر
وجه حسن ولا حظ صاحبه البير ذلك فأسر له تلك الجملة (يا صديقى
المسكين) فابتسم حسن ابتسامة الحزين البائس ونظرت مدام همرى فى
ساعاتها وقالت لقد آن الرحيل وخرجوا جميعاً بعد أن ودعوا أسرة
ماريون فلما وصلوا الى الشارع صاحفهم حسن فقالت له ماري .

— لا تنسى أن تزورنا يوم الثلاثاء .

فأجابها حسن .

— سأكون فى الميعاد يا مدم وازيل .

وسارا فى طريقه مع صديقه البير وظلا ساكتين هنيهة ثم قال البير .

— ماذا حل بك أيها الصديق . لماذا لا تتكلم ؟

— لقد تملكنى الأنضاء يا صديقى وسأنام الليلة ملء جفونى .

— أراهن أنك ستسهر للصباح .

— ماذا تقول ؟

— أقول أن مدم وازيل مرجريت جميلة جداً .

فضحك حسن وقال :

— لا أنكر أن الفتاة جميلة ولا أنكر أنها استألفت نظري
ولكنها لم تملك على قلبي .

— من يدري سنرى ماذا يكون من أمركما يوم الثلاثاء .
وما زال يتحدثان إلى أن افترقا عند شارع المدارس وسار حسن إلى
الزل وهو يفكر ثم صعد إلى غرفته وخلع ملابسه واستلقى على سريره
وحاول أن ينام فلم يقدر فحادث نفسه قائلا (أسرة غريبة . أم لا تركن
إليها النفس وابنة تبوح بهواها قبل أن يبوح به من راق في ناظرها وابنة
أخرى صغيرة ليست في العير ولا في النفير . أما الثالثة الوسطى فهي
أحجية من الأحاجي بل لغز من الألغاز) ثم فكر قليلا (وربما كانت
ضحية . .) وما زال يردد هذه الكلمة ثم غلبه النعاس فنام .

هو وهى

- ٣ -

أفاق من نومه صبيحة يوم الثلاثاء وأصاح من شأنه وارتدى
ملابسه وتأبط جمعة كراساته وخرج من النزل بعد أن تناول فنجاناً
من الشاي وقليلًا من الحلوى وأخذ سمته الى الكفاية وكانت قرية من
داره فسار في شارع السربون وخیال مرغريت أمامه لا يفارقه لحظة
واحدة بيد أنه لم يكن تعساً ولا حزيناً بعد أن علل نفسه بقرب اللقاء
فكان يقول لنفسه (سأراها اليوم وسأحدثها وربما وقفت على سر هذه
النفس الحزينة) ووصل الى باب الكلية واجتاز ساحتها ثم دخل غرفة
الدرس وجلس غير بعيد عن (المسيو فال) أستاذ القانون المدنى ومرت
الساعة بعد الساعة والأستاذة والتلاميذ في واد وهو في واد آخر فلم
يسمع شيئاً ولم يكتب شيئاً ولم يأسف على ذلك . كان يراها أمامه وهى
جالسة في ركن الغرفة تقلب صفحات رواية أنديانا ، وكان يراها أمامه
وهى تحادثه ، وكانت يراها أمامه وهى تزج رأسها الجميل عن فم
بفلوفسكى ، رأى كل ذلك بعين الخيال وكان يبتسم ثم يكفهر وجهه
ويقول (لقد قبلها التعس . لقد قبلها التعس) ثم يهدأ حاله ويقول

(ولكنها أزاحت رأسها عن فيه فوقعت القبلة على شعرها . معذورة أنت يا مرجريت . معذورة أنت يا ملاكي الطاهر) ثم غادر السكايية وسار في طريقه وقال بعد أن نظر في ساعته (أمامي أربع ساعات ، ما أطول النهار اليوم) ثم عرج على حانوت تباع فيه زجاجات الروائح الزكية واشترى منه زجاجة (فيوليت) ليعطر بها جسده وملابسه ثم ذهب الى حلاق في شارع سان ميشيل قص له شعره وحلق له لحيته وكانت قد نهبت قليلا واتبع في ذلك نصيحة صديقه ألبير ديباس ثم رجع الى داره ودخل في غرفته وأغلق الباب بالمفتاح وخلع ملابسه بعد أن بحث في خزانته عن أجل بدلة يمتلكها وارتابها وهو يتسهم ثم عطر وجهه ومنديله وجلس على كرسيه بقرب النافذة ينتظر قدوم الخادمة لتسددوه لتناول طعام الغداء . ونادته الخادمة بعد قليل وتناول غذاءه مع رفقاءه النزلاء ثم رجع الى غرفته وجلس قليلا على كرسيه ولكنه هب من مكانه ووقف أمام المرأة وأصاح رباط رقبتة وأخرج ذيل منديله الحريري من جيبه لتراه الناس ثم نظر في ساعته وقال (الساعة الثانية . أمامي ساعتان فكيف أقضيهما) وخرج من غرفته وحادث صديقه ألبير ديباس في التليفون واتفق معه على أن يقابله في حديقة اللكسمبورج في الساعة الرابعة وغادر المنزل بعد أن حمل آلة الفوتوغرافية قاصداً تيار والادبون وكان من عادته أن يطوف حوله مقلبا صفحات الكتب المعروضة خارج هذه الدار التمثيلية وكان يرى في ذلك لذة كبرى لا تعادلها غير لذة اهتمامه بشأن التمثيل في باريس . وكان قد قسم وقته ثلاثة أقسام : الدرس ،

والسكتب الادبية والتمثيل . أما الآن فقد رأى أن يضيف اليهما قسماً
آخر يخص مرجريت تلك الفتاة التي دلهته واختبلته من أول نظرة
واقدر ساءل نفسه مراراً لماذا يركن الى هذه الفتاة وينيط بها ثقته دون
أن يختبرها . ألم ير في أمها واختها الكبرى بل وفي تلك المرأة التي كانت
معهم (مدام لوشا) ما ينفره عن تلك الاسرة ؟ ولكن . . .

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

وما اختاره مضى به وله عقل

ظل يقاب صفحات السكتب وإذا به يسمع صوتاً يناديه فالتفت
يمنة فرأى المسيو درفميني الممثل بدار الأديون يتسم له ويقول :

— ماذا تفعل في تلك الساعة يا صاحبي ؟

— ألقى نظرة على هذه السكتب .

وصاحفه مصاحفة الصديق للصديق وكان قد عرفه في قهوة بلزار في
أحد الليالي فصادقه وأحبه ومحضه . وودته وجهمها حبهما فن التمثيل ، ووجد
حسن في صدقه الممثل رجلاً سليم الطوية طيب السريرة فكان كلما
رآه ود أن لا يفارقه . ثم قال له الممثل .

— . أجملك اليوم يا حسن . ما هذا التأنيق في اللباس وما هذه

الرائحة الزكية التي تنمش القلب . آه ومعك فتوغرافية أيضاً . ما شاء الله
ما شاء الله .

— أنمزح أم تقول صدقاً ؟

— لا أنكر إنني أحب المزاح كثيراً وما المزاح إلا صفة من

الصفات الأفرنسية . ولكنى لم أقل غير الصدق .
أتذكر يا صاحبي تأنيق لباسك وتلك الراحة الزكية التي تنبعث
منك ؟ أذكر ظنى أنك اليوم على موعد من فتاة . قل الحق يا صديقى .
أعالة هي أم ممثلة أم امرأة متزوجة ؟ أفرنسية هي أم من طالبات العلم
الأجنبيات ؟

— لقد خاب ظنك يا صديقى . ألا أراك هذه الليلة في قهوة بلزار ؟
— تريد أن تغير مجرى الحديث . فليكن ما تريد . كلا يا صديقى ليس
في وسمى أن أراك الليلة . وإن شئت قابلتك غداً عند منتصف الليل .
وصافح صديقه المصرى واتجه نحو باب الأديون ثم غاب عن نظر
حسن . فقال حسن لنفسه (شاب زكى ألفؤاد طيب الاخلاق . ما
أسعدنى بمعرفته) ثم غادر دار الأديون ودخل حديقة الكسوف . هرج
ومشى فى دروبها وهو يفكر وما زال يطوف طرقاتها حتى لاقى صديقه
البير ديباس فصاحه وتحادث معه قليلا ثم نظر فى ساعته وقال (هيا بنا)
وسارا فى شارع فوجيرار ثم عرجا على شارع رين قاصدين دار مدام
هيمرى رقم ١٤٤ فلما وصلا أمامها قال البير
— لقد وصلنا يا صديقى . أرجو أن تكون هذه المرة أكثر

ثباتا وجلدا

فابتسم حسن وقال

— فلمصعد أيها الصديق وعلى الله الاتكال

وصعدا السلم حتى وصلا الى الطابق الرابع ووقفوا أمام الباب قليلا

وَرَدَدَ حَسَنٌ فِي دَقِّ الْجَرَسِ فَقَالَ لَهُ الْبِيرُ (مَا هَذَا الْجُودُ أَتَيْهَا الصَّدِيقُ)
وَدَقَّ الْجَرَسُ مَرَّتَيْنِ وَانْتَظَرَ قَلِيلًا وَإِذَا بِالْبَابِ قَدْ انْفَتَحَ وَظَهَرَ وَرَاءَهُ
الصَّغِيرَةُ أَيْفُونَ فَلَمَّا رَأَتْهُمَا صَفَقَتْ بِيَدَيْهَا .

— لَقَدْ صَدَقَ ظَنِّي يَا أُمَامَ . هَذَا هُوَ الْمَسِيوُ حَسَنٌ وَالْمَسِيوُ الْبِيرُ
وَالْمَدَامُ فَتَوَغَّرَ فِيهِ مَعَهُمَا . سَيَصُورُنَا الْيَوْمَ فَمَا أَسْعَدَ حَظَّنَا .

وَدَخَلَ مَعَهَا الصَّالُونَ وَصَاحُوا مَدَامُ هَيْمَرِي وَالْمَدَامُ وَازِيلُ مَارِي
وَمَرْجَرِيَّتُ وَمَدَامُ لُوشَا وَمَدَامُ مَارِيونُ وَإِبْنَتُهَا جِيْزِيلُ ثُمَّ التَفَتَا لِلرِّجَالِ
وَصَاحُوا مَا كَسَ وَكَرِيْنَسْكِي وَبِفُلُوفْسْكِي وَرَدْسِيْسْكِي وَكَانُوا قَدْ قَدَمُوا
لِلتَّصْوِيرِ وَجَلَسَ كُلُّ فِى مَكَانِهِ وَقَالَ بِفُلُوفْسْكِي .

— أَخْشَى يَا مَسِيوُ حَسَنُ أَنْ يَمُرَ الْوَقْتُ دُونَ أَنْ نُشْعَرَ .

أَلَا يَحْسَنُ بِنَا أَنْ نُبَادِرَ لِلتَّصْوِيرِ ؟

فَهَبْ مَا كَسَ مِنْ مَكَانِهِ وَقَالَ .

— وَهَذَا رَأْيِي أَيْضًا .

فَقَالَ حَسَنُ .

— هَيَّا بِنَا إِلَيْهَا السَّادَةُ إِلَى الشَّرْفَةِ .

وَقَامُوا جَمِيعًا وَأَخَذُوا مَكَانَهُمْ فِي الشَّرْفَةِ وَصَوَّرَهُمْ حَسَنُ صُورًا
مُتَعَدِّدَةً وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ عَمَلِهِ قَالَتِ مَدَامُ مَارِيونُ .

— لَقَدْ صَوَّرْنَا الْمَسِيوُ حَسَنَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصُورْ نَفْسَهُ مَعَنَا

فِيَا لِسُوءِ الْحَظِّ .

فَقَالَتْ مَارِي :

— ألم تبقى في جمعة التصوير صورة أخرى ؟
فأجاب البير .

— بل صورتان يا مدء . وازيل ،
فقلت مدام لو شا .

— فليكونا من نصيب المسيو حسن .
وقالت مدام هيمرى .

— ومن ياترى يتكرم منكم بالتصوير .

فقال كريفسكى : (أنا) وقال بفلوفسكى (بل أنا) وصاح ما كس
(أنا . أنا) وصح الاقتراع وكان التصوير من نصيب ما كس جلسوا
جميعاً في الشرفة مرة أخرى وجلس معهم حسن وصورهم ما كس
صورتين ثم دخلوا الصالون ليتناولوا الشاي فلما جالسوا حول المائدة ،
رأى حسن البولندى بفلوفسكى يتهاقت على الجالوس بجوار مرجريت
فألمه ذلك واستمال الامر ولسوء حظه وجد البولندى قد فاز بأمنيته
وجلس بجوار مرجريت . فاضطرم صدره وتلظت كبده وقال لنفسه
(ما هذه المرأة أيتها بالأمس ويجلس بجانبها اليوم . ما الذى يريد هذا
الشیطان من هذا الملاك) وأدبرت كؤوس الشاي والحلوى فأكلوا
هنيئاً وشربوا مريئاً ورأى حسن مزاحمة البولندى يسر شيئاً لمرجريت
جزعت له الفتاة واربد وجهها الجليل وأدارت وجهها عنه اشمئزاً وأنفة
فعلم حسن أن البولندى خاطبها في شيء تمس كرامتها فغاضه ذلك
وأسخطه وكاد يزفر من الغضب ولكنه كتم غيظه وخفف من حيرته

فسكنت ثورته وقرت فورته وحادث جاره . ما كس في شؤون شتى لينسى
ما حدث واذا بمدام لوشا قد وضعت يدها على تمثال صغير لالهة الجمال
(فيثوس) وقالت :

— ما أجهل هذا التمثال .

فضحكك بفلو فسكى وقال .

— تمثال هذا الجمال تذوق المرأة لذة الحياة .

فنظرت اليه . مرجريت نظرة غريبة وقالت .

— وكيف ؟

فأجابها البولندي .

— تتسيطر على قلوب الرجال تعمل بها ما تشاء .

فضحكت ماري وقالت .

— لقد أصبت فيما قلت يا سيدى .

ولكن مرجريت قطعت على أختها الحديث وقالت .

— اسمع لى المسيو بفلو فسكى بأن أقول أنه أخطأ فيما قال أو إنه

نسى شيئاً هاماً بدونه لا تقوم للجمال قائمة الا وهو جمال الروح . فالزهرة

الجميلة التى تراها فى البستان تظل يانعة مخطفة الابصار اذا لم تمسها يد

الانسان بسوء . أما اذا قطعتم تلك اليد فانها تذبل وتموت بعد أن

يتلاشى جمالها وذلك شأن المرأة أيضاً فانها تعيش جميلة اعفتها وعلمارتها

فاذا دنس الرجل طهارتها . مات جمالها واندرست محاسنها وتحولت من

حالتها الاولى الذى تتسيطر فيه على قلب رجل واحد الى الحال الثانى الذى

تسيطر فيه على قلوب الرجال لتفعل بها ما تشاء وإكثنه ما زال بين النساء من يدافعن عن شرفهن ويجاهدن في سبيل ذلك جهاد المستعيرين فهن والحمد لله أكثر من الزهور قوة ولهن من سبيل الدفاع ما يجملهن في مأمن من غدر الرجال .

ثم سكنت المدموازيل مرجريت وهي تنظر المسيو بفلوفسكى وتبسمت بعد أن انتقمت لنفسها من هذا الرجل بهذا الحديث الطويل وفهم حسن معنى حديثها وعرف السر الذي دفعها لذكره فسر ذلك وأتاج صدره واستطاره الفرح فقال .

— لك الله يا مدموازيل . لقد نطقت بفصل الخطاب .

أما مدام لوشا ومام هيمري فقد وقع عليهما هذا الحديث وقوع الصاعقة أما المدموازيل مارى فلم تأبه لما قالته أختها بل قامت من مكانها وغادرت المائدة وقام الجماعة في أثرها وتفرقوا في أنحاء الصالون وود حسن أن يقترب من مرجريت ليحادثها ولكنه وجد المدموازيل مارى قد حالت بينه وبين حبيبته ثم قادته من يده إلى ركن من أركان الغرفة وقالت له مازحة .

— يالك من شيطان ما كر .

— أنت قاسية في حكمك يا سيدتى .

— ربما كان الامر كذلك ولكنك أشد منى قوة .

— أنا ؟

— نعم أنت . أراك تنفر منى نفور الفأر من القط فما الذى يخيفك منى ؟

— أو كد لك يا مدموازيل

— لا أحب كثرة الكلام ولا أريد أن تكون كصديقتنا جيزيل فتوغرافاً لا ينقطع عن الحديث . إن أردت أن تبرهن لى على صداقتك أو شئت الأفصاح عن حبك . . . (وابتسمت بعد أن تناولت يده وهزتها فى يدها) فاحضر غداً فى الساعة الرابعة بجوار نافورة ميدانيس فى حديقة اللكسمبورج . سنكون جميعاً هناك وربما حادثتك فى شئون شتى تهلك . أتعذرنى بالحضور .

فكر حسن هنيهة وقال لنفسه (وما ضرني لو ذهبت لأرى مرجريت) ثم قال لمارى .

— سأكون هناك فى الميعاد يا مدموازيل .

ونادت مدام هيمرى ابنتها مارى فلبت نداءها وغادرت حسناً فى مكانه وقد سردها . فلما خلا بنفسه اقترب من مدموازيل مرجريت وقال :

— الطقس جميل اليوم يا مدموازيل .

— أجل . ولكنى أحب الغيام كثيراً وأرى بين نفسى وبين الظلام اتصالاً كبيراً .

— يظهر لى أن المدموازيل حزينة .

— ربما كان الامر كذلك . ولقد بحثت كثيراً عن سر حزنى فلم

أهتدأ شئ فأنا من جماعة المتشائمين الذين لا يرون في الحياة إلا شقاء،
يتبعه شقاء.

— لعلك قرأت كتب شورينهور.

— لم أقرأ منها حرفاً واحداً. وإن كانت آراؤه كما تقول فأنا أول
من يسير على آثاره.

— أو على آثار المعري.

— ومن هو المعري؟

— فيلسوف العرب وإنى أذكر له بيتاً من الشعر يتضمن لباب
فلسفته ألا وهو.

(هذا جنأه أبي عليٍّ وما جنيت على أحد)

وترجم لها البيت بعد أن تلاه بالعربية فسرهما معناه وقالت له
وهي تبسم.

— ليتنى كنت أعرف العربية لأقرأ كتاب هذا الفيلسوف.

— عندي نسخة إفرنسية مترجمة عن العربية سأحضرها
لك لتقرأينها.

فشكرته وتحادثنا قليلاً وإذا بدماء لوشا قد قترت منهما وهي تقول.

— ماذا تفعلان هنا؟

فاجاب حسن

— نتحدث على الفلسفة

— عن الفلاسفة ! هذا كثير : وهل يروق لكما أن تتحدثا عن
الفلاسفة وأتما في هذه الدار . وهل انتقل السربون الى دار مدام هيمري
حتى تتناقشان في آراء فلسفية تصدع الرأس !
فضحك الجميع ثم مكثوا قليلا يتحدثون ويضحكون وأن وقت
الانصراف فاستأذن المدعوون وخرجوا وتفرقوا عند رأس الشارع وسار
حسن وصديقه البير في شارع فوجيرار فقال البير .

— لقد لاحظت كل شيء يا صديقي ولا مربة بعد اليوم في
غرامك

فضحك حسن وقال

— ربما كان الأمر كذلك

ووصلا إلى تياترو الأديون فصعد حسن على سلمه وعرج على
مكتبته واشترى ديوان المعري فقال له صديقه
— لمن تشتري هذا الكتاب ؟

— لنفسى

فابتسم البير وقال

— أو لنفسك الثانية

واستأذن من صديقه وغادره أمام تلك الدار التمثيلية فلما خلى حسن
بنفسه وقف هنيهة يفكر ثم قال (يا لله لم أهتمد بعد لسر هذه التمتاة بل
لسر تلك الاسرة الغريبة) وإذا به يسمع صديقه الممثل درفيني يقول له

— اقد عدت يا صديقي لعلك كنت سعيد الحظ

— لم أوفق كل التوفيق ف

— لا تبدي مسألتك فانها . . . ألة عويصة . الى اللقاء

وعمَّ بمغادرته فليستوقفه حسن وقال له .

— ما هذا الاسراع ؟

— مني تبدي الياة في منتصف الساعة الثامنة اطول الرواية ونحن

الآن في الساعة السابعة فأما في نصف ساعة تكفي لصنيع وجهي وارتداء

ملابسي التمثيلية . الى اللقاء يا صديقي . أرجو أن ألقاك غداً عند منتصف

الليل في قهوة بلزار وأرجو أن تكون في المرة القادمة أسعد حظاً

وأكثر توفيقاً

وغادره ودخل دار التمثيل فوقف حسن هنيهة ثم ذهب الى شبك

التذاكر واشترى تذكرة وقد ألهاه ما رآه في ذلك اليوم عن تناول

طعام العشاء

(ملحوظة) لم يكتب المؤلف من مذكراته غير ما نشرناه هنا

—
تم الكتاب

انتهى كتاب وميض الروح وهو الجزء الأول من مؤلفات
المرحوم محمد بك تيمور ويليه الجزء الثانى وعنوانه :

حياتنا التمثيلية

حقوق طبع . مؤلفات المرحوم محمد بك تيمور
محفوظة للناشر محمود تيمور

كل نسخة غير ممضاة باءضاء الناشر تعد مسروقة



فهرسة الكتاب

الفهرسة

صفحة	
٣	المقدمة
٤	اهداء الكتاب
٦	الى اخى
٩	محمد تيمور . رسالة عن تاريخ ميان وشرح أعماله
١١	تاريخ حياته
١٢	الطور الأول . ميان الاولى فى مصر
١٥	الطور الثانى . ميان فى أوروبا
١٧	الطور الثالث . الرجوع الى مصر : طور العمل
٣٢	مؤلفاته
٣٢	قطعه التنظيميه
٣٥	نثره
٣٦	قطعه الوجدانية
٣٦	قطعه الاجتماعية والأدبية
٣٨	قطعه القصصية
٣٨	ما تراه العيون
٣٩	الشباب الضائع

صفحة	
٤٠	خواطر
٤١	مذكرات باريس
٤٤	ما كتبه عن التمثيل
٤٥	منولوجاته التمثيلية
٤٨	نقده على الممثلين
٥٠	محكمة المؤلفين الروائيين
٥١	مقالات مختلفة عن التمثيل
٥٣	روايانه التمثيلية
٥٤	مقدمة عن الثلاث روايات
٥٧	المصفور في القفص
٦٤	عبد الستار افندى
٧٥	الهواية
٨٨	خاتمة

الكتاب الاول . ديوان تيمور

٨٩	اهداء الديوان
٩٠	مقدمة الديوان
٩١	شعار صاحب الديوان
٩٢	شاب يحضر
٩٣	الغريب الفقير

صفحة	
٩٤	ضحكات طفل
٩٤	الليل
٩٥	دمعة عين
٩٦	القيط
٩٧	الترجسة الياصرة فوق قبر الشاعر
٩٧	القلب
٩٨	شجرة على شفا الموت
٩٩	الهرم الأكبر
١٠٠	الببل الصامت
١٠١	نفس الشاعر
١٠٢	الشاعر الغضبان
١٠٤	النجم الآفل
١٠٤	ظلام النفس
١٠٥	الذكرى
١٠٦	أمس واليوم
١٠٧	الليل أقبل
١٠٨	الصباح أقبل
١٠٩	سلطان الليل
١١١	الفجر الأول لمحمد على
١١٢	النهاية

صفحة	
١١٥	خوفو
١١٧	حكم الحب
١١٨	خواطر الوحدة
١٢٠	الدار الحزينة
١٢١	الضحايا
١٢٢	بلو منى قومي
١٢٢	صبراً يا فؤادي
١٢٣	ويك قلبي
١٢٤	الشفق
١٢٥	الطائر السجين
١٢٦	عرش الحداد
١٢٦	استعطاف
١٢٧	صورة من صور الليل
١٢٨	زفرايت الشباب
١٢٩	اعتذار
١٣١	الجرح الاول
١٣٢	كما تشائين
١٣٢	عبثاً تبكي
١٣٣	ليلة
١٣٣	مولود الهموم

صفحة	
١٣٤	أنا وهي
١٣٥	حياة الخاطر
١٣٦	أنت !
١٣٧	ليلى طويل
١٣٧	حياتي
١٣٨	أرجوحة اللاعب
١٣٨	هديتي
١٣٨	الريح
١٣٨	أحن إلى الاوجاع
١٣٩	الظبي النافر
١٣٩	أخاف
١٤٠	أنا وأنت
١٤٠	أماه
١٤١	نفثة مصدر
١٤٢	يا قصر الهاجر
١٤٣	دمع الشفق

الكتاب الثاني . الوجدان ١٤٥

١٤٧ عودة الموجهة

١٤٩ متى أنساها

الماضى	١٥١
الشاعر والليل	١٥٣
حب البقاء	١٥٦
حديث زهرة	١٥٨
المهرم الاكبر	١٦٣

الكتاب الثالث . الادب والاجتماع	١٦٥
الخوف من الحياة	١٦٧
الافكار القديمة والحديثة	١٧١
المجمع اللغوى	١٧٣
شخصيتنا	١٧٦
أمرأؤنا	١٧٨
العام الجديد	١٨٠
نظرات فى تاريخ مصر	١٨٣
الوطن	١٨٦
مدرسة القضاء الشرعى	١٨٨
بول آدم	١٩١
المواكب لجبران خليل جبران	١٩٣
شوقى	٢٠٢
الفرد رول	٢٠٧

أدمون روستان ٢٠٨

شأتو بريان ٢١٠

الكتاب الرابع . ما تراة العيون ٢١٥

في القطار ٢١٧

عطقة ال . . . منزل رقم ٢٢ ٢٢٤

بيت السكرم ٢٣٠

حفلة طرب ٢٣٨

صفارة العيد ٢٤٣

ربي لمن خلقت هذا النعيم ! ٢٥٠

كان طفلا فصار شابا ٢٥٦

العاشق المفتون بالرتب والنياشين ٢٦٢

قصة الشباب الضائع ٢٧١

الكتاب الخامس . خواطر ٣٤٩

ريان يا فجلى ٣٥١

للفقراء مجانا ٣٥٤

درس في كتاب ٣٥٨

عرس وماتم ٣٦١

رمضان في قهوة ماتاتيا ٣٦٣

صفحة

ولكن المرأة لم تخلق لهذا النعيم في مصر	٣٦٦
لبن بقمه و لبن بالتراب	٣٦٨
سر من أسرار تأخر المصريين	٣٧٠
سارق وسارق	٣٧٣
هنا وهناك	٣٧٦

الكتاب السادس . مذكرات باريس

اليوم الاول	٣٨١
حول المرأة	٣٨٥
ليلة في الأدب	٣٨٩
صديق من أمريكا	٣٩٥
خرطوش وسكر	٤٠١
هو وهي	٤٠٥

فهرسة الصور

صفحة	
١	صورة رمزية تمثل آمال الحياة المحطمة والعمل الخالد للادب والفن
٥	الصغير محمد تيمور . الطفل الذي لم يره أبوه
٧	المرحوم محمد بك تيمور في العقد الثالث من عمره
٢٣	المرحوم محمد بك تيمور وابنته ربرى
٢٥	المرحوم محمد بك تيمور طالب حقوق بباريس

بيان

عن

الجزء الثاني والثالث من مؤلفات
فقيه الأدب والمسرح

المصنف
محمد بن تيمون

نحت الطبع ويظهر قريباً

كتاب

حَيَاتُنَا التَّمْثِيلِيَّةُ

الجزء الثاني من مؤلفات الفقير

يحتوي هذا الجزء على كل ما كتبه الفقير عن التمثيل مثل
منولوجاته التمثيلية ومقالاته الانتقادية ومحاكمته للمؤلفين الروائيين الخ
مضافاً إلى ذلك رواية

عَبْدُ السَّيِّئَاتِ اِفْتَدَى

وهي رواية كوميدية ذات أربعة فصول
مثالها الممثل المشهور عزيز افتدَى عيسد

نحت الطبع وبظهر فريباً

كتاب

المسرح المصرى

وهو الجزء الثالث من المؤلفات

ويحتوى على الروايات الآتية

القَصْفُ فِي الْقَفْصِ

وهى رواية كوميدى ذات أربعة فصول

مثلها جوق الأستاذ رشدى

العَشْرَةُ الطَّيِّبَةُ

وهى رواية كوميدى أو بريت ذات أربعة فصول

مثلها جوق نجيب افندى الريحاني

التهافت

وهي رواية كومبري درام ذات نهضة فصول
تمثلها شركة ترقية التمثيل العربي (آل عكاشة)

نطلب مجانا مجموعة

مراثي المرحوم محمد بن عبد الله

من العائلة رأسا

وهي مجموعة ما قيل من المراثي في حفلات التأيين وما نشرته الصحف
